مجلة جامعة بني وليد

للعلوم الإنسانية والتطبيقية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدر عن جامعة بني وليد

بني وليد – ليبيا

السنة الخامسة – العدد التاسع عشر – مارس 2021 م

التوثيق: الدار الوطنية للكتاب بنغازي 121 /2017

مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية و التطبيقية

السنة الخامسة – العدد التاسع عشر – مارس 2021 م

المشرف العام للمجلة

د. عبد الحميد فرج صالح

رئيس تحرير المجلة

د. الطاهر سعد ماضي

مدير تحرير المجلة

أ. أشرف علي محمد لامه

هيئة تحرير المجلة

د. منصور محمد ونيس	د. أعويدات حسن بالحاج
د. عبد الله صالح أزبيدة	د. علي محمد شقلوف
د. عبد الله الشيباني	د. محمد نافع اسطيل
د. فرج خليل سالم	د. مفتاح الفيتوري الجمل

اللجنة الاستشارية للمجلة

د. محمد عثمان الفيتوري	رئيساً
د. إبراهيم أحمد خليل	عضواً
د. عبد الحكيم محمد عثمان	عضواً
د. مصباح ياقة السوداني	عضواً
د. رمضان الطاهر	عضواً
د. جعفر الصيد عوض	عضواً
أ. علي صالح اقريميدة	عضواً
أ. إسماعيل مصباح عبد القادر	عضواً
أ. علي مصباح ارحومة	عضواً
أ. عامر فتح الله المبروك	عضواً

أمين سر المجلة

جمال محمد الجهيمي

قواعد النشر بمجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية

مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية مجلة علمية فصلية محكمة تهتم بنشر البحوث والدراسات العلمية الأصيلة والمبتكرة في العلوم الإنسانية والتطبيقية.

وإذ ترحب المجلة بالإنتاج المعرفي والعلمي للباحثين في المجالات المشار إليها تحيطكم علماً بقواعد النشر بها وهي كالتالي:

1- تقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية على أن تعالج القضايا والموضوعات بأسلوب علمي موثق يعتمد الإجرائية المعتمدة في الأبحاث العلمية، وذلك بعرض موضوع الدراسة وأهدافها ومنهجها وتقنياتها وصولاً إلى نتائجها وتوصياتها ومقترحاتها.

2- يكون التوثيق بذكر المصادر والمراجع بأسلوب أكاديمي يتضمن:

أ- الكتب : اسم المؤلف، عنوان الكتاب، مكان وتاريخ النشر، اسم الناشر، رقم الصفحة.

ب- الدوريات : أسم الباحث، عنوان البحث، اسم المجلة، العدد وتاريخه، رقم الصفحة.

3- معيار النشر هو المستوى العلمي والموضوعية والأمانة العلمية ودرجة التوثيق وخلو البحث من الأخطاء التحريرية واللغوية وأخطاء الطباعة.

4- أن يكون النص مطبوعا على برنامج (Microsoft Word) ويكون حجم الخط (12) ونوعه (Simplified Arabic)، على حجم ورق مخصص بالمواصفات التالية:
(عرض 17سم، ارتفاع 24 سم) أو (عرض 6.70 إنش، ارتفاع 9.45 إنش).

5-أن لا يزيد حجم الدراسة أو البحث على (25) صفحة كحد اقصى وان يرفق بخلاصة للبحث أو المقالة لا تتجاوز(60)كلمة تنشر معه عند نشره.

6- ترحب المجلة بتغطية المؤتمرات والندوات عبر تقارير لا تتعدى (10) صفحات (A4) كحد اقصى، يذكر فيها مكان الندوة أو المؤتمر وزمانها وأبرز المشاركين، مع رصد أبرز ما جاء في الأوراق والتعقيبات والتوصيات.

7- ترحب المجلة بنشر مراجعات الكتب بحدود (10) صفحات (A4) كحد أقصى على أن لا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين. على أن تتضمن المراجعة عنوان الكتاب وأسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات، وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، و أن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب، مع الاهتمام بمناقشة أطروحات المؤلف ومصداقية مصادره وصحة استنتاجاته.

8– يرفق مع كل دراسة أو بحث تعريف بالسيرة الأكاديمية والدرجة العلمية والعمل الحالي للباحث.

9– لا تدفع المجلة مكافآت مالية عما تقبله للنشر فيها.

10– لا تكون المواد المرسلة للنشر في المجلة قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

11– تخضع المواد الواردة للتقييم، وتختار هيئة تحرير المجلة (سرياً) من تراه مؤهلاً لذلك، ولاتعاد المواد التي لم تنشر إلى أصحابها.

12 – يتم إعلام الباحث بقرار التحكيم خلال شهرين من تاريخ الإشعار باستلام النص، وللمجلة الحق في الطلب من الباحث أن يحذف أي جزء أو يعيد الصياغة، بما يتوافق وقواعدها.

13– تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة وفق خطة التحرير، وتؤول حقوق الطبع عند إخطار الباحث بقبول بحثه للنشر للمجلة دون غيرها.

14– مسؤولية مراجعة و تصحيح و تدقيق لغة البحث تقع علي الباحث، على أن يقدم ما يفيد بمراجعة البحث لغويا، ويكون ذلك قبل تقديمه للمجلة.

15– ترسل البحوث والدراسات والمقالات باسم مدير التحرير.

بخصوص البحوث والدراسات والمقالات التي تسلم إلى مقر المجلة، فإن البحث يسلم على قرص مدمج(CD) مرفقا بعدد 2 نسخة ورقية.

للمزيد من المعلومات والاستفسار يمكنكم المراجعة عبر :

البريد الإلكتروني

jurbwu@bwu.edu.ly

صفحة المجلة علي فيسبوك

(مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية و التطبيقية)

مقر المجلة

إدارة المكتبات والمطبوعات والنشر بالجامعة – المبنى الإداري لجامعة بني وليد

بني وليد – ليبيا

مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية

محتويات العدد

عنوان البحث	أسم الباحث	رقم الصفحة
توظيف التراث التاريخي في روايات الغيطاني	د.عبدالله صالح الطاهر	8
من صور الدلالة المعجمية عند أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن (ت/ 210 هـ)	د. أبوبكر حسن عمر البقار	23
المناسخات في علم الفرائض (نظريًا وعمليًا)	د. عبدالله أمبارك أحمد الدعيكي	43
لجنة الواحد والعشرين في ليبيا من 27 يوليو إلى 25 نوفمبر 1950	د. مصباح ياقة السوداني	61
الجدل السقراطي ومخرجاته العلمية والعملية	د. كلثوم عثمان حسن الحضيري	71
الوسائل السلمية لحل المنازعات الدولية	أ . حمزة الزروق حبيل	88
التحليل الاقتصادي لتشريعات المسؤولية التقصيرية العربية	محمد ميلاد سعيد سالم	106
جائحة كورونا و انعكاساتها على بعض المتغيرات الاقتصادية الدولية 2020	أ.أمحمد مفتاح الغطاس	131
دراسة أصناف الزيتون الموجودة في وادي بني وليد والآفات المنتشرة والعوامل البيئية المؤثرة على زراعة الزيتون بمنطقة بنى وليد – ليبيا	أ.عائشة ميلاد أبومهارة د.أسامة السنوسي لامة	156
دراسة مختبرية لتقييم كفاءة عامل المكافحة الأحيائية الترايكوديرما ضد مرض الذبول وتعفن الجذور الفيوزاريومي على أشجار الزيتون	د. فاتح عمر عجاج زيدان د. محمد نافع السطيل	181
التقييم الحسي للزبادي المصنّع من حليب الماعز المدعوم بالحليب المجفف ومعرفة الخواص الفيزيوكيميائية للزبادي	أ.عيسى مسعود علي الفرعوني أ. نوري محمد حسين ميلاد أ. احمد عطايا الله عبد الله عثمان	191

توظيف التراث التاريخي في روايات الغيطاني

د.عبدالله صالح الطاهر- كلية التربية – جامعة بني وليد

تمهيد:

للتاريخ أهميته الكبرى في حياة الأمم، فهو الذاكرة التي تشـــهد على عظمة الأمم وأمجادها وتحرص كل أمة على تدوين تاريخها، وإذا كانت الحضـارة المعاصـرة قد بلغت أوج ازدهارها وتفوقها في العصر الحالي، فإنها لا يمكن أن تتنكر لقيمة الماضي بإنجازاته وإسهاماته الحضارية التي كان لها دور كبير فيما وصلت إليه الحضارة المعاصرة الآن.

والأديب من أكثر الناس إحســاســاً بقيمة الزمن، ماضــيه وحاضــره ومســتقبله؛ لأنّ تجربته الإبداعية من تدخل في نطاق هذا الزمن بأشكاله المختلفة، ومن ثم فإن إحساسه بالماضي والتاريخ نبع أســاســاً من عمق تجربته الإبداعية، ومعايشــته للزمن قبل وأثناء وبعد الكتابة، كما تلعب الخبرة والمعرفة دوراً كبيراً في تنمية هذا الإحساس لدى الأديب، حيث يشكل الماضي وعي الأديب ويزوده بروافد كبيرة من روافد الثقافة التي يقوم البناء الفني عليها.

وإذا كان الأديب يشـعر بقيمة الزمن من هذه النواحي، فإن هناك قيمة أكبر للماضـي إذ مثل الملاذ والملجأ للأديب الذي يعيش في عصـر مليء بالإحباطات المتكررة، ويشـعر بالقهر والاغتراب في زمن الآلة التي حلت محل الشعور والأحاسيس.

وإذا نظرنا إلى توظيف الأدباء لتجارب التاريخ لســـوف نجد أن هذه الظاهرة عامة في كل الآداب العالمية، ولا تميز الأدب العربي وحده، ذلك أن دوافع اتجاه الأدباء إلى التاريخ تتســـم بالمشاركة في الثورة والتمرد على الأوضاع السائدة، وتلوذ بالتاريخ اعتزازاً واعتباراً، ومن المعروف أن (ويليام شكسبير) قد استثمر في تراثه المسرحي المادة التاريخية التي قدمها (بولتارك) استثماراً طيباً، غير أنه تميز بقدرته على تصـوير عوالم الشـخصـية وما يعتورها من تغير، بحيث أنه نجح في خلق شخصيات إنسانية خالدة لأنها تخاطب الإنسان في كل مكان.[1]

كما اتجه كثير من الأدباء العالميين الكبار هذا الاتجاه، وذلك ترويجاً لأعمالهم الإبداعية الممزوجة بالتاريخ القومي لهم.

(1) الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، د. قام عبدة قاســم، د. أحمد الهواري، الهيئة المصـــرية للكتاب، ط1، ص232.

وإذا كانت سمة توظيف التاريخ عالمية، فإن الأدباء العرب وعلى رأسهم عميد الرواية العربية نجيب محفوظ، قد وظفوا التاريخ في أعمالهم الروائية، فنجيب محفوظ كتب الرواية التاريخية مع تركيزه على تاريخ مصـــر الفرعوني، كما اهتم جرجي زيدان بالرواية التاريخية، ولكنه ركز على نقاط الضـعف في التاريخ الإسـلامي، كما يمكن اعتبار علي أحمد باكير رائداً في هذا المجال، ولعله من الصـــعوبة بمكان اعتبار كثير من الأعمال الروائية التاريخية روايات تاريخية لمجرد احتوائها على أحداث تاريخية، فالرواية التاريخية سـرد فني له أسـسـه وقواعده، كما أنه له تكتيكاً خاصـاً، فالرواية التاريخي لا تعني كما يفهم البعض ((بتقديم التاريخ للقارئ بالدرجة الأولى لأن وثائق التاريخ كفيلة بأداء هذه المهمة، وإنما تكمن قيمتها في مدى براعة الكاتب في اسـتغلال الحدث التاريخي واعتماده إطاراً ينطلق منه لمعالجة قضية حية من قضايا مجتمعه الراهن))[1].

فالراوي الذي يوظف التاريخ ينبغي أن يكون له الوعي الكافي بما يوظفه فهو ليس مطالباً بتقديم المادة التاريخية بحذافيرها لأن كتب التاريخ كفيلة بذلك، كما أنه غير مطالب بتحسـين صـورة هذا التاريخ، من خلال إعادة كتابته بشـــكل فني يتيح للجمهور الإقبال على قراءته، ولكنه مطالب باتخاذ موقف معين من هذا التاريخ، مطالب باختيار دقيق لأحداث منتقاة وإعادة صـــياغتها برؤية عصـرية بشـكل إيجابي في قضـايا الواقع والمجتمع، وبسـبب هذه الصـعوبات التي تواجه الرواية التاريخية فإن صـــعوبة بالغة تواجه الدارس في تعريفها، ولذلك فإن النقاد المعروف (ترنر) يرى أن تعريف الرواية التاريخية لا يمكن التوصل إليه من خلال السمات الشكلية للنوعين: التاريخ والرواية، فهو يرى أن الاختلاف بينهما لا يرجع إلى الشـــكل وأن خصـــوصـــية الرواية التاريخية تقبع في المضـــمون نفســـه، كما أن هناك ثلاثة أنواع متباينة من الروايات التاريخية لا ينبغي الخلط بينهما، فهناك التي تلفق الماضـــي وتخترعه، وهناك الرواية التي تقنع الماضـــي وتوريه، والرواية التي تبعثه وتجدده.[2]

ولاشك أن هناك اختلافاً كبيراً بين هذه الأنواع الثلاثة من حيث الشكل والمضمون، ولذلك فإن كثيراً ما نطلق عليه (رواية تاريخية) لا يمكن اعتباره كذلك، بســـبب الفهم الخاطئ للرواية التاريخية، والذي أدى إلى استغراق الروائي في التحليل التاريخي المعقد والبحث عن هامشيات وتفاصيل التاريخ بشـكل جاف ينأى عن روح العمل الأدبي، التي تقوم على الابتكار والإبداع وإعادة التشـكيل والخلق الفني.

(1) الرواية والتراث السردي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992م، ص5.
(2) ينظر: الرواية والتاريخ، فريال غيوري، مجلة فصول، العدد 2، لمجلد 2، 1982م، ص195.

فالأديب في توظيفه للتاريخ في أعماله الأدبية لابد أن يعيش حالة من الرفض والخروج المشروع على التاريخ، ولا ينبغي أن يتقيد بالحرفية التاريخية، التي قد تفسد عمله الأدبي بل ((إنه يكون في حل من القيود الصارمة التي يفرضها المؤرخ على نفسه، فهو يرى في الحقيقة التاريخية شيئاً أشبه بالهيكل العظيم، فيكسوها بخياله الفني لحماً وينفخ فيها من روحه الإبداعية، فإذا الحدث التاريخي قد استوى كائناً حياً جاءنا عبر العصور، ليس على صورته التاريخية الدقيقة، ولكن في الإطار العام للحقيقة التاريخية))[1].

وإذا كان توظيف التاريخ في الأعمال الأدبية لا يعني بالتاريخ بوصفه غاية، فإنه يلزمه أن يتسم بالقدرة على استخلاص العبرة من خلال هذا التاريخ، وذلك عن طريق دقة الملاحظة وتعمق النظر إلى بواطن الأمور، ومزج ذلك بروح العصر، وليس مجرد الوقوف عند الحقبة التاريخية، وعلى كلٍ ((فالروائي المؤرخ تلزمه صفتان: عقيلة تاريخية تستطيع أن تستخلص الصورة من سجلات الماضي، وتكون الأفكار عن حقيقته، وقوة الخيال الخالق الذي يستطيع استحضار الأحاسيس والمشاعر التي ألمت بنفوس أهل تلك العصور الغابرة))[2].

وعليه فإن التاريخ تميز بالتسجيل الشامل والمستوعب للأحداث مع قدرته على التحليل المفصل للوقائع التاريخية، بينما تعمد الرواية التاريخية إلى اختطاف اللمحة التي تضيء لها جوانب معينة، كما تمتلئ الرواية التاريخية بالتصوير والوصف والحوار وسائر الجوانب الجمالية التي تعطي للرواية بعداً درامياً مؤثراً، كما أنه تثير عبق الذاكرة والبطولات في نفوس زينة، تعاني من الانهزام المادي والروحي، وتعيش في مرارة الإحباط واليأس.

وبنظرة سريعة إلى الأدباء الذي وظفوا التاريخ بوعي وامتداد نجد أنهم ((تفاعلوا مع التاريخ روائياً ولم ينحصروا داخل الإطار الهروبي، بطل طرحوا جانباً جدياً يلتصق بالواقع أكثر ويعايش الآمال اللصيقة الحياة، وإن لم يعالجها معالجة واضحة، كانت محاولتهم هي إحياء الماضي في خيال الأمة ليتحرك فيها إحساساها بذاتها وحاضرها، الذي هو امتداد لذلك الماضي))[3].

مما سبق القول بأن الرواية التاريخية ليست هي تلك الرواية التي تهتم بالتفاصيل التاريخية البحتة، وإنما هي الرواية التي تقوم على انتقاء أحداث بعينها تصلح لإبراز مضامين معاصرة، كما أنها تعيد اكتشاف التاريخ بروية الفنان، ولذلك فإنها تضيف إلى هذه المادة التاريخية المنتقاة عنصر الخيال والتشوق وسائر العناصر الجمالية الأخرى ، التي تتصف بها الروايات الأخرى، وبذلك فإن

(1)الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص14.
(2)الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، مرجع سابق، ص51.
(3)الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، سلمان الشطي، المطابع العصرية، الكويت، ط1، 1976م، ص29

عدداً كبيراً مما نطلق عليه اسم (روايات تاريخية) لن ينسحب عليه هذا الوصف إذا أنه سكون أقرب إلى الدرس التاريخي وليس الرواية التاريخية.

المبحث الأول: توظيف التاريخ عند الغيطاني:

عند الرجوع إلى الأعمال الروائية المعتمدة على التاريخ، يمكن تقسيمها إلى شكلين أساسيين:

الشكل الأول: ينظر إلى التاريخ على اعتباره مادة حكائية يقوم عليها البناء الروائي، ولا يلجأ الروائي إلى تغيير الكثير من حوادث هذا التاريخ إلا بقدر يسير، وهذا الشكل يتشابه مع الكتابة التاريخية في صدقه وأمانيه.

والشكال الثاني: هو الذي ينظر إلى التاريخ لا على اعتبار أنه مادة يحاكيها ولكن على اعتبار أنه مادة صالحة للإسقاط على الواقع المعيش، فهو يستلهم في هذه الحالة روح التاريخ وما يصلح لإبراز المضامين الأساسية والاجتماعية المعاصرة، وفي هذا الشكل ((يتم تقديم نص سردي جديد (الرواية) وإنتاج دلالة جديدة لها صلة بالزمن الجديد الذي ظهر فيه النص))[1].

وعلى أساس التقسيم السابق يمكن اعتبار الكثير من الروايات التاريخية من النوع الأول، ومن أمثلتها روايات جرجي زيدان وعلي أحمد باكير وعبدالحميد جودة السحار، حيث اعتمد هؤلاء على استنساخ المادة التاريخية، بينما ينتمي إلى النوع الثاني صنع الله إبراهيم ويوسف القعيد وإميلي حبيبي ويأتي جمال الغيطاني في طليعتهم من هذه الناحية.

لقد اتجه الروائي جمال الغيطاني إلى التراث التاريخي موظفاً شخصياته ورموزه في العديد من أعماله القصصية والروائية من التاريخ، ولعل رواية (الزيني بركات) هي أبرز روايات الغيطاني التي تقوم على توظيف تاريخ العصر المملوكي.

تدور رواية (_الزيني بركات) في العصر المملوكي، ذلك العصر السريع في إيقاعه وتحولاته، والمليء بالمتناقضات، وتلتقط الرواية فترة محددة في تاريخ مصر المملوكية وذلك في أواخر فترة حكم المماليك، وبداية ظهور دولة الأتراك العثمانيين (912هـ-922هـ) وقد شهدت هذه الفترة القصيرة عوامل سقوط دولة، قيام دولة أخرى على أنقاضها.

تبدأ الرواية بسرد من مشاهدات رحالة بندقي يدعى ((فيما سكونتي جانتي)) وهو من زوار القاهرة المترددين عليها دائماً، ويحكي هذا السرد أحوال القاهرة 1922هـ عام 1517م، وعلينا أن نلاحظ أن اسم الرحالة وذكر التاريخ هجرياً وميلادياً يعمد إلى إقناعنا بأننا في رحاب التاريخ.

(1)الرواية والتراث السردي، سعيد يقطين، مرجع سابق، ص5.

وفي سرد مشاهدات الرحالة لأحوال القاهرة وصف مكثف لما جدث إبان تغلب العثمانيين على المماليك، وماساد أهل البلاد من جزع وخوف واضطراب وما أصاب الناس من تغيير حتمي في أسلوب حياتهم، يقول الرحالة عقب سقوط القاهرة في أيدي العثمانيين.

((وجه القاهرة غريب عني، ليس ما عرفته في رحلاتي السابقة، أحاديث الناس تغيرت، أعرف لغة البلاد ولهجاتها، أرى وجه المدينة مريضاً يوشك على البكاء امرأة مذعورة تخشى اغتصابها آخر الليل حتى السماء نحيلة زرقاء، صفاؤها به كدر، مغطاة بضباب قادم من بلاد بعيدة))[1]، وبهذه الافتتاحية يكون الروائي قد بدأ روايته من النهاية ففي هذه الافتتاحية تلخيص واختصار لما تم، وهو في هذا يسير على أسلوب عكسي، ثم بعد ذلك يدخل في سرد الأحداث التي أدت إلى هذه النهاية.

انتقل الغيطاني مباشرة بعد هذه الافتتاحية إلى فصول روايته، غير أنه يطلق عليها اسم فصول، بل أطلق عليها (سرادقات) وذلك تعميقاً للحس التاريخي الذي يكتب تجربته الإبداعية في محاربه.

في السرادق الأول تحدث عما جرى لعلي بن أبي الجود، وبداية ظهور الزيني بركات لبني موسى، وقد تضمن هذا السرادق مجموعة من النداءات والتقارير التي تشرح وقف المتحسب السابق على بن أبي الجود وصدور الحكم عليه بالإعدام، وذلك بسبب سيرته الظالمة في الرعية أثناء توليه الحسبة، وقد حثت هذه التقارير الناس على الالتفاف حول شخصية عظيمة آخذة في الظهور، هي شخصية الزيني بركاته، الذي سيشغل منصب المحتسب الجديد، وقد أشيع بين الناس حكايات عن الزيني تدل على عدله وحبه للمساواة بين الناس ومحاربة الفساد والظلم، مما أعطى للناس أملاً جديداً في الخلاص مما لحق بهم على يد المحتسب السابق.

السرادق الثاني: والذي جاء تحت عنوان: (شروق نجم الزيني بركات) وثبات أمره وطلوع سعده، واتساع حظه، ويبدأ السرادق الثاني بالنداء الآتي: ((يا أهالي القاهرة، أمر مولانا السلطان بتسليم المجرم ابن المجرم علي بن أبي الجود إلى ناظر الحسبة الشريفة الزيني بركات بن موسى، ليتولى أمره، ويأخذ حقوق الناس منه))[2]، وتتوالى النداءات والدعوات للزيني بركات بالتوفيق والسداد، ويحصل على مباركة الشيخ أبي السعود أحد العلماء المعروفين، وعلماء مصر، حين رأوا فيه قارب نجاة وملجأهم من بطش السلطة، لأنه ليس متعالياً ولا متغرباً، إنما يعرف أحوال الخلق، ويقشعر جسمه لذكر المظالم، يأنف تعذيب الإنسان ويركع للصلوات في أوقاتها.

(1)الزيني بركات، جمال الغيطاني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، ص9.
(2)المصدر نفسه، ص68.

ففي هذا السرادق يتحدث الروائي عن شخصية لها دور أساسي في الرواية وهي شخصية (سعيد الجويني) حيث يمثل جانب الطهر والبراءة في هذه الرواية التي سيسيطر عليها عالم البصاصين وهي شخصية حالمة تريد أن تنعم بالهدوء والاطمئنان النفسي ((آه لو يمضي إلى جامع الحسين، يشد عمره إلى الباب الأخضر، لا يفارق الحبيب، يتلو الأذكار ويناجي الشهيد، آه لو يمضي إلى مساح ينزع خمارها، يضمها كنزاً غالياً وطلمساً وشعراً لم ينشد مثله))[1].

وفي السرادق الثالث: يرد فيه أحداثاً تدور حول حياة ابن أبي الجود حيث اتضح أنه يخفي من الثروة التي نهبها من الشعب مائة وخمسين ألف دينار من الذهب، كما وجد عنه ياقوت أحمر، مما أدى إلى مطالبة الناس للاشتراك في تعذيبه، وقد كانت وقائع تعذيبه بشعة إلى أبعد الحدود وأقسى أنواع هذا التعذيب بإهانته وإذلاله وطلبه للموت فلا يجده.

((أحضروا فلاحاً من المحابيس المنسيين، نزعوا عونه ثيابه تماماً نظروا إلى علي بن أبي الجود، قال الزيني: انظر سأفعل بك كما أفعل بالرجل، أظهروا حذوتين ساخنتين لونهما أحمر لشدة سخونتهما، بدأ يدقهما في كعب الفلاح المذعور، نفذ صراخ الفلاح إلى ضلوع علي، ولكما حاول إغلاق عينه يصفعه عثمان بقطعة جلد على قفاه))[2].

وفي هذه الصورة البشعة في تعذيب علي بن أبي الجود تظهر النهاية الآلية والمخزية التي كانت في انتظاره على يد خلفه الزيني بركات وقد بدت رغبة الناس في التشفي منه واضحة بشكل لافت للنظر.

وينتقل الكاتب إلى السرادق الرابع، حيث يجتمع شمل الزيني بركات مع زكريا بن راضي نائبه وكبير البصاصين، بعد صراع والوجس دام بنيهما طويلاً، وقد اهتدى كل من الرجلين إلى أن من الأفضل لهما أن يتعاونا بدلاً من التناحر، من أجل إحكام قبضتهما وتثبيت مكانتهما في السلطة، وفي هذه الأثناء كانت الدعوة لآل عثمان قد ظهرت، وبدأ الناس يشكون في مصداقية الزيني بركات وتناقضه الواضح، حيث تظاهر بالعدل وعدم الظلم، وفي الوقت ذاته سمح للتجار باحتكار السلع الغذائية وعندما كان الناس يواجهونه بذلك كان يحسن الخروج من تلك المآزق، فهو شخصية واسعة الحيلة عظيمة الدهاء.

وتناول السرادق الخامس: اجتماع كبار البصاصين في أنحاء القاهرة لتدارس أحوال البصاصة والنظر في الأساليب المتبعة وما يستجد منها، وكذلك تبادل المعرفة والفوائد، جاء في هذا التقرير ((إنني أرى يوماً يجي ء فيمكن البصاص الأعظم أن يرصد حياة كل إنسان منذ لحظة ميلاده حتى

(1)المصدر نفسه، ص104.
(2)المصدر نفسه، ص125.

مماته، ليس الظاهر فحسب إنما ما يبطنه من خواطر ما يراه من أحلام، بهذا نرصد كل شيء منذ مولده، نعرف أهواءه ومشاربه بحيث تتنبأ بما سيفعله في العام العشرين من عمره...))[1].

ويروي الكاتب بعد ذلك في السرادق السادس عذابات سعيد الجهيني وآلامه وما يعيش فيه من صراع نفسي أليم بسبب انخداعه هو وسائر الناس في شخص المحتسب الذي علقوا عليه آمالهم المعقودة في العدل والحرية، فإذا به يسفر عن وجه لا يعرف إلا البطش والقهر، وإذا به في أحط مراتب البشر حيث لا يعدو أن يكون عميلاً للعثمانيين، وفي هذا السرادق تبدوا آثار الفجيعة على المصريين جميعهم بسبب دخول الجند الغرباء للبلاد ((أتى اليوم الذي ترمى فيه كل ذات حمل حملها، وترى الناس يكارى وما هم بسكارى، أهي القارعة، وما أدراك ما القارعة، في الهواء زمة، أهو الدخان الذي يظهر قبل قيام الساعة؟ الجند الغرباء يغتصبون الأبكار على باب جامع المؤيد، عند القبة التي انحنى فوقها مرات ومرات))[2].

ويستمر الزيني بركات في خداع الشباب واستقطاب سعيد الجهيني ومحاولة إعداده وتهيئته للعمل معه، بحجة الجهاد ضد العثمانيين، وفي هذه المرة طلب الزيني من سعيد الإدلاء بأسماء الشباب المجاهد والمكافح لكي يكون منهم جماعة سرية للتصدي للغزو العثماني.

ويتكون السرادق السابع والأخير من صفحات ثلاث وهو بعنوان ((سعيد الجهيني . آه أعطبوني وهدموا حصني)).

وهي عبارة عن مقتطف أخير من مذكرات الرحالة البندقي، وفي هذه المذكرات نقف على الفصل الأخير من حياة الدولة المملوكية، بعد أن تمكن جنود العثمانيين من حصار البالد، وظهر للعيان خيانة الزيني بركاته، وأنه لم يجمع الشباب لمقاومة الاحتلال كما زعم ((قال بعض المشايخ: إنه – أي الزيني – يحاول لم الشباب لمجاهدة ابن عثمان، لكن أحدهم أبدى شكاً في مقصد الزيني خاصة بعد طلوعه إلى القلعة مرات عديدة، وجلوسه مع (خاير بك) أوقاتاً طويلة وعلمت أن (خاير بك) أبدى رضاه عن الزيني))[3].

وإلى هنا تنتهي أحداث الرواية التي دارت أحداثها في محراب التاريخ في عصر سلاطين المماليك.

وللغيطاني مجموعة قصصية يقوم بعضها على توظيف للتاريخ، كما في رواية الزيني بركات، ويقوم بعضها الآخر على تجارب ذاتية وإبداعية، ليس التاريخ أحد مكوناتها، كما في شطح المدينة وهاتف المعيب وغيرها.

(1)المصدر نفسه، ص207.
(2)المصدر نفسه، ص240.
(3)المصدر نفسه، ص249.

ويظهر جلياً أن تجربته في توظيف التاريخ لم تفرض عليه فرضـاً، إنما خاض التجربة بوعي شديد، فبعض الأدباء يتجه إلى التاريخ من أجل العثور على مادة حكائية تصلح لأعماله القصصية، ولا يملك هؤلاء ســـوى ذلك، غير أن الغيطاني يمتلك من الأدوات الفنية ما يؤهله لكتابة كل أنماط الســـرد الحديثة، ومن ثم فإن تجربة الغيطاني في توظيف التاريخ في أعماله الســـردية، تجربة لها تميزها وتفردها، كما أن لها فلسفتها بوضـوح رؤيتها وليست الصـدفة أو الظروف هما اللتان أجبرتاه على خوض هذه التجربة.

وإذ بحثنا في أسباب لجوء الغيطاني لتوظيف التاريخ في أعمالها لوجدنا أن السبب الأساسي يمكن في تفاعله وإحساسه الشديد بالزمن والزمن بما يملكه من سطوة جبارة وبأس شديد، الزمن الذي يتحول بشكل مثير ومخيف من حالة إلى أخرى، الزمن تلك اللحظة الفاصلة بين التحولات المختلفة، يقول الغيطاني : ((منذ زمن بعيد وأحد همومي الأساسية قضية الزمن، وكان ذلك أحد الأسباب التي جعلتني اتجـه إلى التاريخ بمراحلـه المختلفة، والتاريخ عند هو الزمن، الزمن الجبار القاهر المحيي المميت في صيرورته الرهيبة والذي يحولنا باستمرار إلى الماضـي الذي يجلب الذكرى والنسيان، منذ زمن بعيد وأنا أتأمل الزمن وأمعن التفكير فيه، بدءاً من الحركة الميكانيكية البســيطة للثواني والدقائق والساعات إلى حركة الأفلاك، توالي الليل والنهار، إلى انقضـاء السنوات إلى الميلاد والموت التاريخ عندي هو الزمن المنقضـي المنتهي، لا فرق بين لحظة مضت منذ ثوان ولحظة مرت على انقضـائها آلاف السنين، كلاهما لا يمكن استعابته))[1].

ولعل الغيطاني لا يهتم بالتاريخ المعروف (المتداول) إنما ينصـب جل اهتمامه على ما أهمله الزمن ونســاه التاريخ، عندما يقف الغيطاني أمام اللحظة الزمنية متأملاً ومتدبراً، فهو يكترث أســاســاً بما لا يكتب، ولا يدون، يبرز لنا ذلك في حديثه عن هزيمة 1967م وفي تجربته كمراسل حربي سنة 1968م من الجهة التي لم يذهب إليها ليبحث عن مواد قصصية، كما يمكن أن يفعل بعض الكتاب؛ لأنّ من يذهب بهذه الخلفية يرى الغيطاني لا يصـل إلى شـيء يقول عن هذه التجربة: ((أنني أرهف السمع، أسدد البصر إلى زاويا التاريخ القريب والحاضر، فكل حاضر تاريخ، لكي أسمع وأرى أنات وأشواق وملامح هؤلاء الذين ننسى أصواتهم، ويتجاهل الزمن ملامحهم)) [2].

إن الإحساس بالزمن، مبعثه الأساس إرادة الإنسان تحدي العدم والفناء؛ لأن الزمن سرعان ما يتحول من حالة إلى حالة، وفي هذا القول يكمن الخوف من الفناء، ومن الصــيرورة إلى اللاشــيء، ولذلك فالإحساس بالزمن يعد مقاومة للتلاشي والفناء.

(1)جدلية التناص، حوار مع جمال الغيطاني، مجلة ألف العدد الرابع، 1984م، ص80.
(2)الرواية والتراث السردي، سعيد يقطين، مرجع سابق، ص93.

لاشك أن الإنسان مولع بالتجديد، ومن ثم فهو يسعى إلى تغيير في أنماط حياته وسلوكياته، والأدب على اعتبار أنه أحد أنماط الحياة التي تبحث عن التجديد قد نال حظه من هذا التغير، ولذلك فإننا نرى الدعوات الدائمة للبحث عن طرق جديدة في التعبير وفي طرق القص، وذلك من أجل القضاء على الرقابة التي يسببها الثبات والركود.

ولعل هذا التغيير والبحث عن طريق جديد في الكتابة الأدبية هو ثاني الأسباب التي دفعت بالغيطاني إلى توظيف التاريخ، إذ تتميز لغة التاريخ عند بعض المؤرخين الأفذاذ بجاذبية خاصة، ففي هذه اللغة ومن خلالها تبصر ملامح عصر وتحولاته، وترصد حياة بأكملها تبعث من جديد.

وقد اهتم الغيطاني بكتابات المؤرخين في العصر المملوكي على وجه الخصوص، وكان لهذه الكتابات أكبر الأثر في تعميق إحساسه بالتاريخ، ولم يعبأ كثيراً بالتاريخ البعيد وقد عايش الغيطاني تاريخ مصر المملوكية مرتين: مرة من خلال قراءاته ومرة أخرى وهو يرى شواهد هذا التاريخ رؤية عيان، من خلال العلاقة الصورية التي تشغل حيزاً مكانياً وزمانياً في آن، وتتجلى هذه العلاقة في المعمار الإسلامي المتمثل في المساجد والمزارات التي أبدعها المماليك وما زالت شاهداً على زمانهم الماضي.

وعلى رأس مؤرخي العصر المملوكي يأتي (ابن إياس) في طليعة المؤرخين الذين رجع إليهم الغيطاني، وهو يبحث عن شكل جديد للرواية وعن لغة خاصة لا تصف ولا تسرد فحسب إنما تشف ولغة (ابن إياس) لغة أسرة، حيث استطاعت أن تسجل صورة مصر في عهد سلاطين المماليك تسجيلاً دقيقاً، ولم يخل تصويره للواقع من الإثارة والمتعة بسبب ما يتمتع به تأريخه من عناصر القص والخيال، وقد تميز ابن إياس بأنه جمع في خططه وحولياته بين كتابة الأحداث بشكل تسجيلي تاريخي، وبين الصياغة الأدبية لها، فكان يسجل الأحداث سنة بسنة وشهراً بشهر ويوماً بيوم في شكل تقارير شاملة للوقائع السياسية.

مما سبق نتبين أن الزمن بصيرورته الرهيبة كان من أقوى الأسباب التي جعلت الغيطاني يتجه إلى التاريخ، كما كان البحث الدؤوب عن طريقة جديدة في الكتابة الروائية هو ثاني الأسباب، وكذلك التشابه الكبير في ظروف مصر في العهدين المملوكي والمعاصر، جذب الكاتب بشدة إلى إقامة علاقات متوازية مع هذا الواقع من خلال إسقاط هذا الماضي على الحاضر.

المبحث الثاني: أشكال التوظيف عند الغيطاني:

إن الكتاب الذين وظفوا التاريخ في رواياتهم ينقسمون إلى نوعين اثنين:

النوع الأول: وهو الذي يبحث عن مادة روائية في خضم الأحداث والوقائع التاريخية.

النوع الثاني: هو الذي يبحث عن طريقة جديدة في توظيف المادة التاريخية، فهم لا يهتمون أساساً بالأحداث التاريخية بقدر اهتمامهم بطريقة السرد الروائي، وهذا النوع من الكتاب يمتلك رؤية خاصة وفلسفة تجاه توظيفهم للمادة التاريخية.

والغيطاني ينتمي للنوع الثاني من الكتاب الذين لا يقفون عند حدود الحصول على المادة التاريخية، ولكنه يطمح إلى غاية أكبر، تتلخص في سعيه الدائم من أجل إعادة اكتشاف مساحة خصبة في تاريخ القص العربي، وهذه الخاصية لم يلتفت إليها الكثير من الأدباء.

إن قيمة توظيف المادة التاريخية لا تكمن في إعادة صياغتها صياغة حرفية، بل تكمن في الصورة الجديدة بعد التوظيف، وذلك بما يمتلكه الروائي من أدوات فنية فعالة، والغيطاني في روايته (الزيتي بركات) التي تحاكي النص التاريخي الأصلي، يظهر إسقاطاته على واقع مصر في الستينات، وقدرته على الاحتفاظ بخصوصية النص التاريخي.

وسنعرض في هذا المبحث بشكل موجز لبعض الاختلافات بين النص التاريخي عند ابن إياس والنص الروائي عند الغيطاني، وأسباب هذه الاختلافات وكذلك سنعرض لتضمين الروائي لصفحات كاملة في روايته.

لقد استطاع الروائي أن يرسم صورة دقيقة وشاملة لأواخر العصر المملوكي، وذلك من خلال اختياره لحقبة زمنية معينة، وهذه الصورة شملت عادات المصريين وتقاليدهم، فقد صور الروائي الأسواق الشعبية والباعة والعادات الاجتماعية في زمن المماليك، تصويراً شاملاً، من خلال لغة أدبية حديثة، بما تحتويه من تكثيف في الوصف وتصاعد في الأحداث الدرامية، وقد ((صور الروائي ملامح هذا التدهور والانحلال تصويراً شعرياً وبصدق تاريخي يتفق مع تصوير ابن إياس لسنوات احتضار نظام المماليك))[1].

إن أهمية رواية (الزيني بركات) من حيث إنها رواية تستقي مادتها من التاريخ ، يرجع إلى أن الرواية كتبت عن فترة من أهم الفترات التي عاشتها مصر وصورت الرواية أحول المجتمع المصري في القرن السادس عشر بشكل وثائقي، أقرب إلى لغة العصر المملوكي، ولذلك فقد احتوت الرواية على الكثير من النداءات والمراسيم والرسائل والتقارير والفتاوى، التي قام عليها هيكل الرواية وبناؤها، ((ويختلف هذا النمط من الرواية التاريخية عن غيره من الروايات التاريخية في أنه يقيم موازاة نصية

(1)أصوات جديدة في الرواية العربية، أحمد محمد عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1987م، ص25.

من خلال معارضة شكلية لغوية للنص التاريخي، فجمال الغيطاني يحاكي قول ابن إياس التاريخي، أي أنه لا يلجأ إلى استخدام محتوى تاريخي في لغة عصره، بل ينتقل بنصه الخاص إلى الحقبة التاريخية السالفة))[1].

لذلك فبعض النقاد يرون أن الغيطاني على الرغم من اعتماده على نص ابن إياس التاريخي، إلا أنه قد استطاع أن يحاكي الواقع المعاش، بتنويعاته وتنقلاته المختلفة في الزمن ببلاغة شديدة ((فالغيطاني يلجأ إلى التاريخ ليكتب الواقع التاريخي، فاللجوء إلى التاريخ في هذا السياق مرتبط بمعطيات الواقع الذي ينتج الكاتب نصه في إطاره، ومن خلال شروطه، ذلك أن الكاتب يلجأ في وضعية القهر ومصادرة الرأي الآخر إلى وسائل بنائية مراوغة مزدوجة الدلالة، وقد لجأ الغيطاني إلى الرمز في (الزيني بركات) ، هذا الرمز الذي اعتمد عليه الغيطاني هو الذي أعطى لروايته كل هذا البعد والاهتمام.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض النقاد لا يرون في رواية (الزيني بركات) رواية تاريخية، بل هي أسلوب جديد استحدثه الغيطاني في كتابه القصة وليس هو القصة التاريخية، فما أكثرها في أدبنا الحديث، ولكنه القصة – التاريخ أي القصة التي تصاغ في شكل تاريخ أو التاريخ الذي يعرض في إطار قصة، لا تخرج منها بإحساس بتاريخ فحسب ، وإنما تخرج منها بقصة ذات عراقة ذات عطر تاريخي[2]، ويعمل هذا التحليل يعد ضرباً من التلاعب بالألفاظ والتقسيمات التي تشبه بتسميات الفلاسفة، فلماذا لا يطلق على هذا الشكل منم الكتابة الروائية رواية تاريخية، فهذا النوع لا يستنسخ التاريخ ولا يحاكيه محاكاة حرفية، إنما يعيد توظيف أحداثاً في بناء سردي محكم.

لقد قام الروائي بإضفاء طابع المعاصرة على روايته ونفي صفت التاريخ وذلك من خلال إبراز مضامين معينة، والتحوير في النصوص التاريخية بما يفيد عمله الإبداعي، فأعمال الغيطاني تنطلق في جزء منها من التاريخ المملوكي، فظهور الزيني بركات على ساحة الأحداث كما يشير ابن إياس كانت سنة 908هـ ، بينما يجعل الغيطاني هذه البداية سنة 912هـ ، فطبيعة الحبكة الفنية اقتضت عليه إبراز شخصية الزيني بركات على أنها شخصية أسطورية، وصلت إلى قمة المناصب في زمن قياسي وبدون جهد أو عناء وبغير استحقاق.

كما أن شخصية سعيد الجهيني الطالب الأزهري المثقف، أحد أبرز الاختلافات بين النص التاريخي والنص الروائي، فهي شخصية لا وجود لها في النص التاريخي وقد لجأ الروائي إلى خلقها فنياً؛ لتكون معادلاً موضوعياً للرفض والثورة والمعارضة الواعية. [3]

(1)أصوات جديدة في الرواية العربية، أحمد محمد عطية، ص23.
(2) ينظر :الرواية الحديثة في مصر، محمد بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1993م، ص80.
(3)ينظر: الرواية الحديثة في مصر، محمد بدوي، مرجع سابق، ص82.

وقد صـــور الغيطاني في الفترة التي قضـــاها علي بن أبي الجود في الحبس تصـــويراً امتاز بإضـفاء الرهبة على وسـائل التعذيب المتبعة آنذاك، فقد ظل ابن أبي الجود عامل في السـجن ذاق خلالهما شـــتى أنواع التعذيب البدني والنفســـي، وتجرع مرارة الذل والإهانة، بينما في واقع الأمر قد قضى بضعة أيام في السجن، ولعل إطالة مدة السجن في الرواية يرجع إلى رغبة الروائي في إظهار بشاعة جهاز الأمن آنذاك، والمتمثل في المحتسب الجديد الزيني بركات.

وعليه فإن الروائي الذي يوظف التاريخ في أعماله الروائية، لا يســتنســخ التاريخ وإنما يعيد إنتاجه، فالغيطاني وهو يكتب رواية تتعلق بالتاريخ يخلق لدلالة جديدة من خلال الخطاب الذي ينهض على توظيف الحدث التاريخي في ســـرد درامي، كما عمد الروائي إلى الموازاة بين التاريخ والحاضـر ،وذلك من خلال اسـترجاع صـورة الحسين بن علي والشـيخ ابن عري والسـيدة زينب ولم يهمل الروائي توظيفه للتاريخ الشعبي والأسطوري لبعض الشخصيات، فشخصية (الزويل) شخصية يكتنفها الكثير من الغموض يقدمها الغيطاني في روايته (الزويل) على أنها شـــخصـــية ذات طابع أسطوري، فهي شخصية تجمع بين نموذج المسيح بما ترمز إليه من وراء وتضحية ونموذج المهدي المنتظر بما يرمز إليه من سيادة العدل، فاتباع الزويل يعيشون في عزلة تامة ولهم طقوسهم الخاصة بهم.

((لو رموه في مكان بعيد عن العالم الأرضـي كله، لما لقى ليلاً أسود كهذا، ينزل بئراً، جامداً كالحديد، يترك سواده على الأجسام))[1].

إن تعاليم الزويل وعقائده ليسـت مكتوبة أو مخطوطة في نصـوص معروفة ،كما أنها تفرض على اتباعها نوعاً من العزلة التامة عن المجتمع في سبيل فرض هذه العزلة، تسـعى إلى زرع عيون لها في كل مكان لكي يتعرفوا على آراء الناس فيهم.

((التفت، سنسلف العالم
العرق يرشح من صدره، ملصقاً قميصه بلحمه
نبلغ خط الاستواء فعايش الزنج
نبعد حول رأس الرجاء، نعشق بنات كيب تاون
نتوه في مدغشقر
نأكل تفاح الشام
تغني عند عبورنا الجبال إلى نيبال))[2].

(1)الزويل، جمال الغيطاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1993، ص282.
(2)الزويل، جمال الغيطاني، مصدر سابق، ص254.

إنه عالم الانطلاق والمرج، والرغبة في الاستكشاف، ومما يلاحظ أن الكاتب في وصفه للعالمين يختلف وصفه وتصويره، فالعالم الأول تجد فيه الألفاظ والعبارات الغامضة لأنه عالم موحش مظلم، بينما يقوم العالم الثاني على البراءة والطهر، ومن ثم اتضح اللغة شفافة عذبة.

((هبت برودة خفيفة، مثقلة بوحدة العصر، أثار أقدامنا أحذيتنا الضخمة فوق الرمال، أجمع مائة قوقعة صغيرة، كل واحدة في حجم الأخرى تماماً، أضاع منها عقداً طويلاً بديعاً أعلقه ... أعلقه لمن عيناها تطلان على مكان خفي هنا))[1].

وفي سبيل تحقيق هذه الطموحات يلقى الشابان مصيراً بشعاً على أيدي هؤلاء الزويليين ((ولعل المصيريين على هذا النحو البشع والأسطوري الغريب والقدري الظاهر ينهضان بالرؤية الموضوعية التي تجسدت من خلال هذا المزج الغني المتميز والمعقد بين العالم الأسطوري المبتدع والعالم الواقعي الضحية))[2].

ويمكن للباحث أن يتساءل : هل قدم التاريخ للرواية العربية شيئاً من الناحية الفنية؟ وهل استطاع جمال الغيطاني أن يحول هذا التاريخ إلى مادة قصصية وروائية، فيها من العوامل الفنية ما يكفل لها الخلود والبقاء؟

إن الإجابة على هذا السؤال لا تكون بهذه البساطة، فالرواية التاريخية على الرغم من قدمها ورسوخها فإنها ما تزال في حاجة إلى جهود أكبر لكي تتضح فلسفتها ورؤيتها، وهي في حاجة إلى مثابرة ومواصلة حتى تشق لها طريقاً وسط الأعمال الروائية الأخرى.

ولعل جمال الغيطاني واحد من أهم الروائيين المثابرين في هذا المجال إذ تعد معظم أعماله الروائية شاهداً على توظيفه للتاريخ وهو يصدر في توظيفه هذا للمادة التاريخية، عن فلسفته ورؤية واضحتين، فالتاريخ عنده ليس هو المادة الخام التي يصنع فيها عمله الروائي ولكنه سيرة البسطاء من الناس، والتاريخ ليس هو سيرة الملوك والخلفاء فحسب، ولكنه سيرة البسطاء من الناس، وربما عكس هذا حقيقة انحيازه إلى الطائفة التي خرج من بينها، والتاريخ ليس هو الماضي البعيد الي يجتره الناس، ولكن التاريخ هو الحاضر أيضاً، فالغيطاني يكتب الرواية التاريخية وعينه على الواقع وقضاياه، وهي تعني في المقام الأول بالفن السردي الذي يوظف التاريخ من أجل خدمة الرواية وليس العكس.

وتعتبر أعمال الغيطاني الروائية أبرز النماذج للاتصال الفني بالتراث العربي وتوظيفه وإعادة إنتاجه، من خلال الخفي وراء الرمز استطاع الكاتب أن يدين الواقع السياسي الذي لا يرتضه، هذا

(1)الزويل، جمال الغيطاني، مصدر سابق، ص255.
(2)جمال الغيطاني والذات، مأمون العمادي، مكتبة مذبولي، القاهرة، ط1، 1990م، ص74.

بالإضـافة غلى نزعة التمرد لدى أدباء هذا الجيل، والتي خلقت لديهم رغبة في تغيير الأنماط الفكرية السـائدة، والسـعي الجاد من أجل الوصـول إلى صـيغة جديدة للكتابة الأدبية، وقد فتح هذا بدوره آفاقاً جديدة أمام الرواية العربية، حيث ربطها ربطاً وثيقاً بالتراث العربي القديم.

ولم يكن الغيطاني في توظيفه للترك يبحث عن مادة روائية وأحداث تاريخية تصـــلح لمتنه الروائي، ولكنه كان يستوحي أشكالاً جديدة للتعبير عن القضايا المعاصرة، ولعل أبرزها رواية (الزيني بركات) التي تمثل قدرة الروائي على توظيف الأحداث التاريخية دون الالتزام بحرفية التاريخ، فهو يعكس من خلال السـرد إلى كتابة نص جديد وتقديم دلالة جديدة للمادة التاريخية تتجاوز الماضـي إلى التفاعل مع قضايا العصر الحديث.

إن توظيف التراث التاريخي عند الغيطاني لم يكن هدفه مجرد رصد وتسجلي لأحداث معينة، وإلا لما كان لأعماله تلك هذا الصـــدى وهذا التأثير، ولكنها كانت بعداً رمزياً عن أحداث الواقع السياسي والاجتماعي الذي يعيشه، ورفضاً للنظم الديكتاتورية التي غرست في الناس الخوف والقهر، وتقويماً للسلوكيات المنحرفة.

وصـــفوة القول إن هذا الدراســـة الموجزة قد أظهرت قدرة الرواية التي توظف التراث عامة والتاريخ تحديداً على التعبير عن قضـايا المجتمع السـياسـية، ومختلف الموضـوعات بحرية أكبر من الرواية الواقعية التي تلجأ إلى تســجيل الوقائع والرصـــد المباشـــر لها، ولعل هذا يرجع إلى طبيعة التوظيف الذي يتيح مرونة للكاتب الروائي بأن يعبر عن الواقع بسهولة ويسر.

المصادر و المراجع:

1. أصـــوات جديدة في الرواية العربية، أحمد محمد عطية، الهيئة المصـــرية العامة للكتاب، ط1، 1987م.
2. جدلية التناص، حوار مع جمال الغيطاني، مجلة ألف العدد الرابع، 1984م.
3. جمال الغيطاني والذات، مأمون العمادي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1990م.
4. الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، سلمان الشطي، المطابع العصرية، الكويت، ط1، 1976م.
5. الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، د. قام عبدة قاســـم، د.أحمد الهواري، الهيئة المصرية للكتاب، ط1.
6. الرواية الحديثة في مصر، محمد بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1993م.
7. الرواية والتاريخ، فريال غيوري، مجلة فصول، العدد 2، لمجلد 2، 1982م.
8. الرواية والتراث السردي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992م.
9. الزويل، جمال الغيطاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1993.
10. الزيني بركات، جمال الغيطاني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1.

من صور الدلالة المعجمية عند أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن (ت/ 210 هـ)

د. أبوبكر حسن عمر البقار – كلية التربية – جامعة بني وليد

- **توطئة**

كتاب أبو عبيدة في غريب القرآن الذي سماه (مجاز القرآن) ما يوهم أنه في فن المجاز بمعناه البلاغي، وحقيقة الأمر أنّ كلمة المجاز عنده استنباط الخصائص التعبيرية للأسلوب العربي، والاستشهاد عليها بشعر العرب، وموازنة ذلك بأسلوب القرآن الكريم بغية الوصول إلى الدلالة الدقيقة لصيغ التعبير القرآنية المختلفة .

وتأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على بعض جوانب من صور الدلالة المعجمية عند أبي عبيدة، إذ يُعد كتابه من الكتب الرائدة التي اهتمتْ بمعاني الألفاظ، وهو من أقدم الكتب في هذا المجال، وقد اعتمد عليه كبار العلماء من المتقدمين والمتأخرين .

وقد وقع الاختيار على بعض الآيات القرآنية، نظراً لِما فيها من معانٍ متعددة، ودلالات متنوعة، وقد اعتمدت في تخريج الآيات على رواية حفص عن عاصم.

وقبل الغوص في غمار هذه الآيات الكريمة كان لابد لنا من التعريج على معنى المعجمية، ومدلولها الاصطلاحي.

إنّ المعجم على رغم كونه قائمة من الكلمات التي لا تنتظم في نظام معين إنما تُعد جزءاً من اللغة من حيث يمدّ اللغة بمادة عملها وهي الكلمات المختزنة في ذاكرة المجتمع[1] .

يقول الفخر الرازي :((لا يجب أنْ يكون لكل معنىً لفظٌ؛ لأنّ المعاني التي يمكن أنْ تُعقل لا تتناهى، والألفاظ متناهية، لأنها مركبة من الحروف، والحروف متناهية، والمركّب من المتناهي متناهٍ، والمتناهي لا يَضبط مالا يتناهى، وإلاّ لزم تناهي المدلولات))[2] .

ومعنى ذلك أنّ اللغة مُضّطرة إلى الاشتراك، أي إلى التعبير عن المعاني المتعددة باللفظ الواحد، فعلْمُ الدلالة المعجمية هو فرع من المعجم يعد تشكّل المعنى أحد الأنظمة الفرعية داخل نظام اللغة العام

(1) ينظر: اللغة العربية، معناها ومبناها: ص/316 .
(2) المزهر في اللغة، للسيوطي: 41/1 .

كما يتجلى من خلال تسميته، ومن خلال حرص أصحابه على وضع منهج لدراسة الدلالة بناء على مبادئ عامة تربط دلالة الوحدات المعجمية بقوانين تعللها، وبعلاقات تجعلها ضمن نسيج دلالي متماسك، وتستوعب اللغة باعتبارها أدلة لغوية حاملة لمداليل تعكس تجربة الجماعة اللغوية في الكون، وباعتبار أنّ تلك المفردات أيضاً وحدات معجمية تحقق وظائف تواصلية من خلال دلالاتها الذاتية التي تُعرف من خلال السياق أو مستقلة عنه[1] .

- **الدراسة التطبيقية .**

أولاً: لفظة(يَعْصِرُونَ) في قوله تعالى﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾[2].

يقول ابن فارس:((العين والصاد والراء أصولٌ ثلاثة صحيحة، فالأوّل: دهْرٌ وحينٌ، والثاني: ضغْطُ شيء حتّى يتحلّب، والثالث: تعلُّقٌ بشيءٍ وامتساكٌ به، فالتي بمعنى الدهر كقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴾[3]، والأصل الثاني: العُصارة، ما تحلّبَ مِنْ شيءٍ تعْصِره، والعرب تجعل العُصارة والمُعتصَر مثلاً للخير والعطاء؛ إنه لكريم العُصارة، وكريمُ المُعتصر، والمعصرات: سحائبُ تجيء بمطرٍ، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴾ [4]، وأُعْصِرَ القومُ: إذا أتاهم المطر، وقُرئتْ:﴿ فِيهِ يُغَاثُ النّاسُ وَفِيهِ يُعْصَرُونَ ﴾ أي: يأتيهم المطر، والأصلُ الثالث: العَصَر: الملجأ، يقال: اعتصرَ بالمكان: إذا التجأ إليه، ويقال: ليس لك من الأمر عُصْرة، على (فُعلة)، وعَصَر على تقدير:(فَعَلٍ)، أي: ملجأ))[5].

وقال الأصفهاني:((العَصْرُ: مصدر: عَصَرْتُ، والمعصُور: الشيء العصيرُ، والعُصارةُ: نُفايةُ ما يُعصرُ، قال تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا ﴾ [6]، وقال:﴿ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ ، أي: يستنبطون منه الخيرَ، وقُرِئَ:(يُعْصِرُونَ)، أي: يُمْطرون، واعتصرتُ من كذا: أخذتُ ما يجري مَجرى العُصارة))[7].

(1) ينظر: من طرق تأويل المعنى في علم الدلالة المعجمية، ص/96.
(2) سورة يوسف، آية:(49) .
(3) سورة العصر، الآيتان:(1،2) .
(4) سورة النبأ ، آية (14)
(5) مقاييس اللغة، مادة:(عصر)، ص/680، 681.
(6) سورة يوسف، الآية:(36) .
(7) المفردات، مادة:(عصر)، ص/437 .

يقول أبو عبيدة : ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي به ينجون، وهو من العصر وهي العصرة أيضاً، وهي المنجاة، قال أبو زيد الطائي:

صَادِياً يَسْتَغِيثُ غَيرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عُصرةَ الْمَنْجُودِ

أي: المقهور المغلوب، وقال لبيد:

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَومُ آخرَ لَيلِهم وَمَا كَانَ وَقَّافاً بِغيرِ مُعَصَّر))[1] .

ووصف الطبري هذا التأويل بقوله:((وكان بعض مَن لا عِلم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يُفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يُوجه معنى قوله: ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ، إلى: (وفيه ينجون من الجذب والقحط بالغيث)، ويزعم أنه من العَصَر التي بمعنى المنجاة... وذلك تأويلٌ يكفي على خطئه خلافُه قولَ جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين))[2] .

فالطبري هنا يردّ تفسير اللغة الذي ذهب إليه أبو عبيدة لمخالفته لتفسير الصحابة والتابعين، الذين فسّروه بأنّ معناه: تعصرون الزيت والسمسم، أو تحلبون الحليب، وهذا يعني أنّ التفسير اللغوي الذي ينفرد به أحد علماء اللغة كأبي عبيدة إذا خالف ما أجمع عليه السلف ممن قبله من الصحابة والتابعين وأتباعهم فإنه يُردّ، فالسلف هم أهل اللغة، وهم الذين شاهدوا التنزيل، وصحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانوا أولى الصحابة بإصابة الحق، وأولى بالاتباع، ولذلك قال الطبري في تعقبه لتفسير أبي عبيدة: ((وذلك تأويلٌ يكفي على خطئه خلافُه قولَ جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين))[3] .

لكن ابن عطية يرى في ردّ الطبري أنه بغير حجة [4]، والسمين الحلبي استحسن رأي أبي عبيدة بقوله: ويعضد هذا الوجه مطابقة قوله: ﴿ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾، يقال: عصره يعصره: أنجاه[5].

إذن فقد تعدّدتْ الدلالة اللغوية للفظة: (يعصرون)، ولجميعها شواهد، ولم يكن باعث الاستشهاد اللغوي عند أبي عبيدة هو غموض دلالة اللفظة، بل كان الباعث من الاستشهاد هو الاشتراك الحاصل في معنى اللفظة، فأبو عبيدة فسرّ (يعصرون) بـ(ينْجُونَ من الجدْبِ والقحط بالغيث)، وغيره فسّرها بـ(تعصرون الزيت والسمسم، أو تحلبون الحليب).

(1) مجاز القرآن، 313/1، 314 .
(2) تفسير الطبري: 197/13.
(3) تفسير الطبري: 197/13.
(4) ينظر: المحرر الوجيز: 316/9.
(5) ينظر:الدر المصون: 511/6.

ثانياً: لفظة:(طَلْح)، في قوله تعالى : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾[1] .

جاء في المقاييس:((الطّاء واللاّم والحاء أصلانِ صحيحانِ، أحدهما جِنسٌ من الشجرِ، والآخر: بابٌ من الهزال وما أشبه، فالأوّل: الطّلْحُ: وهو شجرٌ معروفٌ، الواحدة: طلحةٌ، وذو طُلُوحٍ: مكان، ولعلّ به طَلْحاً، ويقال: إبلٌ طَلاَحَى وَطَلِحة، إذا شكتْ عن أكْل الطّلْحِ، والثاني: قولهم: ناقةٌ طِلْحُ أسفارٍ، إذا جهَدَها السيرُ وهزلها؛ وقد طَلِحتْ، والطِّلْحُ: المهزول من القِرْدان، قال:

إِذَا نَامَ طِلْحٌ أَشْعَثُ الرَّأْسِ خَلْفَهَا هَدَاهُ لَهَا أَنفاسها وَزَفِيرُها

ومن الباب: الطّلاحُ، ضدُّ الصّلاح، وكأنه من سوءِ الحالِ والهُزَال))[2].

ويقول أبو عبيدة:((زعم المفسرون أنّه الموزُ، وأمّا العربُ فالطلح عندهم شجرٌ عظيمٌ، كثير الشوك، وقال الحادي[3] :

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقالاَ غَداً تَرَيْنَ الطّلحَ وَالْحِبالاَ))[4] .

ويبدو أنّ هذا القول مخالفٌ لِمَا ذهب إليه أكثر المفسرين من الصحابة والتابعين، ولذلك ردّه الطبري بقوله: ((وأما الطلحُ فإن معمر بن المثنى كان يقول: هو عند العرب شجر عظام، كثير الشوك... وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فإنهم يقولون: إنه الموز))[5].

وكذلك ذهب الحربي في غريبه بأنّ علي بن أبي طالب وابن عباس – رضي الله عنهم – قد فسّراه بالموز، وفي هذا ما يكفي بأنه قول العرب، والتفسير الصحيح للفظة، غير أنّ أبا عبيدة واللغويين لم يلتفتوا كثيراً لتفسير السَّلَفِ لألفاظ القرآن، فوقعوا في مثل هذا[6] .

ومن هذا المنظور فأبو عبيدة في نظرِ مخالفيه قد فسّر اللفظة تفسيراً لغوياً بحتاً، ولم يراع الاستعمال القرآني للكلمة ولا السياق الذي وردتْ فيه، ولو أنه استعمل المنهج السياقي في التفسير ونظر إلى السابق واللاحق لعلِم أنّ الآية مسوقة مساق الامتنان؛ فالله تعالى ذكر مِنَنه العظيمة على عباده المؤمنين في الجنة، فكيف يمتنّ عليهم بشجرٍ كثير الشوك، فالشّوك لا يُعد من النِّعَم في شيء. لكن فلْندقق ونمعن النظر في سياق الآية، ففي قوله تعالى:﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾.

(1) سورة الواقعة، آية:(29).
(2) مقاييس اللغة: (طلح)، ص/534، 535 .
(3) هو النابغة الجعدي كما في تفسير القرطبي: 135/17.
(4) مجاز القرآن: 250/2.
(5) تفسير الطبري(هجر) 310/22- 312 .
(6) ينظر: غريب الحديث، للحربي: 631/2.

فالسّدر هو شجر النّبق، ومعنى مخضود: الذي لا شوك فيه، وأمّا الطلح المنضود، فقد اختلف فيه، فبعضهم ذهب إلى أنّه الموز، وبعضهم ذهب إلى أنه شجر يشبه طلح الدنيا، وأمّا المنضود: فهو الذي نُضّد بالورق فليست له ساق بارزة، وأمّا الظل الممدود: فهو الذي لا يتقلص، بل منبسط لا ينسخه شيء، وهذا الظل من سدرها وطلحها[1].

وهنا نلاحظ هذا الترتيب الإلهي العظيم، فقد بدأ بالسدر المخضود، ثم بالطلح المنضود، ثم بالظّل الممدود، ثم بالفاكهة الكثيرة. وهنا نلحظ أنّ أبا عبيدة قد اعتمد على الدلالة المعجمية وعلى السياق في آن واحد، فسياق الآية ليس فيه إشارة إلى أنّ(الطلح) هو الموز، وإلاّ فما فائدة قوله : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾، والعطف في اللغة يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه[2].

فالشاهد الشعري الذي ساقه أبو عبيدة يُعد جزءاً من التفسير اللغوي للقرآن الكريم، وقد وضّح ابن عباس رضي الله عنهما العلاقة بين المعنى اللغوي لألفاظ القرآن الكريم والشعر العربي، فقال:((إذا أعيتكم العربية في القرآن فالتمسوها في الشعر فإنه ديوان العرب))[3]، وقوله كذلك:((إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب))[4]

ثالثاً: لفظة: (سَكَراً)، في قوله تعالى:

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[5].

جاء في المقاييس:((سَكَرَ: السين والكاف والراء أصل واحدٌ يدل على حَير، من ذلك السُّكر من الشراب، يقال: سَكِرَ سُكْراً، ورجلٌ سِكّير، أي: كثير السُّكْر))[6] .

وعند الأصفهاني: السُّكْرُ بضم السين، حالةٌ تعرضُ بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، والسَّكَرُ بالفتح: اسمٌ لِمَا يكون منه السُّكْرُ[7] .

وقد اختلف المفسرون واللغويون في معنى قوله ﴿ سَكَرًا ﴾ ، وقد ذكر القرطبي بأنّ ابن عباس قال بأنّ هذه الآية نزلتْ قبل تحريم الخمر، وأراد بالسَّكر:(الخمر)، وبالرّزق الحسن: جميعَ ما

(1) ينظر: البحر المحيط في التفسير: 82/10.
(2) ينظر: لسان العرب، (نضد)، 590/8، وينظر: مقاييس اللغة،(مدّ)، ص/842، وينظر: البحر المحيط في التفسير: 82/10.
(3) إيضاح الوقف والابتداء: 101/1.
(4) إيضاح الوقف والابتداء: 62/1، ومجالس ثعلب: ص/317.
(5) سورة النحل، آية:(67).
(6) مقاييس اللغة ، (سكر)، ص/412.
(7) ينظر: المفردات: ص/311، (سكر) .

يؤكل ويُشرب حلالاً من هاتينِ الشجرتين، وهذا مذهب جمهور العلماء بأنَّ السَّكَرَ هو: ما حرّمه الله من ثَمْرَتَيْهِما، والرزق الحسن: ما أحله الله مِن ثَمْرَتَيْهِما[1].

واستدلوا على ذلك بقول جرير:

بِئْسَ الصُّحَاةُ وَبِئْسَ الشِّرْبُ شَرْبُهُمُ إِذَا جَرَى فِيهِمُ المُزّاءُ وَالسَّكَر

والمعنى: أنهم سيئوا الخلُق سواء كانوا صحاة أم سكارى .

أمّا أبو عبيدة فقد جعل من قوله تعالى:﴿ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ ذات معنى دلالي واحد، ولم يفْصِل بينهما في المعنى، فـ(سَكَرَاً)، أي طُعماً، ويقال: جعلوا لك هذا سكراً، أي طُعماً، وهذا سَكرٌ؛ أي: طُعْمٌ، واستدل على ذلك بقول جندل[2]:

جَعَلَتْ عَيْبَ الأكْرَمينَ سَكَرا[3]

والمعنى أنه أخذ يتنقل في أعراض الناس كأنها سكرٌ يمتّع نفسه به وبمذاقه وطعمه، أي: جعلتَ ذَمّهم طُعماً، أي: جعل شغفه بغيبة الناس وتمزيق أعراضهم جارياً مجرى شرب الخمر، وهذا اختيار الطبري أنّ السّكَر ما يُطعم من الطعام وحلّ شُرْبه من ثمار النخيل والأعناب، وهو الرزق الحسن، فاللفظ مختلف والمعنى واحد[4] .

ويرى الزّجّاج بأنّ تأويل أبي عبيدة هذا لا تعرفه العرب، وأهل التفسير على خلافه، ولا حجة له في البيت الذي أنشده؛ لأنّ معنى البيت أنه يصف أنه يخمر بعيوب الناس، وهو أبينُ فيما يقالُ: الذي يَبْتَرِك في أعراض الناس[5] .

والحقيقة أنّ ما ذهب إليه أبو عبيدة هو الأقرب للصواب، فالآية مُحكمة غير منسوخة، والمراد بالسّكر هنا: غير الخمر، فيشمل الخلّ أو غيره من الأشربة الحلوة التي تعصر من صنوف الفواكه ويتناولها الناس طعاماً شهياً، حيث إنّ الآية تتحدث عن نعم الله علينا، ولا يعقل عدّ الخمر من صنوف النعم[6].

(1) ينظر: تفسير القرطبي: 479/5.
(2) هو جندل بن المثنى الطهوي، شاعر إسلامي، ينظر: سمط اللآلي، للبكري: 644/2.
(3) مجاز القرآن: 363/1.
(4) تفسير الطبري: 284/14.
(5) معاني القرآن وإعرابه: 209/3.
(6) ينظر: تفسير القرطبي: 479/5. هامش المحقق: رقم(7).

رابعاً: لفظة:(لواقح)، في قوله تعالى:

﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [1] .

ففي المعجم: (اللاّم والقاف والحاء)، أصلٌ صحيحٌ يدلّ على إحْبالِ ذكرٍ لأنثى، ثم يقاس عليه ما يشبّه منه: لِقاح النّعَم والشجر، أمّا النّعَم: فتُلقحها ذُكرانُها، وأمّا الشجر: فتُلقحه الرياح، ورياحٌ لواقح: تُلقح السّحاب بالماء، وتُلقح الشّجر. والأصلُ في لواقح: مُلقحة، لكنها لا تُلقح إلاّ وهي في نفسها لواقح، الواحدة: لاقِحة، يقال: لقِحتْ النّاقة تَلْقَحُ لَقْحاً ولِقاحاً[2].

وأَلْقَحَ الْفحْلُ الناقةَ والريحُ السّحاب، وأَلْقَحَ فلانٌ النخلَ ولقّحها واستلْقحتِ النّخلةُ، وحرْبٌ لاقِحٌ تشبيهاً بالناقة اللاّقح، والملاقيحُ: النّوقُ التي في بطنها أولادُها[3] .

وفي اللسان: لواقح: جمْعٌ، ومعنى: لواقح: حوامل، لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع، وناقة لاقح ونُوق لواقح إذا حملتْ الأجنة في بطونها[4]، وقيل: لواقح بمعنى: مُلْقِحة وهو الأصل، ولكنها لا تُلقِحُ إلاّ وهي في نفسها لاقِح، كأن الريح لقِحَتْ بخير، وقال الجوهري: ورياح لواقح ولا يقال ملاقح، وهو من النوادر [5] .

وأمّا أبو عبيدة فيقول:((مجازها مَلاَقِح، لأنّ الريح مُلقِحة للسحاب، والعرب قد تفعل هذا فتُلقي الميم لأنها تُعيده إلى أصل الكلام كقول نهشل بن حريّ يرثي أخاه:

لِيُبْكَ يَزِيدُ بَائِسٌ لِضَرَاعَةٍ وَأَشْعَثَ مِمّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ

فحذف الميم لأنها المطاوِح[6] .

وقد ورد هذا الأسلوب في كلام العرب وهو من باب إطلاق الفاعل بمعنى مُفْعِل، وسياق الآيات يؤيد هذا المعنى، وعليه قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [7] .

لكن ابن قتيبة يرى بأنّ قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾، يعني:(لواقح)، وليستْ ملاقح كما ذكر أبو عبيدة، فتعقبه بقوله:((يريد أنها تُلقح الشجر وتُلقح السحاب كأنها تنتجه، ولستُ

(1) سورة الحجر، آية:(22).
(2) ينظر: مقاييس اللغة، مادة:(لقح)، ص/838، 839 .
(3) ينظر: المفردات، مادة:(لقح)، ص/583.
(4) ينظر: لسان العرب لقح، وينظر: تفسير القرطبي/378/5
(5) ينظر: الصحاح:، (لقح)، 401/1 .
(6) مجاز القرآن: 348/1، 349.
(7) ينظر: الخصائص: 22/2 .

أدري ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه، وهو يجد العرب تُسمّي الرياح لواقح، والريح لاقحاً، قال الطّرمّاح وذكر بُرْداً مدّه على أصحابه في الشمس يستظلون به:

قَلِقٌ لأَفْنَانِ الرِّيَاحِ لِلاَقِحٍ مِنْها وَحَائِلْ[1]

فاللاقح: الجنوب، والحائل: الشمال، ويسمون الشمال أيضاً: عقيماً، والعقيم التي لا تحمل، كما سموا الجنوب لاقحاً، قال كُثَيِّر:

وَمَرَّ بِسِفْسَافِ التُّرَابِ عَقِيمُهَا[2]

يعني: الشمال، وإنما جعلوا الريح لاقحاً، لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتصرّفه، ثم تحمله فينزل، فهي على هذا الحاملُ))[3] .

وذهب الزجاج إلى أنّ الرياح لواقح وملاقح، فالرياح لاقحة مُلقّحة، لاقحة لحملها الماء، ومُلقّحة لإلقاحها السحاب والشجر[4] .

وهذا الذي ذهب إليه الزجاج هو المخرج من هذا الإشكال، فالرياح لواقح وملاقح، وكلاهما صحيح ولا غبار عليه، واللغة شاهدة على ذلك، ولم يخرج أبو عبيدة وناقديه عن الصواب.

خامساً: لفظة:(حَرَدَ)، في قوله تعالى: ﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾ [5] .

يقول ابن فارس: ((الحاء والراء والدال أصولٌ ثلاثةٌ: القصد، والغضَب، والتّنحّي، فالأول: القصد: يقال: حردَ حَرْدَهُ، أي: قصدَ قصْده، قال تعالى: ﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾ ، وقال:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهْ يَحْرُدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ المُغِلَّهْ

والثاني: الغضَب: يقال: حَرِدَ الرجلُ، غَضِبَ حَرْداً، بسكون الراء، قال الطّرمّاح:

وَابْنَ سَلْمَى عَلى حَرْدِ

والثالث: التّنحّي والعُدول، يقال: نزلَ فلانٌ حَريداً، أي: متنحّياً، كقول جرير:

نَبْنِي عَلى سَنَنِ العَدُوِّ بُيُوتَنَا لا نَسْتَجِيرُ وَلاَ نَحُلُّ حَرِيدا))[6] .

وأمّا أبو عبيدة فيقول: ((مجازها: على مَنْعٍ، بمعنى: (حاردت الناقة)، فلا لبن لها؛ وعلى حردٍ أيضاً على قَصْدٍ، قال الأول:

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ كانَ مِنْ أَمْرِ اللهْ يَحْرُدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ المُغِلَّهْ

(1) ديوان الطرماح، ص/211.
(2) ديوان كُثَيِّر عزة، ص/150 .
(3) تفسير غريب القرآن: ص/237.
(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 177/3.
(5) سورة القلم، آية:(25).
(6) المقاييس، مادة:(حرد)، ص/205.

أي: انحدر سيلٌ اندفع بأمر الله يقصد في سرعته واندفاعاته ثمر هذه الجنة المثمرة

وقال آخر: على حردٍ: على غضبٍ، قال الأشهبُ بن رميلة يهاجي الفرزدق:

أُسُودُ شَرىً لاَقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةً تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ))[1] .

وهنا أبو عبيدة ذكر بأنّ لفظة:(حَرْدٍ) لها ثلاثة معانٍ هي: المَنْعُ، والقصْدُ، والغَضَبُ .

وممّا حُمِل على ذلك قول الجُمَيح[2]:

أَمّا إِذَا حَرَدَتْ حَرْدِي فَمُجْزِيَةٌ ضَبْطَاءُ تَسْكُنُ غِيلاً غَيْرَ مَقْرُوبِ

أي: قَصَدَتْ قَصْدِي.

وقول العباس بن مرداس السُلمي[3]:

وَحَارِبْ فَإِنْ مَوْلاَكَ حَارَدَ نَصْرُهُ فَفِي السَّيْفِ مَوْلىً نَصْرُهُ لاَ يُحَارِدُ

أي: منع نصره، ولا يُحَارِد: لا يُمْنع.

لكنّ الزمخشري حمل معنى(الحرد) في الآية الكريمة على المَنْعِ، دون غيرها من المعاني؛ إذ يقول:((الحرْدُ من حاردتِ السنةُ إذا مَنعتْ خيرها، وحاردتِ الإبِلُ إذا منعتْ درّها، والمعنى: وغدوا قادرين على نَكَدٍ لا غير، وعاجزين عن النّفعِ، يعنى أنهم عزموا أنْ يتنكّدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفْعِهم...))[4] .

وأيّده في ذلك الأصفهاني، فالحردُ عنده، هو: المنعُ عن حِدّةٍ وغضَبٍ، ومعنى الآية: أي على امتناعٍ من أنْ يتناولُوهُ قادرينَ على ذلك، ونزل فلانٌ حريداً، أي: مُتَمَنِّعاً عن مُخالطة القوم، وحاردتِ السنةُ: منعتْ قَطْرها، وحردَ: غَضِبَ[5].

وأمّا الطبري فقد حمل معنى(الحرد) في الآية على(القصد)، وهو بذلك يعترض على مذهب أبي عبيدة، يقول الطبري:((إذا كان غير جائز عندنا أنْ يتعدّى ما أجمعتْ عليه الحُجةُ، فممّا صحّ من الأقوال في ذلك إلاّ أحد الأقوال التي ذكرناها عن أهل العلْمِ، وإذا كان ذلك كذلك، وكان المعروف من معنى الحرْدِ في كلام العرب القصْدَ، من قولهم: قَدْ حَرِدَ فلانٌ حَرْدَ فلانٍ: إذا قصدَ قَصْدَه...صحّ أنّ الذي هو أولى بتأويل الآية قول من قال: وغدوا على أمْرٍ قد قصدوه واعتمدوه واستسرّوه بينهم قادرين عليه في أنفسهم))[6] .

(1) مجاز القرآن: 265/2، 266 .
(2) ينظر: الأمالي، للقالي: 20/1 .
(3) ينظر: الأمالي، للقالي: 20/1 .
(4) الكشاف: 445/4، 446 .
(5) ينظر: المفردات: ص/148 .
(6) تفسير الطبري: 179/23 . وهذا البيت من الشواهد التي لم يعرف قائلها، ينظر: الخزانة: 508/2.

سادساً: لفظة:(رَدّ)، في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [1] .

يقول ابن فارس:((الراء والدال أصلٌ واحدٌ مطّردٌ منقاسٌ، وهو: رجْعُ الشيء. تقول: ردَدْتُ الشّيءَ أَرُدُّهُ رَدّاً... والرَّدَّةُ: تقاعسٌ في الذّقَن، كأنه رُدّ إلى ما وراءه، والرَّدَّةُ قُبْحٌ في الوجه مع شيءٍ من جمالٍ))[2].

يقول أبو عبيدة:((مجازهُ مجازُ المَثَلِ، وموضعه موضع: كفّوا عمّا أُمروا بقوله من الحقّ، ولم يؤمنوا به ولم يسلموا، ويقال: رَدَّ يدهُ في فمِهِ، أي: أمسك إذا لم يُجِبْ))[3].

وقد أنكر بعض اللغويين والمفسرين أن يكون قد ورد في لسان العرب قولهم للرّجل إذا أمسك عن الجواب وسكت: قد ردّ يده في فيه، وإنْ ثبت هذا في كلام العرب فإنّ تأويل الآية به خلاف الظاهر المتبادر من ألفاظها وسياقها، والقرآن إنما تحمل معانيه على الشائع المستعمل في لسان العرب، لا على قليل الاستعمال[4] .

فقال ابن قتيبة متعقباً له:((ولا أعلمُ أحداً قال: ردَّ يَدَهُ في فَمِهِ إذا أمسك عن الشيء، والمعنى: ردّوا أيدهم في أفواههم، أي: عضّوا عليها حنقاً وغيضاً، كما قال الشاعر[5]:

يَرُدُونَ في فِيهِ عَشْرَ الحَسُودِ حتّى يَعَضَّ عليَّ الأُكُفّا

يعني: أنهم يغيضون الحسود حتى يعض على أصابعه العشر، ونحوه قول الهذلي:

قَدْ أَفْنَى أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَضِيفَا[6]

يقول: قد أكلَ أصابعه حتى أفناها بالعضّ، فأضحى يعضّ عليَّ وظيفَ الذِّراعِ، وهكذا فسّر هذا الحرف ابن مسعود، واعتباره قولَهُ عزّ وجلَّ في موضع آخر:

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [7].

(1) سورة إبراهيم، آية:(9).
(2) مقاييس اللغة، مادة:(رد)، ص/332، 333 .
(3) مجاز القرآن: 336/1 .
(4) ينظر: تعقبات ابن قتيبة على أبي عبيدة في تفسير غريب القرآن: ص/144، 145 .
(5) لم أعثر عليه .
(6) ينظر: ديوان الهذليين: 73/2 .
(7) سورة آل عمران، آية:(119). غريب القرآن: ص/ 230، 231.

وقد ردّ التفسير الإمام الطبري أيضاً، وذهب إلى أنه قول لا وجه له، ورجح قول ابن قتيبة، وهو تفسير ابن مسعود، يقول:((وأشبه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية، القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود، أنهم ردّوا أيديهم في أفواههم، فعضّوا عليها غيظاً على الرُّسُلِ، كما وصف الله به المنافقين، فقال: وَإِذَا، فهذا هو الكلام المعروف، والمعنى المفهوم من ردّ اليدِ إلى الفم))[1].

وإلى ذلك أشار الأصفهاني إلى أنّ معنى الآية يحتمل أنْ يقصد به: عضّوا الأناملَ غيظاً، وقيل: أَوْمئوا إلى السّكوت وأشاروا باليدِ إلى الفَمِ، وقيل: ردّوا أيديهم في أفواه الأنبياء فأسكتوهم، واستعمالُ الرّدّ في ذلك تنبيهاً أنهم فعلوا ذلك مرّةً بعدَ أُخرى[2].

فابن قتيبة قد استشهد بالشعر لإثبات صواب ما ذهب إليه، وخطَّأ ما ذهب إليه أبو عبيدة في تفسيره لهذه الآية، مع أنّ أبا عبيدة قد فسّر الآية تفسيراً إجمالياً وهذا تفسير قد قال به قتادة أيضاً، حيث فسرها بقوله:((قومهم كذّبوا رسلهم، وردّوا عليهم ما جاءوا به من البينات، وردّوا عليهم بأفواههم))[3].

يقول أبو جيان ردّا على ابن قتيبة:((ومن سمع حجة على من لم يسمع، هذا أبو عبيدة والأخفش نقلاً ذلك عن العرب، فعلى ما قاله أبو عبيدة يكون ذلك من مجاز التمثيل، كان الممسك عن الجواب الساكت عنه وضع يده فيه، وقد ردّ الطبري قول أبي عبيدة وقال: إنهم أجابوا بالتكذيب لأنهم قالوا: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم ﴾ [4]، ولا يردّ ما قاله الطبري؛ لأنه يريد أبو عبيدة أنهم أمسكوا وسكتوا عن الجواب المرضيّ الذي يقتضيه مجيء الرّسل بالبينات، وهو الاعتراف بالإيمان والتصديق للرسل))[5] .

سابعاً: لفظة:(حَسيباً)، في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [6] .

يقول ابن فارس: ((الحاء والسين والباء أصولٌ أربعة: فالأول: العدّ: تقول: حَسِبتُ الشيءَ أَحْسُبُهُ والأصلُ الثاني: الكفاية: تقول: شيءٌ حِسابٌ، أي: كافٍ، ويقال: أَحْسَبْتُ فلاناً، إذا أعطيتَه ما يرضيه؛ وكذلك حَسَّبتُه، والأصلُ الثالث: الحُسْبانُ، وهي جمعُ حُسبانةٍ، وهي الوسادة الصغيرة، وقد

(1) تفسير الطبري: 609/13 .
(2) ينظر: المفردات:(ردد)، ص/255 .
(3) تفسير الطبري: 608/13 .
(4) سورة إبراهيم، آية:(9).
(5) البحر المحيط: 412/6، 413 .
(6) سورة النساء، آية:(86).

حسّبتُ الرّجُلَ أُحَسِّبُهُ، إذا أجلسته عليها ووسّدته إياها، والأصلُ الرابع: الأحْسب الذي ابيضّت جِلدته من داءٍ ففسدتْ شعرتَه، وقد يتفق في أصول الأبواب هذا التفاوتُ الذي تراه في هذه الأصول الأربعة))[1].

وفي اللسان: الحسيب: هو الكافي، فعيلٌ بمعنى مُفعل، من أحسبني الشيءُ إذا كفاني، وأحسبني ما أعطاني، أي: كفاني [2].

وذهب أبو عبيدة إلى أنّ(حسيباً) في هذه الآية بمعنى: كافياً مقتدراً، يقال: أحْسَبَني هذا، أي: كفاني[3] .

وأمّا الطبري فقد خالف أبا عبيدة فيما ذهب إليه؛ إذ يقول:((وقد زعم بعض أهل البصرة من أهل اللغة، أنّ معنى الحسيب في هذا الموضع: الكافي، يقال منه: أحسبني الشيء يحسبني إحساباً، بمعنى: كفاني، من قولهم: حسبي كذا وكذا. قال أبو جعفر رحمه الله: وهذا غلطٌ من القول وخطأ، وذلك أنّه لا يقال في:(أحسبني الشيء) (أحسبني على الشيء)، فهو حسيبٌ عليه، وإنما يقال: هو حسبه وحسيبه))[4] .

فمعنى الآية عند الطبري أنّ الله كان على كلّ شيء مما تعملون أيها الناس من الأعمال، من طاعة أو معصية، حفيظاً عليكم، حتى يجازيكم بها جزاءه، أي: يحاسبكم على كلّ شيءٍ من التحية وغيرها[5] .

وممن تبع الطبري في هذا التأويل، النحاس، إذ يقول:((والحسيب عند بعض أهل اللغة البصريين: الكافي، يقال: أحْسَبَه، إذا كفاه... وهذا عندي غلطٌ؛ لأنه لا يقال في هذا: أحْسَبَ على الشيء فهو حسيب عليه، إنما يقال بغير(على)، والقول: إنه من الحساب، يقال: حاسب فلاناً على كذا، وهو محاسِبه عليه، وحسيبه، أي: صاحب حسابه))[6].

ورجح الدكتور بن ناصر البدر رأي الطبري؛ معللاً ذلك بأن سياق الآية يؤيده، والمعنى: إنّ الله تعالى كان على أعمال العباد حفيظاً وعليماً، حتى يجازيهم بها ويحاسبهم عليها، وليس المراد هنا: الكافي، كقولهم: حسبي كذا، وأحسبني الشيء إذا كفاني، فإن سياق الآية لا يؤيده[7] .

(1) مقاييس اللغة: مادة:(حسب)، ص/208، 209 .
(2) ينظر: الصحاح، مادة:(حسب)./
(3) ينظر: مجاز القرآن: 135/1 .
(4) تفسير الطبري: 7/ 278، 279 .
(5) تفسير الطبري: 7/ 278، 279، وينظر: الكشاف: 472/1 .
(6) معاني القرآن: 150/2.
(7) ينظر: أقوال أبي عبيدة في تفسير الطبري: ص/137.

وأمّا أبو حيان، فالآية عنده تحتمل الوجهين، أي: حاسباً من الحساب، أو مُحسّباً من الإحساب، وهو الكفاية، فإمّا(فعيل) للمبالغة، وإما بمعنى:(مفعل)[1].

وإلى ذلك ذهب القرطبي، فـ(حسيباً): معناه: حفيظاً، وقيل: كافياً من قولهم: أحسبني كذا، أي: كفاني، ومثله حسبك الله، وقال قتادة: محاسباً كما يقال: أكيل بمعنى مواكل، وقيل: هو فعيل من الحساب، وحسُنت هذه الصفة هنا؛ لأن معنى الآية في أنْ يزيد الإنسان أو ينقص أو يوفى قدر ما يجيء به[2].

ومع ذلك فاعتراض الطبري على أبي عبيدة ليس في محلّه، فالآية على رأي أبي عليّ الفارسي فيها أربعة أقوال، (يقال : عالِماً، ويقال : مُقتدراً، ويقال : كافياً، ويقال : مُحاسباً) ، فالذي يقول : كافياً يحتجّ بقوله جل وعزّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [3]، أي: كافيك الله، وبقوله تعالى: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ [4]، أي: كافياً، وبقول الشاعر:

إِذَا كَانَتِ الْهَيْجَاءُ وَانْشَقَّتِ الْعَصَا فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ

أي: يكفيك ويكفي الضحاك.

والذي يجعله بمعنى: مُحاسِبٌ يحتج بقول قيس المجنون:

دَعَا الْمُحْرِمُونَ اللهَ يَسْتَغْفِرُونَهُ بِمَكَّةَ يَوْماً أَنْ تُمَحَّى ذُنُوبُهَا

وَنَادَيْتُ يَا رَبَّاهُ أَوَّلَ سُؤْلَتِي لِنَفْسِيَ لَيْلَى ثُمَّ أَنْتَ حَسِيبُهَا

أي: أنتَ مُحاسِبها على ظُلمها.

والذي يقول: بمعنى: عالِماً، يحتجّ بقول المخبّل السعدي:

فَلاَ تُدْخِلَنَّ الدَّهْرَ قَبْرَ حَوْبَةً يَقُومُ بِهَا يَوْماً عَلَيْكَ حَسِيبُ

أي: مُحاسبك عليها عالم بِظُلْمكَ.

قال الفارسي: ((والقولان الأولانِ صحيحانِ في الاشتقاق مع الرواية، والقولان الآخرانِ لا يصحَّانِ في الاشتقاق، ألاَ تراه قال في تفسير المخبل السعدي: مُحاسبك عليها عالم بِظُلْمكَ، فالحسيب في بيته: المحاسِب، وهو بمنزلة قول العرب: الشّرِيبُ للمُشَارِب))[5].

(1) ينظر: البحر المحيط: 734/3 .
(2) ينظر: تفسير القرطبي: 266/3 .
(3) سورة الأنفال، آية:(64).
(4) سورة النبأ، آية:(36).
(5) الأمالي، لأبي علي القالي: 504/1.

ثامناً: لفظة:(مَوْبِقاً)، في قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ [1] .

يقول ابن فارس:(((وَبَقَ) الواو والباء والقاف كلمتان: يقال لكلّ شيء حال بين شيئينِ: موبق، والكلمة الأخرى: وَبَقَ: هلكَ، وأوبقه الله، ويقال: الموبق: الموعد))[2].

وفي المفردات:((وبَق: إذا تتبّطَ فهَلكَ، وَبْقاً وموبقاً، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾، وأوبقه كذا، قال تعالى: ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ [3] .

وقال الجوهري:((وَبَقَ يَبِقُ وُبوقاً: هَلَكَ، والْمَوْبِق: مثل: (المَوْعِد)، على وزن(مَفْعِل)، مِنْ:(وَعَدَ، يَعِدُ)، وفيه لغة أخرى: وَبِقَ يَوْبَق وَبَقاً، وفيه لغة ثالثة: وَبِقَ يَبِق بالكسر فيهما، وأبوبقه: أي: أهلكه))[4] .

وقد اختلف المفسرون في المقصود بقوله: ﴿ مَوْبِقاً ﴾، فمنهم من فسّره بالعداوة، ولفظة: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ على هذا ظرفٌ، ومنهم من ذكر أنه وادٍ في جهنم يجري بدمٍ وصديدٍ، ومنهم من فسّره بالمَهْلِك، أي: (مَهْلِكاً)، بمنزلة (موضع)، وهو من قولك: وَبَقَ الرجُل، وأوبَقَه غيره إذا أهلكه، و﴿بَيْنَهُمْ﴾ على هذا التأويل يصح أنْ يكون ظرفاً، والأظهرُ فيه أنْ يكون اسماً، بمعنى: تواصلهم أمراً مهلكاً لهم، ويكون﴿بَيْنَهُمْ﴾ مفعولاً أوّلاً لجعلنا[5] .

وذهب أبو عبيدة إلى أنَّ: ﴿ مَوْبِقاً ﴾، بمعنى:(موعداً)، واستشهد لذلك بقول الشاعر:

وَحَادَ شَرَوْرَى وَالسِّتَارَ فَلَمْ يَدَعْ تِعَاراً لَهُ وَالْوَادِيَيْنِ بِمَوْبِقِ[6] .

وقد حكى الطبري ما ذهب إليه أبو عبيدة على وجه التضعيف، إذ يقول:((وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: (الموبق): (الموعد)، ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر... ويتأوله: بموعد))[7]. وكذلك لم يرتض ابن عطية تفسير أبي عبيدة ووصفه بالضعيف[8].

(1) سورة الكهف، آية:(52).
(2) مقاييس اللغة: مادة:(وبق)، ص/946 .
(3) سورة الشورى، آية:(34). المفردات:(وبق)، ص/663 .
(4) الصحاح،(وبق)، 1562/4 .
(5) ينظر: المحرر الوجيز: 10/ 414، 415 .
(6) مجاز القرآن: 406/1 .
(7) تفسير الطبري: 15/ 298 .
(8) ينظر: المحرر الوجيز: 10/ 414، 415 .

وهنا نلاحظ أنَّ تفسير المفسرين للفظة جاء بخلاف ما ذهب إليه أبو عبيدة، فلعل أبا عبيدة قد جاء بشاهدٍ من الشعر ليستشهدَ به على هذا المعنى، لعلْمه بغرابته، غير أنّ أبا عبيدة قد انفرد بهذه الرواية للبيت، كما انفرد بهذا التفسير للآية فلم يقبل المفسرون قوله[1].

ومن خلال ما سبق فإنه يتضح لنا أنّ لفظة:(مِوبقاً)، لا يمكن أنْ تكون بمعنى: عداوةً، إذْ لا دليل على ذلك، ومِنْ ثَمّ فالسياق لا يحتمل هذا التأويل فهو بعيدٌ جدّاً، ووصفه الشنقيطي رحمه الله بأنّه ظاهر السقوط[2].

وأمّا قول أبي عبيدة بأنّ:(مِوبقاً) معناه:(مَوْعداً)، أي: موعداً للهلاك، فالمعنى صحيحٌ، وسياق الآية يحتمله.

وإذا رجعنا إلى المعنى اللغوي، فإنّ هذه اللفظة تحمل دلالتَيْنِ، أُولاهما: كلّ شيء حال بين شيئينِ، وأُخراهما: الهلاك.

فمن ذهب إلى أنها بمعنى: الحيلولة بين شيئينِ ، فقد اعتمد في استدلاله على قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم ﴾، فتكون لفظة(بين) ظرفاً بمعنى: وَسَط، أي: جعلنا بينهم مِنَ العذاب ما يُوبِقُهم[3].

وأمّا من ذهب إلى أنّ(مِوبقاً) معناه:(مهلكاً)، فهذا المعنى هو الظاهر من السياق هنا[4]، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، وعندما يوجد الدليل القطعي، لا سبيل إلى دليل ظني، قد يُخرج الآية عن معناها، والدليل على أنها بمعنى الهلاك قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ ﴾ [5]، أي: يُهْلكهنّ.

ثُمّ إنّ الآية الكريمة جاءت في سياق قصص قرآني، وهنا لا ينبغي لنا تجزئة النص القرآني، ففي نهاية هذه القصة يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ ،أي: وتلك القرى التي قصصنا عليك نبأهم، مثل: عادٍ، ومدين، ولوطٍ، أهلكناهم لمّا ظلموا وكفروا، أي: وقتاً معلوماً لإهلاكهم، وهنا جاءتْ لفظة الهلاك مقرونة بلفظة الموعد، ومن هنا فإنّ قوله:(مَوبقاً)، تعني: مهلكاً، وليستْ موعداً، وليستْ عداوةً.

(1) ينظر: الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، د. عبد الرحمن الشهري، ص/593 .
(2) ينظر: أضواء البيان: 128/4 .
(3) ينظر: لسان العرب، مادة:(بين)، 574/1 .
(4) ينظر: تفسير ابن كثير: 95/3، وتفسير القرطبي: 7/6 . وأضواء البيان: 128/4 .
(5) سورة الشورى، آية:(34). المفردات:(وبق)، ص/663 .

يقول الشاطبي:((لا محيص للمتفهّم عن ردّ آخر الكلام على أوّله، وأوّله على آخره؛ وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهْم المُكلَّف، فإنْ فرّق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مُراده، فلا يصحُ الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض إلاَّ في موطن واحد؛ وهو النظر في فهْم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه، لا بحسب مقصود المُتكلّم، فإذا صحّ له الظاهر على العربية، رجع إلى نفس الكلام، فعمّا قريبٍ يبدو له المعنى المُراد))[1] .

فالتفسير اللغوي لا شك أنّ الحاجة إلية مُلحة، ولكن لا يمكن له بحالٍ أنْ يستقلّ بتفسير القرآن الكريم، وهذا يُفيد أنّ اعتماد اللغة بمفردها من دون النظر في غيرها من المصادر يُوقع في الخطأ في التفسير، إذ يكون المدلول اللغوي غير مراد في الآية الكريمة موضع التدبّر فالحُكم على دلالة اللفظ في نصّ ما أدقّ وأوثق ممّا لو استقيناه من المعاجم وحدها.

تاسعاً: لفظة:(ضِعْفَينِ)، في قوله تعالى:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ * وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴾[2] .

جاء في معظم كُتُب التفسير بأنَّ المعنى العام لهذه الآية الكريمة هو أنّ الله سبحانه وتعالى قد أخبر أنّ من جاء من نساء النبيّ – صلى الله عليه وسلم – بفاحشة– والله عاصم رسوله من ذلك– يُضاعف لها العذاب ضعفين، وقد بيّنت الشريعة أنّه كلما تضاعفتْ الحرمات فهُتِكتْ تضاعفتْ العقوبات، ولذلك ضوعف حدّ الحرّ على العبد، والثّيّب على البكْر، وإنما ضوعف عذابهُنّ ؛ لأنّ ما قبُح من سائر النساء كان أقبحَ منهنّ وأقبحَ؛ لأنّ زيادة قُبْح المعصية تتْبع زيادة الفضل والمرتبة، وزيادةَ النعمةِ على العاصي من المعصيّ، وليس لأحدٍ من النساء مثْلُ فضْل نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم، ولا على أحدٍ منهنّ مثلُ ما لله عليهنّ من النعمةِ، والجزاء يتبعُ الفعلَ، وكون الجزاءِ عقاباً يتبعُ كون الفعلِ قبيحاً، فمتى ازداد قبحاً ازداد عقابهُ شدّةً، ولذلك ذمُّ العقلاء للعاصي العالم أشدَّ منه للعاصي الجاهل؛ لأنّ المعصية من العالمِ أقبحُ[3] .

(1) الموافقات في أصول الشريعة: 266/4 .
(2) سورة الأحزاب: الآيتان:(30، 31).
(3) ينظر: الكشاف: 561/3، 562 .

ويقول أبو حيان:((وينبغي أنْ تُحمل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشرته، ولمّا كان مكانهنّ مهبط الوحي من الأوامر والنواهي، لزمهنّ بسبب ذلك وكونهنّ تحت الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر مما يلزم غيرهنّ فضوعف لهنّ الأجر والعذاب، وقوله: ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ ﴾ أي: عذابينِ، فيضاف إلى عذاب سائر الناس عذاب آخر))[1].

وقد اختلف المفسرون واللغويون في المراد بقوله:(ضِعْفَيْنِ)، فقال أبو عبيدة:((أي: يُجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة؛ لأنّ ضِعْفَ الشيء مثله، ومجازه..، أي: يُجعل الشيء شيئينِ حتى يكون ثلاثة، وأمّا قوله: يُضَعّف)، أي: يجعل الشيء شيئين))[2].

ويقول أبو حيان شارحاً كلام أبي عبيدة:((وقال أبو عبيدة: إنه يُضاف إلى العذاب عذابانِ، فتكون ثلاثة، وكون الأجر مرّتينِ بعد هذا القول؛ لأنّ العذاب في الفاحشة بإزاء الأجر في الطاعة. ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ ﴾: أي: تضعيف العذاب عليهنّ، ﴿ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾، أي: سهلاً، وفيه إعلامٌ بأنّ كونهنّ نساء، مع مقارفة الذنب، لا يغني عنهنّ شيئاً، وهو يغني عنهنّ، وهو سبب مضاعفة العذاب))[3].

وهنا نلاحظ أنّ أبا عبيدة قد فرّق بين المعنى الدلالي للفظة:﴿ **يُضَاعَفْ**﴾، بالألف، وبين معنى: ﴿**يُضَعَّفُ**﴾ بالتشديد، لكنّ هذا التفريق بين الصيغتينِ قد ردّه النحاس، فهو على حدّ رأيه، لا يعرفه أحد من أهل اللغة، وأنّ المعنى في(يُضَاعَفْ، و يُضَعَّفُ) واحدٌ، أي: يُجعل ضعفين، كما تقول: إنْ دفعْتَ إليَّ درهماً دفعتُ إليكَ ضعفيه، أي: مِثْلَيهِ، يعني: درهَمَينِ، ويدل على هذا: ﴿ نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ ﴾، ولا يكون العذاب أكثر من الأجر، وقال في موضع آخر: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ [4]،أي: مِثْلَينِ من العذاب[5] .

ولكنّ أبا عبيدة لم يخالف المعهود من لغة العرب، ولم يخرج عن السياق المألوف، يقول ابن فارس:(((ضعف) الضاد والعين والفاء أصلانِ متباينانِ، يدل أحدهما على خلاف القوة، ويدل الآخرُ على أنْ يُزاد الشيءُ مثلَه، ... وأمّا الأصل الآخر: فقال الخليل: أضْعفت الشيءَ إضْعافاً، وضعَّفتُهُ

(1) البحر المحيط:473/8 .
(2) مجاز القرآن: 136/2، 137.
(3) البحر المحيط:473/8 .
(4) سورة الأحزاب، آية:(68) .
(5) ينظر: معاني القرآن: 344/5، وينظر: تفسير القرطبي: 7/ 477، 478 .

تضْعيفاً، وضاعَفْتُهُ مُضاعَفة، وهو أنْ يُزادَ على أصل الشيءِ فَيُجْعَلَ مِثْلَينِ أو أكثر، قال غيره: المضعوف الشيء المضاعف، قال أبو عمرو: المضعوف مِنْ أَضْعَفْتُ الشيء، وذكر أبو عبيدٍ ذلك في باب أفْعلتُهُ فهو مفعول))[1] .

وفي الحقيقة لا يختلف معنى(الضّعْف) هذه الآية عن معناه في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [2]، فالمعنى كما يرى ابن عباس ومجاهد أي: لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئاً قليلاً فيما سألوك إذن لأذقناك مِثْلَيْ عذاب الحياة الدنيا، ومِثْلَيْ عذاب الممات في الآخرة، وهذا غاية الوعيد، وكلما كانت الدرجة أعلى كان العذاب عند المخالفة أعظم، وضِعفُ الشيء مثله مرّتين، وهذا المعنى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما[3].

وهنا نلاحظ أنّ الفارق الأساس بين المعنَيينِ المُعجمي والسياقي هو تعدد الأول، وتحدّد الثاني؛ إذ لا يُعين الأول على تحديد البُعد الدلالي للكلمة؛ لأنها تحتمل حين الإطلاق أكثر من معنىً مُحدّد، تحكمه علاقة الكلمة بكلّ ما يُحيط بها من عناصر لغوية وغير لغوية خاصة بالمتكلم والمخاطب، ثقافية واجتماعية؛ لذا فهو لا يقبل المرونة والتعدد؛ ففي كل سياق تكتسب الكلمة معنىً مؤقتاً يُمثّل القيمة الحضورية لها، التي تختلف من سياق إلى آخر؛ لذا فإنّ المعاني السياقية للكلمة الواحدة تتعدد بتعدّد السياقات التي ترد فيها[4] .

والذي ينبغي في كلّ آية أنْ يُبحث أوّل شيء عن كونها مكملة لِمَا قبلها أو مستقلة، ثمّ المستقلة ما وجه مناسبتها لِما قبلها، ففي ذلك علمٌ جمّ، وهكذا في السّور يُطلب اتصالها بما قبلها وما سِيقتْ له[5] .

والأحسنُ أنْ يُفهم اللفظ من القرآن نفسه بأنْ يُجمع ما تكرر في مواضع منه، ويُنظر فيه، فربما استُعمل بمعانٍ مختلفة، وإنّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته[6].

(1) مقاييس اللغة، مادة:(ضعف)، ص/513، 514 .
(2) سورة الإسراء، الآيتان:(74، 75).
(3) ينظر: تفسير القرطبي: 630/5، 631 .
(4) ينظر: قراءة النص القرآني بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي، ص/62.
(5) ينظر: البرهان، للزركشي: 37/1 .
(6) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، منشورات دار المنار، القاهرة، ط/2، 1947م، ص/22 .

المصادر:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، منشورات عالم الكتب، بيروت.
2. إيضاح الوقف والابتداء، لابن الأنباري، تحقيق: محي الدين رمضان، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط/1، 1393هـ.
3. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: علي محمد عوض وآخرين، منشورات مكتبة دار الباز، ط/1، 1413هـ.
4. البرهان، للزركشي، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ط/1، 1410هـ .
5. الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط/2، 1376هـ.
6. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد بن محمد الخراط، منشورات دار القلم، دمشق، ط/1، 1406هـ.
7. تفسير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر، القاهرة، ط/1، 1422هـ.
8. تفسير غريب القرآن، لزيد بن علي، تحقيق: حسن محمد تقي الحكيم، منشورات الدار العالمية، ط/1، 1412هـ.
9. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم، منشورات دار الشعب، ط/1، 1390هـ.
10. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، منشورات دار المنار، القاهرة، ط/2، 1947م
11. الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، د. عبد الرحمن الشهري، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1431هـ.
12. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، منشورات دار العلم للملايين، ط/3، 1404هـ.
13. قراءة النص القرآني بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي، د. حيدر علي نعمة، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة العراقية، مجلد/22، ع/ 93، 2016م.
14. الكشاف، للزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، منشورات، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/1، 1418هـ.
15. لسان العرب، لابن منظور، منشورات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/1، 1408هـ.
16. مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق:د. محمد فؤاد سزكين، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة .

17. مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، منشورات دار المعارف، ط/5.
18. المزهر في علوم اللغة وآدابها، للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، منشورات مكتبة التراث، القاهرة، ط/3.
19. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، منشورات عالم الكتب، ط/1، 1408هـ.
20. مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، منشورات دار القلم، ط/1، 1412هـ.
21. مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط/1، 1411هـ .
22. الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، تحقيق: الشيخ عبد الله دراز، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان، د. ط.
23. من طرق تأويل المعنى في علم الدلالة المعجمية، محمد شندول، مجلة المعجمية، تونس، ع/21، 22، 2006م .
24. الوجيز، لابن عطية، تحقيق: عبد العال السيد إبراهيم، طبعة قطر، ط/1، 1398هـ.

المناسخات في علم الفرائض (نظريًا وعمليًا)

د. عبدالله أمبارك أحمد الدعيكي – كلية التربية القانون– جامعة بني وليد

مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآله وصحبه.

أما بعد:

فمنذ مدة ليست بالقصيرة كلفت باعتباري أحد أعضاء هيئة التدريس بكلية القانون . بني وليد؛ بتدريس مادة الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية، لطلاب السنة الثالثة، وكذلك التعاون في تدريسها مع عدة جامعات ليبية أخرى، وكان العام الأول من التكليف عام بحث وتحر وبدل جهد ليس باليسير خاصة وأن الزاد قليل، في علم يجمع بين علم الفقه وعلم الحساب. ورأيت أثناء التدريس أن أساهم من خلال البحث العلمي في نشر بحوث لطلابي والمهتمين في هذا المجال، وكذلك المساهمة في إثراء المكتبة على العموم.

وكما هو معلوم فإن علم الميراث هو: أحد العلوم المتفرعة من الفقه الإسلامي، وهو علم يعنى أساسًا بأحوال المواريث، وقد جاء في الأثر الحث على تعلمه، حتى قيل إنه أول علم يفقد، لقلة المشتغلين فيه من العلماء، لما يحتاجه من ممارسة ومراجعة دائمة، ولأهميته وحاجة جميع الناس إليه، وهو علم أحكامه ثابتة في الكتاب والسنة في أغلب مسائلة، ولم تترك مسائله للاجتهاد، إلا في القليل منها مثل ميراث الجد مع الإخوة أو في المسألتين العمريتين، التي قال العلماء أنه يسوغ للعالم المجتهد في علم الفرائض الاجتهاد فيهما بالترجيح لأحد المذاهب الفقهية المعتبرة، ولا يجوز له غير ذلك.

لعل سائلًا يسأل لماذا الكتابة في هذا الشأن طالما أن أحكامه قطعية الدلالة، لا تقبل التأويل أو الزيادة، والمتقدمون كان لهم السبق والفضل العظيم في بيانها أتم البيان، والاجتهاد في المسائل التي لم يرد بها نص، كميراث الجد مع الإخوة، أو كما في العمريتين؟.

في هذا البحث يكون التركيز على بيان ماهية المناسخات وتطبيقاتها العملية، وهذا الباب – كما سلف ذكره – تكلم فيه الفقهاء وبينوا طريقة العمل فيه أتم بيان، فيجد كل باحث في كتب الفقه كتابًا يسمى كتاب الفروض، ينقسم منه باب يسمى المناسخات، وهذه الكتب فيما يتعلق بالمناسخات؛

إما شروح لمختصرات فقهية، أو هي المختصرات ذاتها التي تعتمد على الإيجاز بغرض إيراد المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، أو رد الكثير إلى القليل، وفي القليل معنى الكثير، كمختصر الشيخ خليل مثلًا، ، والتي يصعب على القارئ العادي غير المتخصص أن يعرف شيئًا منها، لكونها مليئة بالألغاز والتعقيدات اللفظية واللغوية، فيستحيل أن يفهم موضوعها ما لم يتزود بثروة فقهية تفك ألغاز ذلك المختصر.

من هذه النقطة والتي رأيت من خلالها أن معظم الكتب الحديثة المتعلقة بعلم الميراث والوصية، لم تول الشرح التام لهذا الموضوع، بل نرى بعضها قد نقل حرفيًا ما جاء بكتب المختصر أو شروحه دون تبيان، وكذلك هو الحال بالنسبة للأبحاث العلمية والتي نجدها قليلة جدًا في هذا الشأن، ويرجع ذلك ربما إلى الصعوبة التي تعتري المناسخات نظرًا لتداخل وتعدد المسائل في وقت واحد.

تقوم الدراسة على معرفة أحوال المناسخات، وبيان حالاتها، وبيان حلها على الطريقة المتبعة والسهلة عند أغلب المهتمين بهذا العلم، وهي الطريقة الواردة بمختصر الشيخ خليل، مع التأكيد أن هناك طرقًا أخري قد تتشابه أحيانًا معها، وقد تتباين، إلا أن النتيجة واحدة، وسيقوم البحث على افتراض المسائل وجدولتها، وبيان حلها على هذه الطريقة، وتوضيح الخطوات المتبعة.

قسم البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: ماهية المناسخات في علم الميراث.

المطلب الأول: تعريفها والمقاصد الشرعية لها.

المطلب الثاني: أحوال المناسخات وشروط إجرائها.

المبحث الثاني: المناسخات من الناحية العملية وتطبيقاتها.

المطلب الأول: الخطوات العملية لإجراء المناسخات.

المطلب الثاني: الجانب العملي في المناسخات.

المبحث الأول: ماهية المناسخات في علم الميراث:

تمهيد:

التركة : (ما يتركه الميت من الأموال والحقوق المالية بعد تجهيزه وسداد ديونه العينية والشخصية).[1]

من خلال هذا التعريف فإن للتركة حقوقًا متعلقة بها، لا يجوز مجاوزتها بأي حال، مع الترتيب لها، وإن استغرقت التركة لها، وما تبقى بعد تلك الحقوق فللورثة يقسمونه بينهم بحسب الفريضة الشرعية.

والأصل في تقسيم التركة بعد بيان الفريضة الشرعية هو الفورية وعدم التراخي، في انتقال المال من شخص الميت إلى ورثته، وإنما اشترطت الفورية تجنبًا لعديد المنازعات المحتملة الحدوث بين الورثة، بسبب حاجة بعضهم للمال في وقته، أو نتيجة مماطلة بعضهم في القسمة لمصلحة يراها دون اعتبار لغيره من الورثة، وذلك بعدم تمكينهم من حقهم الذي آل إليهم بالميراث، وهذا التراخي قد يطول به الأمد ويموت خلاله من حان أجله من الورثة دون الوصول إلى حقهم الذي ربما بمضي الزمن قد تقل قيمته أو تزيد، تاركين وراءهم ورثة قد يصرون على حق مورثهم، مما ينتج عنه زيادة المشاحنات والخصومة، وقطع للأرحام، وهذه الصور نراها تتكرر كثيرًا في مجتمعنا، وهذا الأمر فيه أثم كبير على فاعله نتيجة منع الغير من حقوقهم، وعده الفقهاء من كبائر الذنوب، يقول ابن القيم: (ومن الكبائر ترك الصلاة ... وقطيعة الرحم والجور في الوصية، وحرمان الوارث من الميراث)[2].

وأما إذا اتفق الورثة على تأجيل القسمة لمصلحة يرونها فلا بأس في ذلك شرعًا بشرط موافقتهم جميعًا، وفي حالة تخلف أحدهم على الاتفاق يعطى له نصيبه، كذلك إن كان بينهم قصر دون السن القانونية، فليزم حينئذ تمييز نصيبهم من التركة ووضعه تحت يد رشيدة منهم أو من غيرهم، تنميه لهم وتنفق منه عليهم بالمعروف.

هذا على العموم، أما على الخصوص فإننا أمام كثير من المسائل الفرضية التي لم تقسم لأحد الأسباب المذكورة أعلاه، ونتج عن هذا التأخير موت وارث بعد وارث، فما الكيفية لبيان حقوق الورثة المتأخرين من مورثيهم المتقدمين، دون زيادة أو نقصان وفقًا للضوابط الشرعية المتعلقة بالميراث.

---

[1] . د سعيد محمد الجليدي، أحكام الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية، طرابلس: ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1990 م، ص 26.

[2] . ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، القاهرة: مصر، دار الحديث، 2006 م، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص 591، 592.

في المسائل العادية التي تتعلق بتركة ميت واحد، يقوم الفرضي أو المختص بإعدادها ببيان الورثة وحصرهم، وبيان من يرث منهم بالفرض ومقداره، ومن يرث منهم بالتعصيب، أو من يرث بالفرض والتعصيب معًا، أو من يرث فرضًا وردًا، واستخراج أصل للمسألة يوافق فروضهم، أو عدد رؤوسهم إن كانوا يرثون بالتعصيب، وتصحيحها عند اللزوم، وإلى غير ذلك. أما في حالة موت أكثر من واحد بين الورثة، فالفرضي أمامه إعداد فريضة مركبة من عدة مسائل، يبين فيها فريضة الميت الأول، والثاني والثالث وهكذا، وهذه العملية اصطلح الفقهاء على تسميتها باسم (المناسخات)، والتي خصصنا لبيان ماهيتها هذا المبحث.

المطلب الأول: تعريفها والمقاصد الشرعية لها:

أولًا: تعريفها:

أ. في اللغة:

النسخ في اللغة بمعنى النقل أو الإزالة، والتناسخ بمعنى الانتقال أو التوالي والتعاقب،جاء في لسان العرب: (النسخ: هو أن تزيل أمرًا كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره. والتناسخ: تداول فيكون بعضها مكان بعض كالدول والملك، والتناسخ في الفرائض والميراث: أن تموت ورثة بعد ورثة ، وأصل الميراث قائم لم يقسم، وكذلك تناسخ الأزمنة والقرن بعد القرن)[1]

ب. في الاصطلاح الفقهي.

من الناحية الفقهية: لا يختلف تعريفها من حيث المعنى عما ورد من الناحية اللغوية، وقد عرفها الفقهاء أنها: (أن يموت إنسان فلا تنقسم تركته حتى يموت بعض ورثته، وقد يتسلسل ذلك).[2]

[1] . جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت: لبنان، دار صادر، الطبعة السادسة، 2008 م، الجزء الرابع عشر، المجلد السابع، ص 243.

[2]. أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزيء الكلبي، القوانين الفقهية، بيروت: لبنان، دار الفكر، 2009 م، ص 343. وكذلك: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي، الاختيار لتعليل المختار، تحقيق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2005 م، الجزء الخامس، ص 124. وكذلك: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، بيروت: لبنان، دار الغرب، 1994 م، الجزء 13، ص 122. وكذلك: محمد بن الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، القاهرة: مصر، دار الحديث، 2006 م، الجزء الرابع، ص 60. وكذلك: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، المغني، تحقيق: د محمد شرف الدين حطاب وآخر، القاهرة: مصر، دار الحديث،2004 م، الجزء الثامن، ص 412.

ثانيًا: المقاصد الشرعية من المناسخات: [1]

علم الميراث علم اعتنى به العلماء وأفردوه بالتأليف والتصنيف، وحثوا على تعلمه وتعليمه، حتى شاع بينهم أنه أول علم يفقد، وبينوا المقاصد الشرعية منه، والتي يطول بيانها في هذه الفقرة من البحث، ذلك أن هذه المقاصد إذا أمكن الوقوف على بعضها ، فإنه يتعذر تقصيها والإحاطة بها، إلا أنه يمكن بيانها إجمالًا في تحقيق مصالح الناس، وتحقيق العدل والتيسير ومراعاة الفطرة بتقديم الأقرب فالأقرب للمتوفى من بنوة أو أبوة، أو أخوة، وهكذا، ومع ذلك يمكن أن نلخص من هذه المقاصد العامة بعضًا من المقاصد الخاصة بالمناسخات على النحو الآتي:

1. قسمة المواريث من حدود الله تعالى، وتأخير أو تعطيل القسمة من التعدي على حدود الله، وفيها ظلم للنفس بتعريضها لعقاب لله تعالى، قال تعالى: ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾[2]. وهذا التأخير أو المماطلة فيه ظلم وأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾[3].

وإجراء المناسخات في هذه الأحوال يبعد الإنسان عن ظلم نفسه وعن ظلم غيره أيضًا.

2. يعد الميراث من أسباب نقل الملكية، وحق الملكية بالإرث لا يسقط بالتقادم مهما طالت المدة طالما بقيت التركة قلت أو كثرت، لذلك كانت المناسخات لتبين نصيب الورثة من تركة مورثهم، دون إغفال لأحدهم ذكرًا كان أم أنثى، في عملية حسابية دقيقة، وفقاً لما آل إليهم شرعًا.
3. من مقاصد المناسخات معرفة مقدار أو نصيب كل وارث على ما قدرته له الشريعة الإسلامية، وتحقيق مبدأ الاستخلاف في المال.
4. تشتيت الثروة لا تجميعها، ورواج المال وتنميته واستثماره، بدلًا من جعله لفئة معينة من الورثة، بقصد الحفاظ عليه، فمن مقاصد نظام التوريث تفتيت الثروة المتجمعة، وإعادة توزيعها من جديد، وذلك لمنعها من التضخم في أيد قليلة ثابتة، لكي لا يكون المال دولة بين الأغنياء، وحتى يتم القضاء على التفاوت، والحد من الفروق بين الطبقات.

---

[1] . د أمل خيري بن أحمد، قسمة التركات مقاصدها الشرعية والمخالفات التي تعترضها وآثار تأخيرها، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد 91، ديسمبر 2019 م، ص 51، بتصرف. وكذلك: د. قريشي علي، مقاصد أحكام علم الفرائض في الشريعة الإسلامية، جامعة منتوري قسنطينة: الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 27، جوان 2007 م، ص 138 وما بعدها، بتصرف.

[2] . سورة الطلاق، آية رقم 1.

[3] . سورة البقرة، آية رقم 187.

قال تعالى: ﴿ **كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم** ﴾[1].

فإذا كانت التركة لا تقبل التجزئة مثلًا، فبإمكان الورثة التخارج فيما بينهم بالتراضي.

5. الوضوح والثبات والعدل، وفق نظام متناسق ومحدد، مما يحول دون الظلم الذي يترتب على قصر التركة على أشخاص معينة.
6. تحقيق التكافل الأسري والاجتماعي: تحرص الشريعة في مجمل أحكامها على دعم العلاقة الاجتماعية في حياة أفراد المجتمع؛ لا سيما الأقارب، وتحرص على عدم الخصومة والشحناء بينهم، لذلك كان الميراث في نطاق الأسرة بمعناها الممتد والشامل، لكل من يلتقون مع المتوفى بالقرابة، ولو في أبعد الجدود والجدات، حسب درجة القرابة والحاجة، فعصبة الميت مهما نزلوا؛ هم أولى من يرثه بعد أصحاب الفروض، لأنهم هم كذلك أقرب من يتكفل به، ومن يؤدي عليه الديات والمغارم، ومن ثم كان التكافل في محيط الأسرة هو حجر الأساس في بناء التكافل الاجتماعي العام.

قال تعالى: ﴿ **وألو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** ﴾[2].

المطلب الثاني: أحوال المناسخات وشروط إجرائها:

أولًا: أحوال المناسخات:

أحوال المناسخات ثلاثة هي: ([3])

الحالة الأولى: أن يكون ورثة الثاني يرثونه على حسب ميراثه من الأول، مثل أن يكونوا عصبة لهما، فيقسم المال بين من بقي ولا يلتفت إلى الأول، أي كأن الأول لم يخلف غيرهم.

الحالة الثانية: أن يكون ورثة الميت الثاني هم بقية ورثة الميت الأول أو بعضهم، لكن وقعت المغايرة في القسمة بين الباقين.

---

[1] . سورة الحشر، آية رقم 7.

[2] . سورة الأحزاب، آية 6.

[3] . محمد بن أحمد بن علي البهوتي الخلوتي، حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات، تحقيق: سامي بن محمد الصقير وآخر، دمشق: سوريا، دار النوادر، الطبعة الأولى، 2011 م، الجزء الرابع، ص 50، 51. وكذلك: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف: السعودية، الطبعة الأولى، 1418 هـ، ص 52 وما بعدها. وكذلك: سعيد محمد الجليدي، الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية، طرابلس: ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1990 م، ص 180.

الحالة الثالثة: ما عداهما بأن تكون ورثة الثاني لا يرثونه كالأول. أي أن يكون ورثة الميت الثاني غير ورثة الميت الأول، أو بعض ورثة الأول وغيرهم، ويلزم منه المغايرة في القسمة.

ثانيًا: شروط إجرائها:

هذا ما ذكره الفقهاء في أحوال المناسخات، وبينوا أن الحالة الأولى أنها مناسخة جلية لا تحتاج إلى تأصيل وتصحيح ولا يلزم فيها إجراء المناسخات وتصح فيها الفريضة بما صحت فيها مسألة الميت الثاني بشروط هي:

1. أن يكون ورثة كل ميت هم ورثة الذي قبله.
2. أن يكون إرثهم في الثاني كإرثهم في الأول؛ لأنه إذا لم يكن كذلك واختلفت النسبة التي تنقسم عليها تركة الأول مع النسب التي تنقسم عليها تركة كل ميت سواه، فلم يكن بد من عمل المناسخات.
3. أن يكون إرثهم في كل ميت بالتعصيب، لأنه هو الذي ينضبط وغيره لا ينضبط.
4. أن تكون جهة التعصيب واحدة كالبنوة والأخوة. ([1])

أما الحالتان الأخريان فيشترط لإجرائهما توافر الآتي:

1. إذا اتحد نوع الإرث بالفرض واختلف قدر الميراثين، سواءً كان ورثة الثاني هم الباقين من ورثة الأول أو بعضهم فقط.
2. إذا اختلف نوع الإرث لأحد الورثة، سواءً اختلف قدر الميراثين أيضًا؛ أو تساويا قدرًا، أو سواءً كان ورثة الميت الثاني هم جميع الباقين من ورثة الميت الأول، أو بعضهم فقط.
3. إذا كان ورثة الميت الثاني جددًا كلهم، أي لم يرثوا في الميت الأول، سواءً ورثوه بالفرض أو التعصب، أو اختلف نوع إرثهم فيه، كما لو توفي شخص عن ابنين وبنتين، وتوفي أحد الابنين عن زوجة وبنت وثلاثة أبناء ابن.
4. إذا كان بعض ورثة الثاني جددًا، والبعض الآخر ورثة حتى في الميت قبله، كما لو توفيت أنثى عن ابن وبنت، ثم توفي الابن عن أخته وعمه.([2])

[1] . محمد بن أحمد بنيس، بهجة البصر في شرح فرائض المختصر، تحقيق: د محمد محدة، عين مليلة: الجزائر، د: ت، ص 142، 143.

[2] . المكتبة القانونية الإلكترونية www.bibliojuriste.club تاريخ الدخول (23. 08. 2021 م)

المبحث الثاني: المناسخات من الناحية العملية وتطبيقاتها:

تمهيد:

نقسم هذا المبحث إلى مطلبين، المطلب الأول نخصصه لبيان الخطوات العملية لإجراء المناسخات، من كيفية إعداد الجداول والطريقة في ترتيب الورثة في تلك الجداول كل على حسب مسألته، وما له من سهام فيها وفي جامعتها، أما المطلب الثاني: الجانب العملي وافتراض المسائل وشرح ما تم عمله بعد الانتهاء من جدولها، على حسب ما ذكر من حالات لها في المبحث الأول.

المطلب الأول: الخطوات العملية لإجراء المناسخات:

أولى خطوات المناسخة هي: حصر الورثة في كل مسألة على حدة، فنبين الورثة في المسألة الأولى، ثم الورثة في المسألة الثانية، وهكذا دواليك إذا كان هناك أكثر من ميت فيها.

الخطوة الثانية: نقوم بإنشاء جدول نضع في خاناته العمودية الأولى الورثة في المسألة الأولى، كل وارث في خانة مستقلة (مربع)، يعلوهم أسم مورثهم الذي يختصر في الغالب بحرف " ت " أي توفي عن، أو هلك عن، يقابلهم في العمود الثاني نصيبهم في الميراث سواءً بالفرض أو بالتعصيب ويوضع على رأس العمود الثاني أصل المسألة من الأعداد، وإذا كان في المسألة عول أو بيان لنصيب كل واحد من الأسهم أو تصحيح ننتقل إلى العمود الثالث، ونضع في العمود الذي يليه مقدار سهام كل واحد منهم من أصل المسألة.

وعند الانتهاء من المسألة الأولى؛ نضع في العمود الذي يليه حرف التاء أمام المتوفى الثاني الوارث في المسألة الأولى ونضع في العمود المخصص لفريضته في الأسفل ورثته إذا كانوا جددًا لا يرثون في الأول، وفي مقابل خاناتهم في المسألة الأولى إذا كانوا ورثة في كلتا المسألتين بصفاتهم الجديدة، وبذلك تكون صفوف الثانية أطول من الأولى إلى الجهة السفلى.

ويكون العمل في الثانية بنفس خطوات المسألة الأولى، ونضع أصل مسألته على رأس العمود، وبعد الانتهاء من مسألته نجعل العمود الذي يليه للجامعة بين المسائل السابقة، وهكذا بعد كل مسألة بعد نجعل جامعة جديدة تضم كل المسائل السابقة، وقد تكون الجامعة في بعض الحالات كبيرة، وبالإمكان أن تقسم الجامعة وكل السهام تحتها على عدد معين إن قبلت القسمة على نفس العدد، وتسمى هذه العملية بالاختصار.

والمقصود بالجامعة: هي توحيد المسألتين وردها إلى واحدة تكون شاملة لجميع الورثة الأصليين والفرعيين، كأنهم ورثوا من ميت واحد، ويكون عددها المصحح قابلًا للقسمة على جميع الورثة في كلتا المسألتين، ويسمى هذا العدد الجامع بين المسألتين عددًا شاملًا أو عامًا، ويسميه المتقدمون جامعة.([1])

أما في كيفية استخراج جامعة أصول المسائل، فالغالب المعمول به ما ذكره خليل في مختصرة، رغم أن هناك طرقاً أخرى، إلا أن هذه الطريقة تعتبر الأسهل في استخراج المسألة الجامعة مهما بلغت السهام لاعتمادها على نظرية التوافق والتباين بين الأعداد.

جاء في المختصر: **(وإذا مات بعض قبل القسمة، وورثه الباقون، كثلاثة بنين مات أحدهم، أو بعض كزوج معهم ليس أباهم فكالعدم، وإلا صحح الأولى ثم الثانية، فإن انقسم نصيب الثاني على ورثته كابن وبنت مات وترك أختًا وعاصبًا صحتا، وإلا وفق بين نصيبه، وما صحت منه مسألته، واضرب وفق الثانية في الأولى: كابنين وابنتين مات أحدهما، وترك زوجة وبنتًا وثلاثة بني ابن، فمن له شيء في الأولى ضرب له في وفق الثانية، ومن له شيء في الثانية ففي وفق سهام الثاني، وإن لم يتوافقا ضربت ما صحت منه مسألته فيما صحت منه الأولى، كموت أحدهما عن ابن وبنت)**[2].

ومن الناحية العملية لما جاء في المختصر، وبعد استخراج أصل المسألة الأولى ووضع عدده على رأس العمود، وأصل المسألة الثانية كذلك، ننظر إلى العلاقة العددية ما بين نصيب الميت الثاني في المسألة الأولى، وبين أصل مسألته الثانية، وهذه العلاقة لا تخلو من أمرين، إما التوافق وهو: قابلية أعداد سهام الميت الثاني وأصل مسألته للقسمة على عدد معين دون كسر، وأما التباين فهو: الاختلاف في التوافق على عدد، وصورته في الغالب بين الأعداد الفردية والزوجية، فإن كان التوافق، نقسم سهامه في الأولى وأصل مسألته الثانية على ما توافق عليه من أعداد، ونجعل ناتج قسمة سهامه على العدد المتوافق عليه على رأس مسألته، ونتيجة قسمة أصل الثانية على العدد المتوافق عليه على رأس المسألة الأولى، ويسمى ذلك الناتج بجزء السهم، من بعدها نقوم بضرب جزء السهم من المسألة الثانية على كل المسألة الأولى، لينتج لنا الأصل الجامع أو ما يسمى بالجامعة، ونصيب الورثة في المسألة الأولى سهامهم مضروبة في جزء السهم الموضوع على أصل مسألتهم، ونصيب الورثة في الثانية سهامهم مضروبة في جزء السهم الموضوع على أصل مسألتهم، ومن كان يرث في الأولى والثانية جمعت له سهامه في كلتا المسألتين.

---

[1] . المكتبة القانونية الإلكترونية www.bibliojuriste.club تاريخ الدخول (23. 08. 2021 م)

[2] . الشيخ خليل بن إسحاق الجندي، مختصر خليل، القاهرة: مصر، مركز نجيبوية للطباعة والنشر والدراسات، الطبعة الأولى، 2008 م، الجزء الثاني، ص 1169.

أما إذا كان بين نصيب الميت الثاني في المسألة الأولى و أصل مسألته الثانية تباين، ولم يكن بينها توافق، ضربت ما صحت منه المسألة الثانية فيما صحت منه المسألة الأولى، والناتج هو الجامعة لكلتا المسألتين، ويكون نصيب كل وارث في المسألة الأولى مجموع سهامه منها مضروبًا في أصل الثانية، أما الورثة في الثانية فمجموع سهامهم في الثانية مضروبًا في سهام ميتهم في الأولى، ومن كان يرث في الأولى والثانية جمعت له سهامه في كلتا المسألتين.

وهكذا الحال مع تعدد الموتى، فبعد كل مسألة جديدة نخرج جامعةً لها مع المسائل السابقة، بالطريقة ذاتها، على أن تكون الجامعة الأولى أصل لما قبلها.

المطلب الثاني: الجانب العملي في المناسخات:

توضيح الحالات:

الحالة الأولى: أن يكون ورثة الثاني يرثونه على حسب ميراثه من الأول، مثل أن يكونوا عصبة لهما، فبقسم المال بين من بقى ولا يلتفت إلى الأول.

توفي عن زوجة، وابنين وثلاث بنات، ثم ماتت الزوجة عن الابنين والثلاث بنات.

الورثة في المسألة الأولى يرث بعضهم بالفرض ويرث الآخرون بالتعصيب، فالزوجة فرضها الثمن، والأولاد يرثون بالتعصب للذكر مثل حظ الأنثيين، وبذلك يكون أصل المسألة من ثمانية أسهم، للزوجة الثمن فرضًا بمقدار سهم واحد، وللأولاد الباقي، للذكر مثل حظ الأنثيين، للذكر: سهمان، وللأنثى: سهم واحد، وذلك تمام الفريضة، ثم توفيت الزوجة وهي أم للورثة في المسألة الأولى، وأصل مسألتها من سبعة أسهم، تقسم بين أولادها للذكر مثل حظ الأنثيين، والمسألة الأخيرة هي مسألتهم في ميراث أبيهم وأمهم من بعده ولا داعي للمناسخات واستخراج الجامعة منها، ذلك أن النتيجة واحدة، وهي أن مسألتهم من سبعة أسهم _ كما سلف _، لكن لا بأس من بيانها عمليًا، بالخطوات التي تم بيانها سلفًا، على النحو الآتي:

		7		8				
ت		8		7	56	56	8/56	7
زوجة	8/1 فرضا	1	ت					
ابن	الباقي	2	ابن	2	2+14	16	8/16	2
ابن		2	ابن	2	2+14	16	8/16	2
بنت		1	بنت	1	1+7	8	8/8	1
بنت		1	بنت	1	1+7	8	8/8	1
بنت		1	بنت	1	1+7	8	8/8	1

من خلال التطبيق العملي تأكد لنا أن مسألة الميت الثاني هي المسألة الجامعة في ميراثهم من الأول بعدما تحققت شروطها، وهي: أن الورثة في الثاني هم جميعهم الورثة في الأول، أيضًا إتحاد جهة القرابة وقوتها وأنهم يرثون بالتعصيب في الأولى والثانية أيضًا.

الحالة الثانية : – كما سبق بيانها في المبحث الأول – وهي: أن يكون ورثة الميت الثاني هم بقية ورثة الميت الأول أو بعضهم، لكن وقعت المغايرة في القسمة بين الباقين، **والثالثة:** أن يكون ورثة الميت الثاني غير ورثة الميت الأول، أو بعض ورثة الأول وغيرهم، ويلزم منه المغايرة في القسمة، وهاتان الحالتان سنضرب لهن الأمثلة من حيث التوافق والتباين على النحو الآتي:

أولًا: في حال التوافق:

توفي عن: زوجة وبنتين وأخ شقيق، ثم ماتت أحدى البنتين عن زوج وأم وبنت وأخت شقيقة وعم.

		3			4		
ت		24			6	72	72
زوجة	8/1	3	أم	6/1	1	4+9	13
بنت	3/2	8	أخت ش	الباقي	2	8+24	32
بنت		8	ت				
أخ شقيق	الباقي	5	عم	لا شيء		15	15
			بنت	2/1	3	12	12

التوضيح:

المسألة الأولى: صحت الفريضة الشرعية من أربعة وعشرين سهمًا. يعود منها لزوجته الثمن فرضًا بمقدار ثلاثة أسهم، ولابنتيه الثلثان فرضًا، وذلك بمقدار ستة عشر سهمًا، لكل واحدة منهن ثمانية أسهم، وللأخ الشقيق الباقي تعصيبًا، وذلك بمقدار خمسة أسهم، وذلك تمام الفريضة.

المسألة الثانية: صحت الفريضة الشرعية من ستة أسهم، يعود منها للأم (الزوجة في المسألة الأولى) السدس فرضًا بمقدار سهم واحد، ولابنتها النصف فرضًا بمقدار ثلاثة أسهم، والباقي للأخت الشقيقة بمقدار سهمين، باعتبارها ترث تعصيبًا مع البنت، ولا شيء للعم لحجبه بالشقيقة، وذلك تمام الفريضة.([1])

[1]. ميراث الأخت الشقيقة أو لأب مع البنات أو بنات الابن بالتعصيب، في حال عدم وجود الفرع الوارث من الذكور أو الأب، وتكون في ميراثها بقوة الأخ الشقيق، فتحجب ما يحجبه الشقيق، وفي هذه المسألة حجبت العم، يقول الناظم: **والأخوات إن تكن بنات فهن معهن عصبات.** راجع محمد بن خليل بن محمد بن غلبون، التحفة في علم المواريث (شرح الرحبية)، طرابلس: ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الثانية، 2002 م، ص118.

وبالنظر إلى سهام الميت الثاني في المسألة الأولى وأصل مسألته الثانية، نجد أن بينهما توافقًا بقبولهما القسمة على العدد (2)، 2/8= 4 ، 2/6 =3 ، فنضع الثلاثة باعتبارها جزءًا للسهم على رأس المسألة الأولى، ونضع الأربعة على رأس المسألة الثانية، وبضرب جزء السهم ثلاثة في أصل المسألة الأولى يكون الناتج المسألة الجامعة، ويكون نصيب الورثة في الأولى مجموع سهامهم مضروبًا في جزء السهم الواقع على رأس مسألتهم، ويكون نصيب الورثة في المسألة الثانية مجموع سهامهم مضروبًا في جزء السهم الموضوع على رأس مسألتهم.

مثال آخر:

توفي عن زوجة، بنتين، وأب، وأم، ثم توفيت الأم عن زوج (أب في المسألة الأولى)، وابن وبنتين.

	1				4			
108	16	4			27	24		ت
12					3	3	8/1 فرضًا	زوجة
4+16	4	1	4/1 فرضًا	زوج	4	4	6/1 فرضًا والباقي تعصيبًا	أب
				ت	4	4	6/1 فرضًا	أم
32			لا شيء	بنت ابن	8	16	3/2 فرضًا	بنت
32			لا شيء	بنت ابن	8	16		بنت
6	6	3	الباقي	ابن				
3	3			بنت				
3	3			بنت				

التوضيح:

المسألة الأولى: صحت الفريضة الشرعية من أربعة وعشرين سهمًا، عالت[1]* إلى سبعة وعشرين سهمًا، يعود منها للزوجته الثمن فرضًا بمقدار ثلاثة أسهم، وللأب السدس فرضًا والباقي تعصيبًا بمقدار

[1] . العول لغةً: الجور أو الزيادة، وفي الاصطلاح: زيادة سهام ذوي الفروض ونقص في مقادير أنصبائهم في التركة بنسبة تلك الزيادة. ولم يقع في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا في عهد أبي بكر – رضي الله عنه – مسألة فيها عول، ووقعت في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –. راجع: سعيد محمد الجليدي، مرجع سابق، ص81.

*. تعرف هذه المسألة عند الفقهاء بالمنبرية، لأن عليًا – رضي لله عنه – سئل عنها وهو على منبر الكوفة... فقال السائل متعنتًا: أليس للزوجة الثمن؟، فقال له: صار ثمنها تسعًا، ومضى في خطبته. المصدر: المرجع السابق، ص 84.

أربعة أسهم، وللأم السدس فرضًا بمقدار أربعة أسهم ، ولابنتيه الثلثان فرضًا، بمقدار ستة عشر سهمًا لكل واحدة منهن ثمانية أسهم، وذلك تمام الفريضة.

المسألة الثانية: صحت الفريضة الشرعية من أربعة أسهم يعود منها للزوج الربع فرضًا بمقدار سهم واحد، والباقي لأولادها تعصيبًا بمقدار ثلاثة أسهم، وحيث إن الأسهم الثلاثة لا تنقسم على أولادها قسمةً صحيحة، لذلك تصحح المسألة بضرب عدد الرؤوس (أربعة) في أصل المسألة لتصح المسألة من ستة عشر سهمًا، للزوج أربعة أسهم، وللابن ستة أسهم، وللبنتين ستة أسهم لكل واحدة منهن ثلاثة أسهم، وذلك تمام الفريضة.

وبالنظر إلى سهام الميت الثاني في المسألة الأولى وأصل المسألة الثانية، نجد أن بينهما توافقًا بالقسمة على (4)، والناتج لدينا جزء السهم، فنضع ناتج قسمة المسألة الثانية على رأس المسألة الأولى، ونضع ناتج قسمة سهام الميت الثاني في المسألة الأولى على رأس المسألة الثانية، ويكون نصيب الورثة في المسألة الأولى هو: مجموع سهامهم في الأولى مضروبًا في جزء السهم الموضوع على رأس مسألتهم، والورثة في الثانية يكون نصيبهم مجموع سهامهم في المسألة الثانية مضروبًا في جزء السهم الموضوع على رأس مسألتهم.

ثانيًا: في حال التباين:

توفيت عن: زوج وبنت وأخ شقيق وأختين شقيقين، ثم توفيت الشقيقة عن زوج وابنين وثلاث بنات.

	1				28			
448	28	4			16	4		ت
112					4	1	4/1	زوج
224					8	2	2/1	بنت
56					2	1	الباقي تعصيبًا	أخ ش
				ت	1			أخت ش
28					1			أخت ش
7	7	1	4/1	زوج				
6	6	3	الباقي تعصيبًا	ابن				
6	6			ابن				
3	3			بنت				
3	3			بنت				
3	3			بنت				

التوضيح:

المسألة الأولى: أصل المسألة من أربعة أسهم يعود منها للزوج الربع فرضًا بمقدار سهم واحد، وللبنت النصف فرضًا، بمقدار سهمين، والسهم الباقي للإخوة تعصيبًا للذكر مثل حظ الأنثيين، وحيث أن سهم الإخوة لا ينقسم عليهم قسمة صحيحة، نقوم بتصحيح أصل المسألة وذلك بضرب عدد رؤوسهم في أصل المسألة وبذلك يصبح أصل المسألة ستة عشر، للزوج الربع بمقدار أربعة أسهم، والبنت النصف بمقدار ثمانية أسهم، والإخوة الأشقاء الباقي للذكر سهمان، وللأنثى سهم واحد، وذلك تمام الفريضة.

المسألة الثانية: أصل المسألة من أربعة أسهم، يعود منها للزوج الربع فرضًا بمقدار سهم واحد، والباقي لأولادها للذكر مثل حظ الأنثيين تعصيبًا، وحيث إن سهام الأبناء لا تنقسم عليهم قسمة صحيحة، نقوم بتصحيح أصل المسألة وذلك بضرب عدد رؤوسهم في أصل مسألتهم، ويصبح أصل المسألة الجديد ثمانية وعشرين، يعود منها للزوج الربع فرضًا بمقدار سبعة أسهم، والباقي للأولاد تعصيبًا، للأبناء لكل واحد منهم ستة أسهم، وللبنات لكل واحدة منهن ثلاثة أسهم وذلك تمام الفريضة.

وبالنظر إلى سهام الميت الثاني في المسألة الأولى، وأصل مسألته الثانية، نجد أن بين الأعداد التباين، وفي حال التباين نقوم بضرب أصل الثانية، في أصل الأولى، والناتج هو المسألة الجامعة وهو: 28 x 16 = 448. ونصيب الورثة في المسألة الأولى من الجامعة يساوي سهامهم في الأولى مضروبًا بجزء السهم (أصل الثانية) الموضوع على رأس مسألتهم، ونصيب الورثة في المسألة الثانية من الجامعة يساوي مجموع سهامهم من الثانية مضروبًا في عدد سهام مورثهم في المسألة الأولى.

مثال آخر:

توفيت عن زوج وأب وأم وبنت، ثم توفي الزوج عن بنت وابن.

	3				24			
312	24	8			13	12		ت
				ت	3	3	4/1	زوج
48					2	2	6/1+الباقي	أب
48					2	2	6/1	أم
21+144	7		الباقي	بنت	6	6	2/1	بنت
42	14	7		ابن				
9	3	1	8/1	زوجة				

التوضيح:

المسألة الأولى: أصلها من اثنتي عشرة سهمًا، عالت إلى ثلاثة عشر سهمًا، يعود منها للزوج الربع فرضًا بمقدار ثلاث أسهم، وللأب السدس فرضًا والباقي تعصيبًا بمقدار سهمين، وللأم السدس فرضًا بمقدار سهمين أيضًا، والبنت النصف فرضًا بمقدار سهمين، ولم يبق للأب باقٍ باعتبار المسألة عالت، وذلك تمام الفريضة.

المسألة الثانية: صحت المسألة بعد التصحيح من أربع وعشرين سهمًا، يعود منها للزوجة الثمن فرضًا بمقدار ثلاثة أسهم، والباقي للابن والبنت تعصيبًا للذكر مثل حظ الأنثيين، للبنت سبعة أسهم، وللابن أربعة عشر سهمًا، وذلك تمام الفريضة.

وبالنظر إلى سهام الميت الثاني في المسألة الأولى وأصل مسألته الثانية؛ نجد تبايناً بينها، فنضرب أصل الأولى بأصل الثانية، والناتج هو المسألة الجامعة، 13 X 24 = 312، ونصيب الورثة في المسألة الأولى من الجامعة يساوي سهامهم في الأولى مضروبًا بجزء السهم (أصل الثانية) الموضوع على رأس مسألتهم، ونصيب الورثة في المسألة الثانية من الجامعة يساوي مجموع سهامهم من الثانية مضروبًا في عدد سهام مورثهم في المسألة الأولى، ومن كان له ميراث في المسألتين جمع له ذلك.

مثال أخير:

ذكرنا فيما سبق أن المناسخة قد تتعدد القبور فيها(البطون) إلى أكثر من قبرين، وأن هذا التعدد لا يمنع من إتمامها، بنفس الكيفية السابقة، مع اعتبار أن الجامعة الأولى من المسألتين الأولى والثانية، نجعلها أولى بالنسبة إلى المسألة الثالثة، وهكذا الجامعة الثانية هي أولى بالنسبة للمسألة الرابعة، ومثالها:

		2				1	الجامعة الأولى				15					1	الجامعة الأخيرة
ت		24				8	48				48	6				60	720
زوجة	8/1	3					6		ت								
أب	6/1	4	ت														
أم	6/1	4	زوجة	8/1	1	1+8					9				أم	2	10+135
ابن	الباقي	13	ابن ابن	الباقي	3	3+26	ابن	الباقي	5	5+29							510
			بنت	2/1	4	4					4				ت		
							أب	6/1	1	1							15
														زوج	4/1	3	15
														ابن	الباقي	7	14
														ابن			14
														بنت			7

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمة الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وأما بعد:

نظرًا للحاجة الماسة لمثل هذه الدراسة وخاصة في منطقتنا هذه خاصة إذا علمنا مثلًا أن الأرض الزراعية وكذلك الأرض البور لا زال أكثر ملكيتها على الشيوع لم تقسم منذ زمن، واحتاج الوارثون قسمتها مما يلزم إجراء المناسخات لها، وهذا البحث هو محاولة في بيان إجراء تلك المناسخات للمهتمين بها، والدارسين لها من طلاب أو غيرهم، وهذه العلمية ما كان سببها في الغالب إلا تأخير القسمة حتى يموت من الورثة من يموت، بل قد تتعدد الوفاة إلى أكثر من جيل من الورثة، حتى يضيع معها العديد من الحقوق المترتبة من الميراث بإسقاط وارث سقط ذكره أو تعمد ذكره لطول المدة، وخاصة فيما يتعلق بالبنات، من أجل ذلك ذكر الفقهاء أن الأصل في مسائل الميراث هو الفورية وعدم التراخي، في انتقال المال من شخص الميت إلى ورثته، وإنما اشترطت الفورية تجنبًا لعديد المنازعات المحتملة الحدوث بين الورثة، بسبب حاجة بعضهم للمال في وقته، أو نتيجة مماطلة بعضهم في القسمة لمصلحة يراها دون اعتبار لغيره من الورثة، وذلك بعدم تمكينهم من حقهم الذي آل إليهم بالميراث، وهذا التراخي قد يطول به الأمد ويموت خلاله من حان أجله من الورثة دون الوصول إلى حقهم الذي ربما بمضي الزمن قد تقل قيمته أو تزيد، تاركين وراءهم ورثة قد يصرون على حق مورثهم، مما ينتج عنه زيادة المشاحنات والخصومة، وقطع للأرحام، وهذه الصور نراها تتكرر كثيرًا في مجتمعنا، وهذا الأمر فيه أثم كبير على فاعله نتيجة منع الغير من حقوقهم، وعده الفقهاء من كبائر الذنوب.

ومن أجل تأكيد هذه النقطة بين الباحث المقاصد الشرعية لمسائل المناسخات، وعددها في عدة نقاط، تلتقي بعضها مع المقاصد الشرعية لعلم الميراث في عمومه. والقيام بافتراض العديد من المسائل وحلها على طريقة الشيخ خليل – رحمه الله –، الذي يعتمد في تصحيح مسائل المناسخات على وضع جامعة مشتركة لكل ميت بعد الميت الأول، مرتكزًا على نظرية التوافق والتباين الحسابية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم:

ثانيًا: المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزيء الكلبي، القوانين الفقهية، بيروت: لبنان، دار الفكر، 2009 م.
2. ابن قيم الزوجية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، القاهرة: مصر، دار الحديث، 2006 م، المجلد الثاني.
3. أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، المغني، تحقيق: د محمد شرف الدين حطاب وآخر، القاهرة: مصر، دار الحديث،2004 م.
4. د أمل خيري بن أحمد، قسمة التركات مقاصدها الشرعية والمخالفات التي تعترضها وآثار تأخيرها، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد 91، ديسمبر 2019 م.
5. جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت: لبنان، دار صادر، الطبعة السادسة، 2008 م.
6. الشيخ خليل بن إسحاق الجندي، مختصر خليل، القاهرة: مصر، مركز نجيبوية للطباعة والنشر والدراسات، الطبعة الأولى، 2008 م.
7. د سعيد محمد الجليدي، أحكام الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية، طرابلس: ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1990 م.
8. شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، بيروت: لبنان، دار الغرب، 1994 م.
9. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف: السعودية، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
10. عبدالله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي، الاختيار لتعليل المختار، تحقيق: عبد اللطيف محمد عبد الرحمن، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2005 م.
11. د. قريشي علي، مقاصد أحكام علم الفرائض في الشريعة الإسلامية، جامعة منتوري قسنطينة: الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 27، جوان 2007 م.
12. محمد بن أحمد بنيس، بهجة البصر في شرح فرائض المختصر، تحقيق: د محمد محدة، عين مليلة: الجزائر، د: ت.

13. محمد بن أحمد بن علي البهوتي الخلوتي، حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات، تحقيق: سامي بن محمد الصقير وآخر، دمشق: سوريا، دار النوادر، الطبعة الأولى، 2011 م.
14. محمد بن الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، القاهرة: مصر، دار الحديث، 2006 م.
15. محمد بن خليل بن محمد بن غلبون، التحفة في علم المواريث (شرح الرحبية)، طرابلس: ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الثانية، 2002 م.
16. المكتبة القانونية الإلكترونية www.bibliojuriste.club .

لجنة الواحد والعشرين في ليبيا
من 27 يوليو إلى 25 نوفمبر 1950

د. مصباح ياقة السوداني – كلية التربية – جامعة بني وليد

المقدمـة

إن يوم الواحد والعشرين من شهر نوفمبر عام 1949م من الأيام الفاصلة في تاريخ ليبيا الحديث حيث شهد صدور القرار رقم (4/289) من الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي يقضي باستقلال ليبيا المؤلفة من برقة وطرابلس وفزان في موعد لا يتجاوز الأول من يناير ، غير أن الوصول لهذا اليوم التاريخي يحتاج من الليبيين تجاوز كثير من التحديات والعقبات خاصة وأن بلادهم لا تمتلك في هذه المرحلة أي مقومات اقتصادية أو بشرية يجعل استقلالها أمرا سهلا وميسورا ، ومن هنا جاءت خطة الأمم المتحدة لمساعدة الليبيين في إنجاز استحقاقات قيام دولتهم على أسس سليمة وبمشاركة كل الأطراف الليبية ، وذلك عن طريق تعيين مفوض عام من الأمم المتحدة مهمته مساعدة الليبيين في إنجاز دستور للبلاد وتشكيل حكومة تشرف على المرحلة الانتقالية وقد اختارت لهذه المهمة الدبلوماسي الهولندي السيد أدريان بلت يعاونه كما تضمنت الخطة الأممية مجلس استشاري يضم عشرة أعضاء ستة منهم يمثلون دول بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا ومصر وثلاثة يمثلون أقاليم ليبيا الثلاث برقة وطرابلس وفزان وواحد عن الأقليات الأجنبية في البلاد .

باشر السيد أدريان بلت مهمته في البلاد يوم الثامن عشر من يناير 1949م زار خلالها الأقاليم الثلاث التقى خلالها بالسلطات القائمة في الولايات المتمثلة في الإدارات البريطانية والفرنسية وبالزعامات الوطنية وزعماء الأحزاب السياسية ، وقد طلب منهم ترشيح عضو عن الولاية يكون ممثلا لها في مجلس العشرة الاستشاري فقدمت فزان ممثلا لها وهو السيد أحمد الحاج السنوسي ثم استبدل بالسيد محمد عثمان الصيد ، ورشحت برقة ثماني شخصيات اختار السيد بلت إحداها وهو السيد أسعد الجربي ثم تم استبداله بالدكتور علي العنيزي ، ورشحت الأحزاب السياسية في طرابلس سبعة أشخاص

اختار السيد بلت منهم السيد مصطفى ميزران ممثلا عن ولاية طرابلس ، أما الأقليات فتم اختيار السيد جياكومو مارشينو[1] .

بانجاز السيد بلت الخطوة الأولي باختيار الأعضاء الأربعة الممثلين في المجلس الاستشاري جاءت أهم خطوة وأصعبها في بناء الدولة وهي إنشاء الجمعية الوطنية التأسيسية ،وقد جاءت هذه الدراسة لأهمية هذه الموضوع فهي تكشف عن مرحلة مهمة في تاريخ ليبيا الحديث وخطوة أساسية لتكوين دولة ليبيا الحديثة وسنحاول من خلال هذا البحث الإجابة عن مجموعة من التساؤلات منها كيف استطاع الليبيون التوافق على تأسيس اللجنة التحضيرية على الرغم من اختلاف توجهاتهم السياسية والجهوية والقبلية ؟وما الذي استطاعت اللجنة إنجازه ؟ وماهي أهم التحديات والصعوبات التي واجهتها منذ تأسيسها ؟ وما الدور الذي لعبته الأمم المتحدة في توافق الليبيين ومواقف الدول الأجنبية من الجمعية الوطنية؟

نشأة لجنة الواحد والعشرين

لعل من أهم المهام التي أوكلت للسيد أدريان بلت بالتشاور مع المجلس الاستشاري هو تكوين لجنة تحضيرية تقوم باتخاذ خطوات من أجل انتخاب الجمعية الوطنية ، وقد واجهت هذه الخطوة عقبتين في بداية الأمر الأولى مطالبة الأقليات** وخاصة الايطاليين والتي تتركز في ولاية طرابلس بالتمثيل في اللجنة التحضيرية وفي الجمعية الوطنية معتمدين في مطالباتهم بديباجة قرار الأمم المتحدة الذي أشار في الفقرة الثالثة إن دستور ليبيا يحدده سكان برقة وطرابلس وفزان المجتمعين والمتشاورين معا في جمعية وطنية وبما أنهم من سكان طرابلس لذا يجب أن يكونوا ممثلين في هذه الهيئات ، وقد لاقت هذه المطالبة معارضة كبيرة خاصة في برقة وفزان حيث أعلنوا أن مسألة المشاركة الإيطالية في التطور الدستوري سيوثر على مستقبل البلاد .وبعد مداولات قانونية وسياسية في المجلس الاستشاري ، ومع القيادات في الولايات وبعد حصول المعارضين على تطمينات بشأن مشاركة الأقليات وأنها لن تضر بتسوية الوضع القانوني للإيطاليين بعد صدور الدستور الليبي وتحقيق استقلال ليبيا تم الأخذ بالرأي القائل بمشاركة الايطاليين في لجنة الواحد والعشرين وذلك بعد أن تم التصويت عليه داخل المجلس الاستشاري فتحصل على تأييد سبعة أصوات مقابل لا أحد معترض وامتناع ثلاثة عن التصويت[2] .

[1] - محمد بالروين ، القوى السياسية وراء دستور 1951م ، مؤتمر منظمة الليبيين – الأمريكان من أجل الحرية ، واشنطن ، يونيو 2006م ، ص 4

** يقصد بالأقليات هم كل السكان الأجانب في ليبيا من الإيطاليين واليهود والمالطيين واليونانيين

[2] - ادريان بلت ، استقلال ليبيا والأمم المتحدة ، حالة تفكيك ممنهج للاستعمار ، ترجمة محمد زاهي بشير المغيربي ، الجزء الثاني ، منشورات مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة ، 200 ن ص 515 - 516

أما العقبة الثانية التي واجهت تشكيل اللجنة التحضيرية فتتمثل في كيفية اختيار أعضاء اللجنة ، فبعد مشاورات قام بها السيد ادريان بلت مع عديد الأطراف الليبية والسلطات البريطانية والفرنسية توصل المجلس الاستشاري في 24 يونيو 1950 إلى اتفاق حول عدد أعضاء اللجنة وهو واحد وعشرون عضوا سبعة لكل إقليم ولذا أصبحت تعرف باسم (لجنة الواحد والعشرين) ، وتكون آلية اختيارهم بأن يعهد للأمير محمد إدريس السنوسي اختيار ممثلي برقة ، واختيار ممثلي فزان من قبل السيد أحمد سيف النصر ، في حين كان اختيار ممثلي طرابلس بالتشاور مع الزعامات الحزبية في الإقليم .وقد شكلت اللجنة على النحو التالي[1]: –

أولا : برقة

رشيد الكيخيا احمد عقيلة الكزة محمود ابوهدمة

عمر فائق شنيب الطايع البيجو خليل القلال عبدالكافي السمين

ثانيا : فزان

علي عبدالنبي المقطوف محمد المهدي بن هيبة الطاهر عبدالله الجراري

احمد محمد الطبولي علي محمد ابديوي محمد عثمان الصيد بلقاسم بوقيلة

ثالثا : طرابلس

الشيخ محمد ابولاسعاد العالم ابوالربيع الباروني سالم المريض

علي رجب احمد عون سوف عبدالعزيز الزقلعي جياكومو مارشينو

من الملاحظ في الأسماء التي تم اختيارها من ولاية طرابلس أنها تمثل جزءاً كبيراً من الطيف السياسي فمنهم ممثلو حزب المؤتمر الوطني الذي يقوده المناضل بشير السعداوي و الجبهة الوطنية المتحدة وحزب الاتحاد المصري الطرابلسي وممثل عن المكون الليبي الأمازيغي وممثل عن الأقليات.

بدأت اللجنة التحضيرية أو كما عرفت بلجنة الواحد والعشرين عملها في السابع والعشرين من يوليو عام 1950م في جلسة افتتاحية بحضور أعضاء من السلك القنصلي والمفوض وأعضاء من المجلس الاستشاري وعدد من الوجهاء ، حيث اتفق الحاضرون على أن يكون رئيس اللجنة السيد المفتي محمد أبوالاسعاد ، و أن يكون السيد محمد عثمان الصيد من فزان و السيد خليل القلال من برقة سكرتيرين للجنة[2] ،كما تم الاتفاق على تشكيل لجنة فرعية متكونة من ستة أعضاء ، اثنين من

[1] - المصدر نفسه ، ص 533 - 534

[2] - مجيد خدوري ، ليبيا الحديثة ، دراسة في تطورها السياسي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1966م ، ص 170

كل ولاية لوضع اللائحة الداخلية لعمل اللجنة مستعينة بمستشارين من الأمم المتحدة هم الدكتور عمر لطفي وعبدالرزاق السنهوري من مصر والدكتور عوني الدجاني فلسطيني الجنسية[1] .

وفي الاجتماع الثاني درست اللجنة تقرير اللجنة الفرعية التي شكلت لوضع اللائحة الداخلية والتي أخذت بنودها بصورة مبسطة من لائحة مجلس ليبيا الاستشاري ، وقد أضيف إليها شرطان مهمان الأول أن تتخذ اللجنة قراراتها بأغلبية الثلثين ، والثاني أن يكون النصاب القانوني للجلسة خمسة عشر عضوا[2] ، على الرغم من الجدل الواسع بين الأطراف حول الشرط الأول وهو مسألة آلية اتخاذ القرار حيث جوبه هذا الاقتراح بمعارضة من ممثل فزان السيد محمد عثمان باعتبار أن هذه الآلية في نظره ممكن أن تحرم أحد الأقاليم من حقه في الاعتراض إذا اتفق أعضاء الإقليمين الآخرين على أمر معين فلو اتفق ممثلو طرابلس وبرقة على أمر معين فهو بذلك يصبح نافذا لأنه تحصل على الثلثين وهو عدد ممثلي الإقليمين المذكورين بينما حرم الإقليم الآخر من أخذ رأيه[3] ، كما اتفقت الأطراف على أن يكون النصاب القانوني للجلسات بخمسة عشر عضوا .

ولعل من الملاحظ في هذا الجدال الذي حصل حول هذه النقطة ما يبين لنا جليا تلك الأجواء السياسية في البلاد والذي انعكس بوضوح على النقاش داخل اللجنة حيث غلب عليه الانتماء الإقليمي و عدم وجود ثقة تامة بين الأطراف الليبية . ثم توالت اجتماعات اللجنة وكان جدول أعمالها يتضمن الأتي :

1- مناقشة عدد أعضاء الهيئة التأسيسية وكيفية تمثيل الولايات فيها

لقد نص قرار الأمم المتحدة رقم (289) في فقرته الثالثة على أن يجتمع مندوبون عن برقة وطرابلس وفزان في جمعية وطنية ليقرروا دستورا لليبيا بما في ذلك تشكيل حكومة مؤقتة ، وبهذه الصيغة ترك لليبيين مساحة كافية للتفاهم والتشاور في الكيفية التي يتم بها تحديد عدد أعضاء الجمعية وكيفية اختيارهم ، لذا فقد ظهر جدل كبير بين ممثلي الولايات داخل اللجنة بل وصل الخلاف إلى الدول الكبرى والإقليمية المتداخلة في القضية الليبية .

لقد طالب ممثلو برقة وفزان أن يكون مبدأ المساواة بين الأقاليم هو الأساس لتكوين الجمعية الوطنية مستندين في ذلك إلى إشارة القرار إلى أقاليم ليبيا الثلاثة وإلى النهج الذي اتخذته البعثة من

[1] - مذكرات محمد عثمان الصيد (رئيس الحكومة الليبية الأسبق) ، محطات من تاريخ ليبيا ، مطابع النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1996م ، ص 57

[2] - ادريان بلت ، استقلال ليبيا والأمم المتحدة ، المصدر السابق ، ص 549

[3] - محمد عثمان الصيد ، المرجع السابق ، ص 58

البداية حيث حرصت على تمثيل الولايات بالتساوي في المجلس الاستشاري ، و في اللجنة التحضيرية، لذا لابد أن يستمر هذا النهج في تكوين الجمعية الوطنية التأسيسية[1] .

أما ممثلو طرابلس فقد كان رأيهم مختلفا تماما حيث طالبوا بضرورة التمثيل النسبي الذي يراعي عدد السكان في الأقاليم حيث لا يمكن من الناحية الديقراطية أن يكون تمثيل طرابلس متساويا وهي التي يبلغ عدد سكانها ب750 ألف ، بينما في برقة 300 ألف ، وفزان 50 ألف[2] ، فاقترحوا أن يكون عدد أعضاء الجمعية الوطنية مائة وخمسون عضوا ، مائة لطرابلس وثلاثون لبرقة وعشرون لفزان[3] .

وبعد جدل كبير من ممثلي الولايات توصل الحاضرون في السابع من أغسطس 1950م إلى أن يكون عدد أعضاء الجمعية الوطنية التأسيسية ستون عضوا بالتساوي بين الأقاليم عشرون لكل إقليم ، وقد اتخذ هذا القرار بموافقة سبعة عشر عضوا وامتناع ثلاثة أعضاء ، وغياب أحد الأعضاء.

وبناء على رغبة أحد الأعضاء البرقاويين أضيف لجدول الأعمال بند جديد يتعلق بمشاركة الأقليات الأجنبية في الجمعية الوطنية ، حيث اتفقت الأطراف على عدم مشاركة الأقليات الأجنبية في الجمعية .

2- كيف تكون عضوية الجمعية الوطنية بالانتحاب أو بالتعيين ؟

توجهت اللجنة بعد الاتفاق على عدد أعضاء الجمعية وكيفية تمثيل الأقاليم لمناقشة البند الثاني الذي يتضمن كيفية اختيار أعضاء الجمعية وهل يكون بالاختيار أو بالتعيين حيث ظهر تباين كذلك في وجهات النظر حيث أيد ممثلو فزان مبدأ الانتخاب لأنه في نظرهم هو الوسيلة الحقيقية لتحقيق رغبات السكان ، في حين أيد ممثلو برقة وطرابلس مبدأ الاختيار وحجتهم في ذلك أن العملية الانتخابية تحتاج لوقت طويل ، كما أن المناخ السياسي في طرابلس من تعدد الأحزاب وسيطرة الإدارة البريطانية لا يساعد على نزاهة الانتخابات وأنها ستكون نتائجها وفق رؤية رجال الإدارة البريطانية أو أطراف خارجية أخرى داعمة لهذا الحزب أو ذاك[4] .

لم ينل أي من المقترحين النصاب القانوني مما جعل اللجنة تنقل الخلاف إلى السيد أدريان بلت الذي قام بدوره بالاتصال بالزعامات الوطنية الأمير إدريس في برقة واحمد سيف النصر في فزان ورؤساء الأحزاب السياسية في طرابلس من أجل الوصول إلى صيغة ترضي جميع الأطراف ،

---

[1] - ادريان بلت ، استقلال ليبيا والأمم المتحدة ، المصدر السابق ، ص 551

[2] - Ismail Raghib Khalidi , Constitutional development in Libya , (Beirut , Lebanon : Khayat s college Book Co-operative.1956) . p.18

[3] - محمد عثمان الصيد ، المرجع السابق ، ص 60

[4] - مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص 171

كما قام الأمير إدريس بإرسال السيد عمر شنيب إلى فزان لمقابلة رئيس الإقليم أحمد سيف النصر لمحاولة إقناعه بالتخلي عن إصراره على مبدأ الانتخابات للجمعية الوطنية والقبول بمبدأ التعيين ،وقد أثمرت الاتصالات بين الأطراف إلى قبول إقليم فزان على مبدأ التعيين[1] وذلك بالصيغة التالية وهي أن يختار الأمير إدريس السنوسي ممثلي برقة ويختار أحمد سيف النصر ممثلي فزان ، ونزولا عند اقتراح ممثلي طرابلس يوكل اختيار أعضاء طرابلس للسيد المفتي محمد أبوالأسعاد بعد التشاور مع جميع الأحزاب والزعامات القبلية في موعد لايتجاوز 26 اكتوبر 1950م[2] . على أن يراعي في تمثيل طرابلس أن لا يكون حكرا على الأحزاب الرئيسية فقط وإنما يشمل معظم المكونات القبلية والمستقلين.

3- مشاركة الأقليات الأجنبية في عضوية الجمعية الوطنية.

بناء على رغبة أحد الأعضاء البرقاويين أضيف لجدول الأعمال بند جديد يتعلق بمشاركة الأقليات الأجنبية في الجمعية الوطنية ،حيث كانت هذه المسألة مثار جدل بين الأطراف الليبية المحلية والدولية ، خاصة أن ذكر الأقليات قد جاء في قرار الأمم المتحدة حيث نص على تمثيلهم في مجلس العشرة الاستشاري ، كما أنهم ممثلون في لجنة الواحد والعشرين لذا فان البعض يرى أن مشاركتهم في الحياة السياسية ضرورية بصفتهم من سكان البلاد ، غير أن أعضاء اللجنة رفضوا هذا التفسير معتبرين أن الجمعية الوطنية هي هيئة تأسيسية مهمتها تأسيس دستور يمثل الليبيين فقط ، لذا فقد اتفق أعضاؤها جميعا على رفض مشاركة الأقليات الأجنبية في الجمعية الوطنية ، ولكي تبعث اللجنة برسالة طمأنة للأقليات الأجنبية وللمجتمع الدولي فقد أكدت في قرارها بأنها ستحترم كل الحقوق المدنية والدينية والاجتماعية لكل الأجانب وسيكون ذلك ضمن دستور ليبيا المستقبلي[3] .

4- تاريخ ومكان انعقاد الجمعية الوطنية .

لقد كان موعد انعقاد الجمعية الوطنية محل نقاش حيث طالب البرقاويون بأن يكون الأول من من نوفمبر 1950 ، واقترح الفزانيون أن يكون في النصف الأول من يناير 1951، وكان ممثلو طرابلس يميلون لوجهة نظر البرقاويين ، لذا فقد تم الاتفاق على تاريخ وسط وهو الخامس والعشرين من نوفمبر 1950م وأن تكون الجلسة الأولى في مدينة طرابلس ، ويترك للجمعية التأسيسية بعد ذلك أن تقرر عقد جلساتها التالية حيثما شاءت[4] .

في الوقت الذي قدمت برقة وفزان مرشيحهما للجمعية التأسيسية أخفق السيد محمد أبو الأسعاد في تقديم مرشحي طرابلس في الموعد المحدد حيث مددت المهلة أكثر من مرة ، واستمر

[1] - ادريان بلت ، استقلال ليبيا والأمم المتحدة ، المصدر السابق ، ص 560
[2] - ادريان بلت ، التقرير السنوي الثاني لمندوب الأمم المتحدة في ليبيا ، الأمم المتحدة ، أكتوبر 1951م ، ص 3
[3] - ادريان بلت ، استقلال ليبيا والأمم المتحدة ، المصدر السابق ، ص 561
[4] - محمد عثمان الصيد ، المرجع السابق ، ص 62

الأمر حتى 30 اكتوبر حيث قدم أسماء المرشحين ، غير أن القائمة التي قدمها واجهت اعتراض من السيدين عضوي اللجنة عن طرابلس هما السيد علي بن رجب والسيد عبدالعزيز الزقلعي وحجتهم في ذلك أن السيد أبوالأسعاد لم يستشر كثيراً من الأحزاب السياسية والقيادات القبلية في إقليم طرابلس وأنه احتكر العضوية على حزب المؤتمر الوطني والأحزاب المتآلفة وحزب الاستقلال وبعض المستقلين ، فكان للأول تسعة أعضاء وللثاني ستة أعضاء والبقية مستقلين بدون أي انتماء حزبي ، الأمر الذي حرم أحزاباً أخرى من التمثيل مثل حزب الاتحاد المصري الطرابلسي والذي يترأسه السيد علي بن رجب، وحزب الكتلة وغيرها .

وعندما عرضت القائمة على التصويت تم إقرارها بغالبية ستة عشر صوتا ، مقابل صوت واحد معترض وهو السيد علي بن رجب ، وصوت واحد امتنع وهو السيد عبدالعزيز الزقلعي ، بينما غاب عن التصويت ثلاثة أعضاء هم السيد جياكومو مارشينو والسيد عبدالربيع الباروني والسيد رشيد الكيخيا[1] .وبهذا الاستحقاق التاريخي تكون لجنة الواحد والعشرين قد أنجزت المهام المنوطة بها .

مواقف الدول من اللجنة التحضيرية (الواحد والعشرين)

لقد كان عمل ومخرجات لجنة الواحد والعشرين محل جدل بين الدول سواء في الجمعية العامة للأمم المتحدة أو في مجلس ليبيا الاستشاري الذي ضم مجموعة من الدول (مصر والباكستان والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وإيطاليا) حيث انقسمت الدول بين معارض أو متحفظ علي بعض نتائجها أومؤيد لمخرجاتها .

ومن الدول التي انتقدت نتائج اللجنة مصر ، والتي كانت قد لعبت دوراً مهما في قضية استقلال ليبيا وفي عملية التطور الدستوري فيها ، منطلقة من كون ليبيا دولة عربية جارة لمصر تشكل عمقا استراتيجيا لها ، لذا فقد نص قرار الأمم المتحدة رقم 289 على عضوية مصر في مجلس ليبيا الاستشاري الذي يقدم المعونة والمشورة لمفوض الأمم المتحدة في ليبيا .

لقد واكبت مصر منذ البداية ظروف تشكيل لجنة الواحد والعشرين حيث أبدى مندوبها السيد كامل سليم اعتراضه في تشكيل اللجنة عن طريق الانتخاب لأنه يرى أن الانتخابات في طرابلس الواقعة تحت حكم الإدارة البريطانية لن تكون نزيهة بل ستكون النتائج وفق اختيارات السلطات البريطانية صاحبة الكلمة العليا في الولاية ، لذا فقد أيد مقترح مندوب الباكستان السيد عبدالرحيم خان بأن يتم اختيار سبعة ممثلين عن كل إقليم .

وعندما بدأت اللجنة عملها بالاتفاق حول كيفية تشكيل الجمعية الوطنية أصرت مصر أن تكون الجمعية التأسيسية منتخبة تمثل جميع الليبيين تمثيلا صحيحا يراعى فيه عدد السكان ، إذ

[1] - مجيد خدوري ، المرجع السابق ، ص 174

لايصح مبدأ المساواة في التمثيل الذي أقرته لجنة الواحد والعشرين لان ذلك يعني أن ثلث السكان في برقة وفزان يتحكم في مصائر ثلثي السكان في طرابلس ، لذا فقد قدمت مصر في الجلسة العامة للجمعية العامة للأمم المتحدة في السابع عشر من نوفمبر 1950م تعديلا للفقرة الثالثة من القرار 289 بأن يكون على الصيغة التالية (أن تكون الجمعية الوطنية منتخبة على النحو الواجب وممثلة لسكان ليبيا) ، غير أن هذا التعديل رفض بأربعة وعشرين صوتا مقابل عشرين صوتا وامتناع خمسة عشر صوتا[1] . ولقد أيدت المجموعة العربية الموقف المصري خاصة بعد تلقي الجامعة العربية شكاوى من عدد من الهيئات الوطنية في ليبيا حيث اعتبرت أن تشكيل الجمعية بطريقة التعيين والتساوي بين أقاليم ليبيا الثلاث ليس تمثيلا صحيحا ويتنافى مع ابسط مبادئ الديمقراطية[2] .

ولكن على الرغم من الاعتراض المصري على نتائج لجنة الواحد والعشرين فقد أقرت اللجنة أعمالها كما رأينا سابقا ، وذلك بسبب مواقف بعض الليبيين ودعم بعض الدول مثل امريكا وبريطانيا وفرنسا .

لقد كانت رؤية المصريين فيما انبثق عن لجنة الواحد والعشرين من جعل التمثيل في الجمعية الوطنية على أساس جغرافي دون مراعاة التمثيل السكاني قد يهدد وحدة البلاد .

أما موقف دولة الباكستان فقد كان متناغما كثيرا مع الموقف المصري على الرغم من تأييدها لاقتراح تشكيل اللجنة بالتعيين والتساوي في التمثيل بين الولايات لأنه حسب تصريح ممثلها عبدالرحيم خان كان يريد تمكين ممثلي سكان ليبيا من الاجتماع في جمعية وطنية وعدم تأخير تقدم ليبيا الدستوري[3] ، لكنه في الوقت نفسه كان مطابقا للموقف المصري الذي يرفض أن يكون التمثيل في الجمعية الوطنية بالتساوي بين الأقاليم .

أما الكتلة الشرقية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي فقد طالبت بضرورة تمثيل الليبيين تمثيلا صحيحا وأن تبقى ليبيا موحدة ، وفي إطار الحرب الباردة بين الشرق والغرب فقد كان موقف الاتحاد السوفيتي متركزا على ضرورة سحب جميع القوات الأجنبية من ليبيا وان تفكك جميع القواعد العسكرية.

أما الموقف المؤيد لأعمال اللجنة فقد كانت تمثله دول أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، فبحكم علاقة بريطانيا ببرقة ووجودها العسكري التي تريد الحفاظ عليه فقد كانت حريصة على تأييد مطالب البرقاويين في التساوي في التمثيل بين الأقاليم ، ومثله الموقف الأمريكي الذي كان يؤكد على ضرورة

[1] - الوثائق الأمريكية المنشورة ، العلاقات الخارجية للولايات المتحدة ، الشرق الأدنى وإفريقيا 1951م ، المجلد الخامس ، وثيقة SD/C.1/374 ، ورقة معدة بوزارة الخارجية بخصوص موقف الولايات المتحدة من التقرير المقدم من مفوض الأمم المتحدة بليبيا للجمعية العامة ، واشنطن 9 أكتوبر 1951.

[2] - وثائق جامعة الدول العربية ، المسألة الليبية ، قرار 343 ، الدورة العادية 14 ، الجلسة الأولى ، 1951/3/17م .

[3] - ادريان بلت ، التقرير السنوي الثاني لمندوب الأمم المتحدة في ليبيا ، المصدر السابق ، ص 14 - 15

التعجيل باستكمال المسار الدستوري من أجل إعلان الاستقلال وفق قرار الأمم المتحدة ولا يجب الوقوف على شكل الدولة وإنما يترك لليبيين وحدهم تقرير ذلك ، لذا فقد كان الموقف الأمريكي مؤيدا لمقررات لجنة الواحد والعشرين حيث قال مندوبها في الأمم المتحدة واصفا عملها بقوله (إن لجنة الواحد والعشرين قد نفذت ببراعة المهمة الموكلة لها ، وبما أنها أقرت أن تكون الجمعية الوطنية هي الممثل لسكان ليبيا وكونها ليست منتخبة لايغير هذه الحقيقة)[1] .

لقد كانت الولايات المتحدة تسعى إلى ضرورة إنجاز المسار الدستوري بسرعة لأنها ترى أن ليبيا ستكون دولة صديقة للولايات المتحدة، وبما أنها ستكون عضوا في الجامعة العربية ستصبح جسرا للتواصل مع العالم العربي ، لذا فقد حرصت السياسة الأمريكية على الوقوف ضد ما أسمته الدعاية المصرية والسوفيتية التي ترفض الوجود الأمريكي والبريطاني في ليبيا ، وتعتبره تهديدا لوحدة البلاد .

وقد كان الموقف الفرنسي متماشيا مع الموقفين الأمريكي والبريطاني حيث أيدت أعمال اللجنة ومخرجاتها، منتقدة الدول التي تتحفظ على مخرجات اللجنة، وقد كان الهدف الفرنسي هو الحفاظ على مصالحهم في إقليم فزان والذي سيكون ممكنا في ظل دولة فيدرالية تضمن لها بقاء قوات لها في هذا الإقليم القريب من مناطق نفوذها في المغرب العربي وجنوب الصحراء.

أخيرا نستطيع القول إن تتبع ما أنجزته لجنة الواحد والعشرين من عمل كبير ومهم رغم الظروف المحيطة المحلية والدولية يجعلنا نصل لمجموعة من النتائج أهمها :-

1- إن لجنة الواحد والعشرين هي اللبنة الليبية الأولى في بناء دولة الاستقلال ، حيث استطاعت إنجاز أهم الاستحقاقات في المسار الدستوري وهي تشكيل الجمعية الوطنية التأسيسية التي أنيط بها إنجاز دستور للبلاد.

2- لقد تأثر النقاش داخل اللجنة بالأجواء السياسية التي كانت عليها البلاد آنذاك من انقسام طيلة سنوات حكم الإدارة الانجلوفرنسية ، حيث أظهرت النقاشات عند بعض الأطراف التمسك بما أسمته حقوق الأقاليم (برقة وطرابلس وفزان) ، كما تأثرت اللجنة باختلاف الأطراف الدولية خاصة تلك الممثلة في مجلس ليبيا حيث كان لكل دولة وجهة نظر أرادت فرضها على الأطراف الليبية التي تدعمها .

3- من النتائج المستقاة من أعمال لجنة الواحد والعشرين أن الليبيين عندما يجتمعون ويستمع بعضهم لبعض يستطيعون إنجاز الكثير وتخطي كافة الخلافات ، وتقديم التنازلات من أجل وطنهم ، وهو مايحتاج إليه الليبيون اليوم .

[1] - الوثائق الأمريكية المنشورة ، العلاقات الخارجية للولايات المتحدة ، الشرق الأدنى وإفريقيا 1951م ، المجلد الثاني ، وثيقة 320/9-2751 ، (من وزير الخارجية إلى البعثات الدبلوماسية) 27واشنطن ، سبتمبر 1951م ، ص 26

قائمة المراجع

أولاً الوثائق :

1. الوثائق الأمريكية المنشورة، العلاقات الخارجية للولايات المتحدة ، الشرق الأدنى وإفريقيا 1951م، المجلد الخامس ، وثيقةSD/C.1/374 ، ورقة معدة بوزارة الخارجية بخصوص موقف الولايات المتحدة من التقرير المقدم من مفوض الأمم المتحدة بليبيا للجمعية العامة ، واشنطن 9 أكتوبر 1951.
2. الوثائق الأمريكية المنشورة ، العلاقات الخارجية للولايات المتحدة ، الشرق الأدنى وإفريقيا 1951م، المجلد الثاني ، وثيقة 9/320-2751 ، (من وزير الخارجية إلى البعثات الدبلوماسية) 27واشنطن ، سبتمبر 1951م .
3. وثائق جامعة الدول العربية ، المسألة الليبية ، قرار 343 ، الدورة العادية 14 ، الجلسة الأولى، 1951/3/17م.

ثانياً الكتب :

1. ادريان بلت ، استقلال ليبيا والأمم المتحدة ، حالة تفكيك ممنهج للاستعمار ، ترجمة محمد زاهي بشير المغيربي ، الجزء الثاني ، منشورات مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة .
2. ادريان بلت ، التقرير السنوي الثاني لمندوب الأمم المتحدة في ليبيا ، الأمم المتحدة ، أكتوبر 1951م .
3. مذكرات محمد عثمان الصيد (رئيس الحكومة الليبية الأسبق) ، محطات من تاريخ ليبيا ، مطابع النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1996م .
4. مجيد خدوري ، ليبيا الحديثة ، دراسة في تطورها السياسي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1966م 170.
5. محمد بالروين ، القوى السياسية وراء دستور 1951م ، مؤتمر منظمة الليبيين – الأمريكان من أجل الحرية ، واشنطن ، يونيو 2006م .
6. Ismail Raghib Khalidi , Constitutional development in Libya , (Beirut , Lebanon : Khayat s college Book Co-operative.1956) .

الجدل السقراطي ومخرجاته العلمية والعملية

د. كلثوم عثمان حسن الحضيري – كلية الآداب – جامعة سبها

الملخص

تهدف الدراسة إلى معرفة الجدل السقراطي باعتباره أهم الطرق المناسبة في التعليم، ولما له من أهداف كبيرة ليس في المجال المعرفي فحسب، بل أيضاً في المجال التربوي والأخلاقي، والجدل السقراطي كفيل بتلقي العلم والمعرفة، ويعتبر الطريقة المناسبة للتواصل المعلم مع التلميذ وتعليمهم بالنقد والفحص، وإعادة بنائها من جديد على أسس منطقية سليمة، وهذا هو الدور الذي لعبه سقراط من خلال أسلوبه الجدلي الذي أحدث تطوراً في الفكر الفلسفي، وتم صياغة إشكالية البحث في التساؤلات التالية: ما هو الجدل السقراطي؟ وما أسبابه؟ وما خطواته في بناء المعرفة؟ وما الهدف من وراء هذا الجدل؟ وكيف استطاع أن يعيد المبادئ الأخلاقية من خلال هذا المنهج؟ وللإجابة على هذه التساؤلات نبدأ من فرض رئيسي وهو: أن الجدل السقراطي وسيلة لتوليد الأفكار والمعلومات، ووسيلة اتصال بين المعلم والتلميذ، هدفه تطهير العقل من المعلومات السابقة والخاطئة لبناء معرفة حقيقية مطلقة، فخلصت الدراسة إلى عدة نتائج نذكر منها: إن الجدل السقراطي هو المنهج أو الطريقة التي سعى من خلاله سقراط إلى تحديد المعرفة وبنائها على أسس علمية، مما مهد الطريق أمام الفلاسفة من بعده لاعتماده كمنهج للبحث عن الحقيقة ابتدأ من أفلاطون إلى عصرنا الحالي، وأن سقراط سعى من خلال الجدل إلى وضع تعريفات محددة، تعتمد على الاستقراء، مما يجعل منه أول من وضع أساس المنهج الاستقرائي، وفتح المجال أمام أرسطو ليضع قواعد المنطق الصوري.

الكلمات الافتتاحية / جدل – علمية – عملية

Summary

The study aims to know the Socratic debate as the most appropriate method in education, because of its great goal not only in the cognitive field, but also in the educational and moral field, and rebuilding it again on sound logical foundations, and this is the role played by Socrates through his dialectical style that developed in philosophical thought. Who is behind this

controversy? And how he was able to restore moral principles through this approach, and to answer these questions we start from a main assumption: that Socratic debate is a means of generating ideas and information, and a means of communication between teacher and student, whose goal is to purify the mind of previous and false information to build true absolute knowledge. Several results, including: The Socratic debate is the method or method through which he sought to define knowledge and build it on scientific foundations, which paved the way for philosophers after him to adopt it as a method for searching for truth, starting from Plato to our present era, and that Socrates sought through polemic To set specific definitions, based on induction, which is the first to lay the basis of the inductive method, . and opened the way for Aristotle to lay down the rules of essential logic.

Opening words / controversy - scientific - practical

المقدمة

(لا ينفع الطبيب أن يكون مجرد طبيب يكتب وصفة طبية للمريض، بل عليه أن يقنع المريض بتناول هذا الدواء)، هذا ما قاله **سقراط** كملخص لمنهجه، الذي من خلاله جعل منه الفيلسوف المنهجي الأول والمعلم الأول الذي فرض على الإنسان حب الحقيقة، وأيقظ العقل اليوناني لكي يلتمس المعرفة بالنقد والفحص، ويعيد بنائها من جديد على أسس منطقية سليمة، وهذا هو الدور الذي لعبه **سقراط** من خلال أسلوبه الجدلي الذي أحدث تطوراً في الفكر الفلسفي، وقضى حياته كلها محاولاً بناء العلم اليوناني، فوضع القواعد والقوانين الكلية في جميع ميادين المعرفة، وكانت مواقفه في بناء المعرفة محاولة تعريف الأشياء سواء كانت بسيطة أو مركبة، ولفت اهتمامه أيضا بالإنسان، ففلسفته تدور حول موضوع واحد هو الإنسان من خلال نظريته الأخلاقية المتعلقة بالفضيلة والتقوى والعدالة، فأخذ يعلم ويرشد الشباب مُتبعاً في ذلك مراحل منهجه الجدلي التي استخدمها في محاوراته ومناقشاته مع تلاميذه، حتى يصل بهم إلى اكتشاف الحقائق بنفسه فبعضهم تقبل طريقته وظل يبحث ويحلل، وبعضهم اعترض عليها واتهموه بإفساد العقول، ومع ذلك فقد قدَّم للفلسفة جوابين حول مشكلة الفضيلة والدولة، مما كان لفلسفته صدى كبير من بعده فأوصله منهجه الجدلي الحواري بأن حُكِمْ عليه بالموت بتهمة الفساد الخلقي .

إشكالية الدراسة :

تطرح الإشكالية عدة تساؤلات نحاول الإجابة عليها من خلال هذا البحث، والوقوف عليها، وللوصول إلى نتيجة فيما يتعلق بموضوع البحث نقترح مجموعة من الأسئلة تساعدنا على حل الإشكالية، وهذه التساؤلات هي: ما هو الجدل السقراطي؟ وما أسبابه؟ وما خطواته في بناء المعرفة؟ وما الهدف من وراء هذا الجدل؟ وللإجابة على هذه التساؤلات نبدأ من افتراض رئيسي وهو: أن الجدل السقراطي هو وسيلة لتوليد الأفكار والمعلومات، وأنه وسيلة الاتصال بين الأستاذ والطالب، هدفه تطهير العقل من المعلومات السابقة والخاطئة لبناء معرفة حقيقية متسقة.

أهمية الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لتقف على دور الجدل السقراطي في تطهير العقل من الآراء الزائفة وبناءه من جديد وتكمن أهميته في عملية الحوار التي لها دور ليس في المعرفة فحسب بل في الحياة العامة كذلك، حيث يؤدي الحوار إلى الانفتاح على الآخر وتقبل الاختلاف معه، أي ينتج تفاعل وانسجام بين الأنا والآخر، ويفتح مساحة بين المتحاورين والمفكرين، ولا يجعلها في مكان محدد وضيق، وبالتالي يكون الجدل هو الفكر الحر المنفتح على الآخر، الأمر الذي يجعل الإنسان يمارس الحوار الحر ويأخذ بالأفكار المتبادلة التي تتم من خلالها عملية المعرفة.

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم الجدل والحوار عامة والجدل السقراطي خاصة الذي يمثل أحد نماذج الجدل الذي يوصل الإنسان إلى طريق الحقيقة من خلال الاتي:

1- إحياء فكرة الحوار حيث أصبح المجتمع مجتمع تبرير يقبل الواقع كما هو حتى أصبح العقل جامدا ليس له القدرة على استعمال التفكير.

2- إبراز أهمية الحوار لتوصيل المعلومات، وأن كل العلوم معتمدة عليه في عملية الفهم.

3- نشر ثقافة الاختلاف والتعدد وتقبل الأخر.

4- تقوية عملية التواصل مع الأخر وإنهاء عمليات الانقطاع والتعارض معه.

5- بناء المعرفة على أسس منطقية سليمة وإزالة كل ما هو مشوش حولها، ولا يحدث ذلك إلا بالحوار.

6- يُنمي الجدل والحوار الروح الأخلاقية، ويعزز الاحترام بين الناس، وتقبل النقد والاختلاف بروح متسامحة مبنية على حب الفضيلة.

منهج الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من أجل وصف وتحليل الجدل السقراطي، وكذلك المنهج المقارن في المقارنة بينه وبين الجدل السوفسطائي، وقُسمتْ الدراسة إلى ثلاث مباحث وكل مبحث له مطلبين :

المبحث الأول /أسس الجدل السقراطي :

المطلب الأول : الأصول الأولى للجدل

المطلب الثاني: عوامل ظهور الجدل السقراطي

المبحث الثاني / الجدل السقراطي والمنطق :

المطلب الأول : ماهية الجدل السقراطي وأهدافه

المطلب الثاني : مبحث الحد والاستقراء

المبحث الثالث /الجدل والمعرفة الأخلاقية :

المطلب الأول : مراحل البحث عن المعرفة

المطلب الثاني: العلاقة بين المعرفة والأخلاق .

المبحث الأول /أسس الجدل السقراطي

المطلب الأول: الأصول الأولى للجدل

يعتبر مصطلح الجدل من أكثر المصطلحات تعقيداً وغموضاً، فقد طرأت عليه تحولات وتطورات تبدأ من اليونان إلى يومنا هذا، فالجدل عملية تقوم على الحوار والمناقشة كما كان عند السفسطائيين، ثم أصبح عند سقراط فن الحوار ينتج عنه توليد المعاني، فأصبح منهجا يرتفع به العقل من المحسوس إلى المعقول عند أفلاطون، ومنهج المناظرة عند المسلمين، وبعد ذلك

تحول الجدل وأخذ تطورا جديدا في العصر الحديث، فأصبح الجدل عند كانط منطق الوهم، ويرى من بعده (فختى) أن الجدل تناقض بين الأنا واللأنا، فجاء (شيلنج) وقال بهوية الأضداد، أما (هيجل) فالجدل عنده هو مزيج من تناقض فختى وهوية شيلنج ، فاستُخدم المصطلح بعدها ليصف ألوانا شتى من الأنشطة والتصورات والمواقف تختلف فيما بينها أتم الاختلاف، فهناك مثالية جدلية ومادية جدلية وتاريخ جدلي ومنطق جدلي وحرية جدلية، وضرورة جدلية، وهناك جدل طبيعة وجدل للأفكار، وجدل العلم .

جاء الجدل من جدل جدالاً، أي بمعنى الخصوم، وكذلك يعنى مقابلة الحجة بالحجة[1]، فمبدأ الجدل يتعلق بممارسة الحوار، لكنه سرعان ما اتخذ معنى أوضح فصار عندئذ يعني مناقشة مؤسسة على نحو ما، عندها ارتفع الجدل إلى مستوى الفن، فن الانتصار على الخصم، فن نقضه أو مغالبته، فالجدل بهذا المفهوم هو فن التحاور والتغلب على الخصم بأسلوب المناقشة والحوار القائم على الأسئلة والأجوبة.

الجدل أو الحوار أداة أسلوبية تستخدم لمعالجة موضوع من الموضوعات التي تتعلق بتخصص معين، للوصول إلى حقيقة معينة بشكل من أشكال المحادثة، وهو عملية تتضمن طرحاً يتناوله طرفان، أحدهما يمثل السؤال والآخر يجيب عنه، فيحدث تجاوب يولِّد في كلاً منهما مراجعة معلوماته حول ما طرحاه، ويسمى هذا النوع محاورة[2]، وهو أيضاً محادثة كلامية أو علاقة متبادلة يحاول فيها الطرفان التعبير بدقة عما يقصدانه، وأن يحترموا الآراء مهما اختلفت، فهو وسيلة اتصال وتبادل الآراء والثقة والفهم والتحدي والنمو كل ذلك يحقق التطور الروحي[3].

بدأ الجدل عند فلاسفة اليونان على يد الفيلسوف اليوناني زينون للدفاع عن مذهب أستاذه بارمنيدس، ويتلخص في نقطتين: هما الوجود واحد والوجود ثابت. ولكي يثبت زينون ذلك جاء بحجج ضد الكثرة وحجج ضد الحركة، ومهما كانت هذه الحجج صحيحة أو خاطئة يظل زينون هو أول من استخدم أسلوب الجدل، كما استخدم أيضا أسلوب التناقض الذي اعتبره أساس الجدل

في قوله : إن جميع المذاهب المضادة لمذهب أستاذه تقضي إلى التناقض، ومعنى ذلك أنها غير صحيحة، ومادامت غير صحيحة، فالمذاهب المضادة لها صحيحة [4]، فأبدا جورجياس – إعجاباً بجدل زينون واستخدمه في تبرير قضاياه الفلسفية ويعُتبر خير من عبَّر عنه، فلخص جدله في ثلاث قضايا: الأولى لا يوجد شيء، والثانية إذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر على إدراكه، والثالثة إذا فرضنا أن الإنسان أدركه فلن يستطيع إبلاغه للغير [5]، وعن طريق هذا الجدل استطاع أن يثبت هذه القضايا التي تبين من خلالها أن جورجياس ينفي الوجود والمعرفة، وينفي كذلك الاتصال بينهما.

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، دار بيروت، بدون طبعة، 1968، ص105.

[2] محمد خليفة حسن: **الحوار منهجاً وثقافة**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، الدوحة– قطر، الطبعة الأولى، 2008، ص19.

[3] المرجع السابق، ص 19 .

[4] عبد الرحمن بدوي : **ربيع الفكر اليوناني** ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، بدون سنة طبع، ص126.

[5] المرجع السابق، ص177.

بظهور الجدل السوفسطائي مهد الطريق لظهور فلاسفة شنوا ثورة عليه ووقفوا ضده، وأول هؤلاء الفلاسفة هو **سقراط** (469-399ق.م)، فكان الهدف من فلسفته هدم آراء السفسطائية التي سيطرت على العقول بتلاعبها بالألفاظ والمعاني، وهذا ما سنقف عليه لاحقاً.

تطور الجدل عند أفلاطون (427-337ق.م)، فقد أخذ عن أستاذه أسلوب الحوار والمناقشة التي تولد العلم، فحدد أفلاطون الجدل : « بأنه المنهج الذي يرتفع به العقل من المحسوس إلى المعقول دون أن يستخدم شيئا حسيا، بل الانتقال من معان إلى معان بواسطة معان» [1]، ويعرفه أيضا: «بأنه العلم الكلي بالمبادئ الأولى والأمور الدائمة يصل إليها العقل بعد العلوم الجزئية فينزل منه إلى هذه العلوم ويربطها بمبادئها وإلى المحسوسات يفسرها، فالجدل منهج وعلم يجتاز جميع مراتب الوجود من أسفل إلى أعلى ، وبالعكس» [2]، فالجدل عنده هو الذي يرتقي من خلاله إلى المعرفة، وذلك بطريقتين: جدل صاعد وهو الذي يبدأ من الإحساس ويتدرج من الظن ثم الاستدلال وأخيرا إلى العقل الخالص حيث عالم المثل، أي أن الجدل الصاعد يسير من الجزء إلى الكل، أما الجدل الهابط فيسير عكس ذلك، أي يسير من الكل إلى الجزء، يبدأ من حيث انتهى إليه الجدل الصاعد ويهبط إلى الأدنى، ومن أفلاطون أصبح الجدل منهجا لديه قواعده يسير عليها في المعرفة، وأسلوب المحاورات التي كتبها تدل على استخدامه للجدل .

أما **أرسطو** (384-322ق.م): فلم يأخذ الجدل كمنهج كما فعل أفلاطون، بل قام بالتفرقة بينه وبين التحليل، فبينما يرمي هذا إلى البرهان أي الاستنتاج الذي ينطلق من مقدمات صحيحة، فإن الجدل يرمي إلى الاستدلالات العقلية التي تتناول آراء مختلفة، فالجدل في رأي أرسطو يقوم على معرفة ظنية وآراء احتمالية لا تصل إلى العلم، ذلك أن العلم يبنى على حقائق وأفكار قائمة على اليقين، قلم يعطي أرسطو أي أهمية للجدل، إلا أنه أعطى فوائده، وتتمثل في أنه وسيلة للتدريب على التفكير وطرائقه ولمجادلة الآخرين على أساس ما يطرحونه من مقدمات ولاختبار صدق المبادئ المبرهنة للعلوم[3].

نفهم من ذلك أن الجدل اليوناني يقوم على العقل والفكر اللذين يرتكز عليهما المنطق، إذاً فهو يرتكز على أساس منطقي.

---

[1] مراد وهبه : **المعجم الفلسفي**، دار الثقافة المصرية، ط3، 1979، ص143 .

[2] أندريه لالاند : **موسوعة لالاند الفلسفية**، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات اعويدات، بيروت – باريس، ط1، 1996، ص272.

[3] عبد المنعم حنفي : **موسوعة الفلسفة والفلاسفة ،ج2**، مكتبة مدبولي ،بدون طبعة ،1999 ،ص454

المطلب الثاني :عوامل ظهور الجدل السقراطي

شهدت أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد تغير في الوضع السياسي بعد أن حصلت على استقلالها من الفرس، وتبعاً لهذا التغيير بدأوا في استكمال الحضارة بإرادة جديدة، ونبغ فيها العلماء والشعراء والفنانون والمؤرخون والأطباء وانتشرت الديمقراطية في جميع المدن اليونانية وكثر التنافس بين الأفراد، وشاع الجدل والخطابة وجذب الناس، فانبثقت جماعة من المثقفين تقوم بهذه المهمة، وهي ما أُطلق عليها (السوفسطائية)، وهم جماعة من المتعلمين تولوا مهمة تدريب الشباب على الجدل لإعدادهم بالعمل السياسي، وكانوا يميلون إلى النبلاء من الشباب يعلمونهم الخطابة ووسائل التغلب السياسي، والبراعة في منازلة الخصوم مقابل أجور نقدية، وكانوا يعقدون اجتماعات في منازل الأصدقاء، وينتهزون مناسبات الأعياد والاحتفالات لعرض أراءهم وبراعتهم في الجدل، فقد مارس بروتاغوراس، وجورجياس– وهما أشهر السوفسطائية – مجال اللغة، وبحثوا عن أصل الكلمات ودراستها، مما أولع بها اليونانيون ولوعاً شديداً، فقد برعوا في فن الكلام، والكلام المفيد عندهم هو الإقناع أو الدفاع عن فكرة معينة، مما دفعوا الفرد للدفاع عن كل شيء، فالمحامي الذي يدربه السوفسطائي سيبرئ المجرم ويفحم البريء، وأضعف القضايا وأبعدها عن الحق هي التي تستهويهم[1]، فالديمقراطية فرضت نظاماً قضائيا يسمح للخصمين بالوقوف أمام القضاء والدفاع عن موقفهما، وغالباً ما كانت المحكمة تتأثر بالبلاغة والخطابة، وبالتالي يصبح النصر حليفاً للأبلغ حجة وقولاً حتى ولو كان ظالماً[2]، وهذه النقطة هي التي أخذت الجانب الأكبر في تفكير سقراط، حيث غرست في الناس كيفية قلب الحقائق، فأصبح الباطل حق والحق باطل ، مما خلقوا فوضى فكرية وخلقية، فكانوا يجيدون التلاعب بالألفاظ، ولديهم مقدرة ومهارة عالية في قلب الحقائق، والتشكيك في كل شيء وتزييف الحقائق، والمغالطة، وغلبة الخصوم، وقرروا أن المعرفة أمر نسبي، على اعتبار أن الحواس هي مصدر المعرفة، وتجاهلوا الجانب العقلي في الإنسان، وبهذا تكون الحقيقة أمر وهمي، مما زاد فوضى في الأقوال والأفعال والاعتقادات، وكان الهدف وراء كل ذلك هو هدم الأخلاق والمعتقدات الدينية في اليونان[3].

[1] محمد علي أبو ريان: **تاريخ الفكر الفلسفي** ، دار المعرفة المصرية، ط5، ص1072، ص115–116 .

[2] محمد ممدوح: علي : **سقراط، اغتيال العقل**، المكتبة العصرية للنشر، ط1، 2015، ص19.

[3] عوض الله جاد حجازي: **المرشد السليم في المنطق القديم**، دار الطباعة المحمدية، ط4، بدون سنة نشر، ص26.

المبحث الثاني / الجدل السقراطي والمنطق

المطلب الأول : ماهية الجدل السقراطي وأهدافه

الجدل عند سقراط هو أسلوب للحوار والمناقشة، ويقوم على مرحلتين: هما مرحلة التهكم والتوليد، أما التهكم فهو الجانب السلبي في منهجه، فكان سقراط يتصنع فيها الجهل ويدعي السذاجة، فكان يتحاور مع محدثيه ويتظاهر بتسليم أقوالهم التي يرى أنهم مخطئون فيها، ثم يقوم بإلقاء الأسئلة ويبدي الشكوك في كل رأي بحيث ينتقل من أقوالهم إلى أقوال لازمة، ومن خلال هذه الشكوك يوقعهم في التناقض ويُحمّلهم على الاعتراف بالجهل[1].

الهدف من هذه المرحلة هو تخليص العقول من الأفكار السفسطائية بعد أن رأى الكل متفقاً عليها ومعتقدين بأنها حقائق صادقة، فهدف التهكم إثارة التفكير في نفوس الآخرين وحثهم على البحث في قيمة ما يؤمنون به ودفعهم إلى الكشف عن الحقائق على أساس صحيح، أي أن التهكم هو بناء المعرفة على أسس سليمة.

والجانب الإيجابي في منهج سقراط هي مرحلة التوليد، وتقوم على أساس أنه إذا كان الإنسان لديه علم صحيح فإن في جوفه حقائق كامنة يستطيع أن يستخلصها من نفسه ومن نفوس الآخرين، فهي حقائق لا يدري بها الإنسان[2]، وقام بإخراج هذه المعاني والحقائق من الإنسان الذي يتوهم أنه اكتشفها بنفسه.

كانت خطته في الحوار هي الرجوع من النتائج إلى المقدمات، أي من النتائج إلى المبادئ التي تولدت عنها، وإخضاعها إلى النقد والفحص، فالحوار أو الجدل هو المنهج الذي اعتمده مع تلاميذه، فسعى من خلاله إلى توليد الأفكار من عقولهم، وهذا الحوار لم يكن وسيلة للمعرفة فحسب، بل هو نموذج للحوار التربوي، ذلك أنه يُركز على المتعلم ويجعله أساس العملية التعليمية وفاعلاً فيها، والمبدأ الذي يرتكز عليه الحوار السقراطي هو السؤال، حيث جعل سقراط التساؤل طريقته المفضلة للوصول إلى الحقيقة المساعدة على إخراج ما في باطن المتعلم، من خلال طرح الأسئلة عليه بهدف التعبير عن المعرفة المخفية داخله[3].

---

[1] حربي عباس: **الفلسفة القديمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بدون طبعة، 1999، ص282.

[2] إمام عبد الفتاح إمام: **المنهج الجدلي عند هيجل**، مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون طبعة، 1996، ص77.

[3] بيار مالك: **الفلسفة وتعليمها**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، بيروت– لبنان، 2016، ص113.

أهداف الجدل السقراطي[1]

1- الوصول إلى الوضوح الذاتي لدى الأطراف المتحاورة، القائم على أساس عقلي، وهذا الوضوح الذاتي هو معرفة الإنسان بنفسه، تطبيقا لمبدأ (أعرف نفسك بنفسك)، بعيداً عن طريقة التلقين وحشو الأفكار.

2- تنقية الذات من العوائق والأفكار التي قيَّدها المجتمع من خلال الأسئلة التي تحفز الإنسان على البحث عن الرأس السليم الواضح الخال من التناقضات.

3- تطهير نفس المتحدث من أوهام المعرفة التي تجعله بعيداً عن حقل التعليم والتعلم.

4- تنمية مهارات التفكير لدى المتعلمين.

5- اكتشاف أفكار جديدة لدى المتعلمين عن طريق عملية التوليد.

المطلب الثاني / مبحث الحد والاستقراء

بعد ما داست السفسطائية على جميع المبادئ مهدت الطريق أمام **سقراط** لإعادة إحيائها وهدم أفكارهم التي سيطرت على العقول بتلاعبها بالألفاظ والمعاني، فحمّل نفسه مواجهة هؤلاء وإصلاح ما أفسدوه من أخلاق للشباب، ويعيد للدين قدسيته، وللشرائع والقوانين حرمتها وقداستها، وللحقيقة معناها ومقوماتها، لذلك نراه يبدأ بتفنيد مذهب السوفسطائية في إنكارهم الحقيقة الكلية واعتمادهم على الحواس في الوصول إلى المعرفة، ويرى أنه لا بد من تحديد معاني الألفاظ، وذلك في نظره ممكن وميسور، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الحواس والعقل الذي جعله الله عاما ومشتركاً بين الناس[2]، مما عُرف عنده مبحث الحد أو التعريف من خلال مقولته الشهيرة (حددوا ألفاظكم)، بإزالة كل المغالطات التي انتشرت بين العامة، وظل يوضح لهم طريق الحق وطريق الباطل، ويبين أن العلم فضيلة وأن الجهل رذيلة، واتبع في ذلك طريق الجدل وهو طريق الحوار والمناقشة لتوليد المعاني وإخراجها من النفوس البشرية .

الجدل السقراطي هو المنهج القائم على التعريف والاستقراء، بل إن سقراط ابتكر الاستدلالات الاستقرائية، فيما شهد له أرسطو من بعده، وذلك بالانتقال من تعريف لآخر من أجل الوصول إلى جوهر التعريف الذي سيبحث عنه، فهو ينتقل من مقدمة إلى نتيجة ثم يرفض كلاهما، بطريقة إبداعية وكأنه يتلاعب بالألفاظ، ولكن ما يقوم به هو استقراء وبحث عن حقيقة المعاني [3]، ولا نفهم من هذا الاستقراء بمعناه التجريبي، وإنما الاستقراء هو البحث الذي يبدأ من مقدمات معروفة من أجل الوصول

---

[1] مجدي كامل: **سقراط**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 2011، ص119 .

[2] عبد الله عزب : **ميزان المعقولات**، مكتبة الإيمان للنشر، القاهرة، ط1، 2015، ص20.

[3] محمد ممدوح علي عبد المجيد: **سقراط، اغتيال العقل**، مرجع سابق، ص56.

إلى حقيقة عامة مطلقة، أي تتبع الشيء المراد معرفته وجمع معلوماته وصفاته، ثم مقارنة هذه الصفات بعضها ببعض وإبعاد الصفات غير المشتركة، فكان يتدرج من الجزئيات إلى الماهية المشتركة بينها، ويرد كل جدل إلى الحد والماهية، فيسأل ما الخير وما الشر؟ ما العدالة وما الظلم؟ ما الحكمة وما الجنون؟ ويصنف الأشياء في أجناس وأنواع ليمتنع الخلط بينها في حين كان السوفسطائيون يستفيدون من خلط الألفاظ والمعاني، ويتهربون من الحد الذي يكشف المغالطة[1]، واعتبر سقراط أن الوصول إلى حقائق الأشياء أصبح ممكناً وغير مستحيل وفي متناول الإنسان، عن طريق عقله الذي يعمل على تحديد المعاني تحديداً يقينياً، والوسيلة إلى ذلك هي الاستقراء، فالعلم عنده يقوم على هاتين الدعامتين : الحد والاستقراء، كما استخدم طريقة البرهان عن طريق نفي العكس، فحين كان يبحث عن مسألة ما من المسائل، يأتي بكل الأشياء التي تضاد هدة المسألة، وعن طريق هذا التضاد يصل إلى المعنى الصحيح الذي هو مفهوم الشيء الذي يبحث عنه .

وبناء على ذلك، فالجدل السقراطي هو الحوار المنهجي المنظم الهادف إلى توضيح المعاني ووضع الحدود والتعريفات، فالحوار السقراطي لا يفرض رأياً بل يسعى للوصول إلى الحقيقة من خلال تبادل المعلومات مع الآخرين.

المبحث الثالث /الجدل والمعرفة الأخلاقية

المطلب الأول: مراحل البحث عن المعرفة

كان البحث عن المعرفة قبل سقراط يقوم على الطريقة التلقينية، التي كانت منهج من سبقه من الفلاسفة، حيث كان منهج الفلاسفة الطبيعيون قائما على الكتابة، والحفظ، والسفسطائيون كان منهجهم قائماً على تلقين الدروس، وكلها عبارة عن حشو أفكار لا ترقى بالإنسان إلى الفكر النقدي الحر. ولهذا التجأ سقراط بإيجاد منهج جديد يساعد الإنسان على تكوين الرأي، وبناء المعرفة الذاتية التي يجدها بنفسه.

يبدأ الجدل السقراطي على افتراض مهم هو أن الحقيقة موجودة وأن المعرفة ممكنة، فافتراض الحقيقة موجودة يقصد بها أن معرفتهم هي الحقيقية، ثم ينتقل من هذا الفرض إلى فحص النتائج لهذه المعرفة التي لن تصبح حقيقة إلا إذا اتفق عليها الطرفان، وتمر المعرفة عبر عدة مراحل للجدل السقراطي، وهي:

1- اختيار الموضوع

تقوم باختيار الموضوع بطرحه على شكل سؤال، ويُترك للمتعلم الإجابة عليها بكل حرية ويُعبر عمَّا يجوب في عقله من معارف، فقد كان سقراط دائم السؤال عن معنى الشيء، إلا أنه لا يبحث عن

[1] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ط 3 ، 1953، ص52.

المعنى اللغوي وإنما المعنى العقلي الذي يمكن أن يتفق عليه الجميع [1]، فقال عنه ول ديورانت في كتابه قصة الفلسفة، أنه «اتجه في سير غور الروح الإنسانية، يستطلع الافتراضات ويستجوب اليقينات»[2]، فكلما سألهم عن معنى كلمة يستتبع سؤال أخر وأكثر الكلمات التي يتناولها بالبحث والسؤال هي الأسئلة الأخلاقية، مثل العدالة والفضيلة والشرف، لكي يعيد بناء الأخلاق التي هدمها السوفسطائيون، فمثلا عندما سأل سقراط عن معنى الشجاعة، أجابه أحدهم بقوله عندما يبقى الجندي في مركزه يصمد في وجه العدو بدلاً من الهروب، فإن هذا الجندي شجاع، فعند سقراط أن هذا المعنى لا يعطينا تعريفاً، بل يعطينا توصيفاً عاماً لشكل الكلمة لا معناها ومضمونها .

2- مرحلة التهكم:

التهكم هو السؤال مع تصنع الجهل، وتبدأ بإظهار خطأ المعلومات لدى المتعلم بما كان يعتقد بأنه يعلم به علماً كاملاً، فهي نوع من زعزعة اليقين، وعلى المعلم أن يظهر بدور الجاهل والتظاهر بتسليم أقوال المتعلم، وذلك بهدف دفعه لإيجاد الحقيقة بنفسه، والهدف من التهكم تخليص العقول من المعرفة الزائفة وتهيئتها لقبول الحق [3]، بمعنى تطهير النفس من الأوهام والمعرفة الزائفة وتهيئتها لبناء المعرفة الصحيحة، فالتهكم هو ادعاء الجهل، وهذا أساس الحوار والسؤال، بل هو السؤال مع تصنع الجهل، الهدف منه خلق القلق الفكري لدى المتعلم .

عَمدَ سقراط إلى أسلوب التهكم لغرض وهم الناس أنه لا يعرف شيئاً، حيث كان يتصنع الغباء والجهل، ويتظاهر بقبول كل ما يسمعه من أراء جدلية، وأن له الرغبة الشديدة في معرفة معلومات محاوريه، ويعتقد بأنه والناس جميعاً لا يعرفون شيئاً عمّا يقولونه من الألفاظ، وما يتظاهرون به من حكمة وعلم ما هو إلا إغراق في الجهل [4]، حتى يثير في نفس من يجادله الشعور بأنه أعلى منزلة ومعرفة من سقراط، وأقدر في الرد عليه، وهدفه من هذا التصنع هو تخليص العقول من العلم السوفسطائي بعد أن رأى الكل متفقاً عليه واعتقادهم بأنه حقيقة صادقة، وكذلك إعداد العقل الإنساني لقبول حقائق جديدة، ثم يعمد إلى طرح عدد لا متناه من الأسئلة لتلاميذه من أجل الوصول إلى المعرفة الحقيقية البديهية، فيبدأ بتقديم قضية ومناقشتها مع الأخرين، بقصد تنقيحها حتى يصل إلى صياغتها بوضوح، أو توضيحها عن طريق توجيه نقد أو أكثر إليها، حتى يصلوا إلى اعترافهم بالجهل، ويجعلهم يتحولون إلى نقطة البحث من جديد، وتدخل في منهجه عملية النقد وهي مناقشة القضية بأسلوب

---

[1] محمد ممدوح علي : **سقراط، اغتيال العقل**، مرجع سابق، ص56.

[2] ول ديورانت: **قصة الفلسفة**، ترجمة: فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت– لبنان، ط1، 2014، ص12.

[3] بيار مالك: **الفلسفة وتعليمها**، مرجع سابق، ص114.

[4] محمد علي أبو ريان: **تاريخ الفكر الفلسفي**، مرجع سابق، ص139.

الطريق السابق حتى يصل إلى قبولها أو رفضها [1]، فكما هو معروف أن سقراط يملك قدرة بارعة في طرح السؤال على خصمه، مما يجعله يثور أثناء الحديث ويشعره بأنه غير قادر على الاستمرار في المناقشة، وفي المقابل يبدل سقراط جهداً متواصلاً لكي يتمالك نفسه ولا يثور غضباً فيخرج عن قواعد المناقشة، فمرحلة التهكم هي بمثابة أداة عقلية لتنقية الجو الفكري وتطهير النفوس وإثارة التفكير في نفوس الآخرين وحثهم على البحث في قيمة ما يؤمنون به ودفعهم إلى الكشف عن الحقائق على أساس صحيح وبناء المعرفة على أسس سليمة[2].

في مرحلة التهكم تنتهي المحاورات السقراطية دون تعريف محدد وواضح، ودون إشباع رغبته بل يكتفي سقراط بإفراغ عقول محاوريه من معارفهم الزائفة ليضع عقولهم غلى بداية الطريق الصحيح للمعرفة المطلقة، وهنا تبدأ المرحلة الثانية هي مرحلة التوليد .

3- مرحلة الشك

نقطة بداية الفلسفة عند سقراط هي مقولته (لا أعرف سوى شيء واحد وهو أنني لا أعرف شيئاً)، وهذه نقطة بداية التعلم عنده، وهي أن الإنسان يبدأ بتعلم الشك، وخصوصاً الشك في المعتقدات الخاطئة والسائدة في المجتمع، والحقائق المزيفة التي يؤمن بها ويقدّسها، فلا سبيل للتعلم والمعرفة الحقة ما لم يتجه العقل إلى فحص نفسه، كما قال سقراط (أعرف نفسك).

وصل المتعلم في هذه المرحلة للإقرار بجهله حول الموضوع المطروح، فتبدأ بناء المعرفة من جديد، عن طريق إلقاء الأسئلة التي يطرحها المعلم، والتي تقود إلى معرفة المتعلم للحقيقة ويعرض الشكوك شأن من يطلب العلم، مما جعل البعض منهم يعاني من طريقته في السؤال التي كانت تحتاج إلى تعريف وتحديد محكم صحيح وتفكير واضح، وتحليل منطقي، وبعضهم اعترض على طريقته، وقالوا أنه يسأل أكثر مما يجيب، ويترك عقول الناس أكثر اضطرابا مما كانت عليه قبل المحاورة والنقاش[3].

4- مرحلة التوليد أو الوصول إلى المعرفة

بعد هذا الحوار الطويل بين المعلم والمتعلم، وهدم أفكار المتعلم التي كان كانت له يقينية، نأتي لمرحلة البناء والتأسيس للأفكار جديدة، عن طريق توليد الحقيقة من نفوس المتعلمين من خلال استنباطها بتوجيه الأسئلة إليهم، ولذلك تكون الطريقة التي سلكها سقراط في تحصيل الماهيات هي

[1] محمد فهمي زيدان: **مناهج البحث الفلسفي**، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2014، ص40.

[2] محمد علي أبو ريان: **تاريخ الفكر الفلسفي**، مرجع سابق، ص139.

[3] ول ديورانت: **قصة الفلسفة**، مرجع سابق، ص12 .

الحوار مع الآخرين لاستخراج ما في أذهانهم من مفهومات عن الأمور [1]، ففي مرحلة التوليد نجد سقراط يعيد بناء المعرفة على أسس جديدة بعد أن يكون قد طهَّر نفس محدثيه من الأوهام والأراء المزيفة، فيساعد محدثيه على الوصول إلى الحقيقة بشكل منطقي، فيصلون إليها دون أن يشعرون، ويشعرهم بأنهم اكتشفوها بأنفسهم، فالتوليد إذاً هو استخراج العلم الصحيح من النفس .

المطلب الثاني / العلاقة بين المعرفة والأخلاق

طبق سقراط طريقته الجدلية في مجال الأخلاق، فجعل مهمته تحليل المفهومات الخلقية، من أجل الوصول إلى فهم دقيق للمعاني الأخلاقية التي تصدق في كل زمان ومكان، وكانت نظرته للأخلاق نظرة يشوبها التجرد والمثالية، فقد كان يعتبر ماهية الإنسان أنه كائن عاقل، لأنه إنسان بعقله لا بحواسه وجسده، وفضيلته هي أن يفعل ما يتفق عليه أنه عاقل، فإذا عرف نفسه عرف خير طبيعته، فينبغي أن يكون فعله خيراً دائما، ومن خلال هذه النظرة وضع سقراط نظريته في المعرفة على أساس عقلي، وهذا ما جعله متعارض تماماً مع السوفسطائية الذين وضعوا المعرفة على أساس حسي، فدَمَّر تعاليمها بغرس الإيمان بالحقيقة في النفوس، وهي الحقيقة الموضوعية الصادقة، فيرى في الحقيقة ما يختاره كل فرد على أنه حقيقي، وكما اهتدى بالعقل إلى الحقائق الثابتة في مجال المعرفة، توصل عن طريقه إلى القيم المطلقة في مجال الأخلاق، وبدت الطبيعة البشرية في نظره عقلاً وجسماً يسيطر على دوافع الحس ونزواته[2]

لأجل ذلك اعتبر سقراط أن الإنسان روح وعقل يسيطر على الحس ويديره، والقوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الألهة في قلوب البشر، فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهي، ويرى أن البعض قد يحتال في مخالفتهما، بحيث لا يناله أذى في الدنيا، ولكنه مأخوذ بالقصاص العادل لا محالة في الحياة المقبلة. [3].

تفهم من ذلك أن الأخلاق عند سقراط تقوم على علم عقلي، أي أن الفضيلة والمعرفة علماً واحداً إذ أن المعرفة تساوي الفضيلة، والفضيلة تساوي المعرفة، ومن هنا فإن من يعرف الخير يستحيل عليه فعل الشر، بل من يعرف الخير حتما سيأتيه، وأن من يعرف الجميل والخير لا يمكنه أن يختار شيئاً آخر ومن لا يعرفها لا يمكن ممارستها، فالشر عند سقراط وقع نتيجة الجهل، والفضيلة نتيجة العلم [4]، فكل الشرور ناشئة من الجهل، ولو علم المرء الفرد أين الخير لعمله، فهو بطبيعته يقصد الخير

---

[1] عبد الرحمن بدوي : **موسوعة الفلسفة**، ج1، المؤسسة العربية للنشر، ط، 1984، ص577.

[2] يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مطبعة التأليف – الترجمة، القاهرة، ط3، 1953، ص52.

[3] سعيد إسماعيل علي: **التربية في الحضارة اليونانية**، عالم الكتب، القاهرة، 1995، ص27 .

[4] مصطفى غالب : **سقراط**، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1989، ص29 .

لنفسه ويكره لها الشر، فمن عرف نفسه وعرف خيره بما هو إنسان فهو إنسان فاضل، والشهواني هو الإنسان الذي جهل نفسه وخيره وارتكب الشر، والإنسان لا يمكن أن يعقل ويرتكب الشر عمداً، وعلى ذلك فالفضيلة علم والرذيلة شر، وهنا يخالف سقراط الرأي الشائع في أن الإنسان قد يستهويه الشر مع علمه بالخير، ففي رأيه وهم باطل، فإذا وقع الإنسان في الشر معنى ذلك أنه لا يعرف الخير، فإرادة الخير لدى البشر حسب رأيه أمر ثابت، لكن السؤال هل الناس متساوون وفق هذا الميزان ؟ والإجابة على ذلك هي في اعتقاده أن الحقائق الخارجية ثابتة، لأن الناس يرونها من خلال منظار واحد هو العقل، حيث يؤكد أن المعرفة فطرية في النفس البشرية وأن دور الإنسان مقتصراً على التذكير بها، ويرى أننا لو ألقينا سؤالاً على إنسان بطريقة صحيحة أجابنا بطريقة صحيحة، استطاع ذلك لأنه له معرفة قبلية موجودة في العقل منذ الولادة، وفي محاورة فينون يؤكد أفلاطون ذلك حين سأل سقراط فتى يسمى مينون لا يعرف الهندسة والحساب بعد أن تأكد سقراط أنه لم يذهب إلى المدرسة، فحاول استدراجه واستخراج منه هندسة إقليدس وينتهي إلى إثبات أن علم الهندسة وسائر العلوم الأخرى ما هي إلا معارف تلقتها النفس البشرية في حياة سابقة على هذه الحياة، والدليل أن مينون لم يذهب إلى المدرسة ومع ذلك استطاع أن بشير إلى قضايا هندسية لم يكن يعرف بها[1]، إلا أننا نراه يقع في تناقض بين المعرفة والفضيلة الأول : أن عمل الإنسان يأتي عن طريق علمه بأنه خير فهو ليس فاضلاً، بل ذهب إلى منفعته الخاصة، أي هو إنسان نفعي، أما الثانية: وهي أن الإنسان يعلم الخير ولا يعمله، ويعلم الشر فيأتيه، فالمعرفة هنا ليست كافية في العمل، بل لا بد من إرادة قوية تحمله على الفعل، إلا أن سقراط حاول أن يذكر الناس بأنهم غير معصومين عن الخطأ، وأنه يسعى دائماً لمعرفة مدى جهلنا بأنفسنا، وأن ما علينا هو اكتشاف هوى النفس، وتعرية أخطائه ويحاول الحد منها[2]،

نشير في فلسفة سقراط الأخلاقية للدين، الذي يمثل العامل الأساسي في الأخلاق، فكان يرفض كل ما يروى عن شهوات الألهة وخصوماتهم، ففي رأيه أن لو كانت أقوالهم صحيحة لانهار الدين من أساسه، ومع ذلك فهو مؤمن بإله واحد وأن هذه الآلهة لا أمل فيها وأنها تقدم إلى الوراء وأدرك أن هناك شريعة أخلاقية أبدية لا يمكن أن تقوم على دين ضعيف كالدين الذي آمنت به أثينا، ويرى أن الإنسان إذا استطاع بناء نظام أخلاقي مستقل عن الدين ويطبق على الجميع، فتكون الديانة في هذه الحالة لا فائدة منها يأتي ويذهب دون أن يحل مشكلة الأخلاق التي تجعل من الأفراد مواطنيين مسالمين في المجتمع[3]

[1] محمد محمود علي : **سقراط، اغتيال العقل**، مرجع سابق، ص60 .

[2] سعيد اسماعيل علي: **التربية في الحضارة اليونانية**، مرجع سابق، ص128

[3] ول ديورانت: **قصة الفلسفة**، مرجع سابق، ص13

وبناءً على ما سبق نستنتج أن نظرية سقراط في الأخلاق تدل على مبلغ إيمانه بالعقل وحبه للخير والفضيلة، وابتعاده عن الشر والرذيلة، دون أن نميز بين فضيلة وأخرى، وعلى ذلك فارتباط الفضيلة بالمعرفة أوقعه في أخطأ عقلية واقعية، فالفضائل عنده واحدة في جوهرها ما دامت هي المعرفة الكاملة، وهذا القول يتعارض مع الواقع، فربما يحمل الإنسان فضيلة ورذيلة في آن واحد، أي يكون شجاعاً مثلاً لكنه في نفس الوقت كاذباً، فالبشر لا يستطيعون أن يعيشوا مثله زاهداً مطبقاً بحثه عن الفضيلة، وهذا التعارض جعله يقع في صدام مع الدولة التي أنهت حياته، ومع ذلك أراد سقراط أن يوضح درساً للناس هو أن الحياة الإنسانية ليست متروكة للأهواء، بل هناك قواعد ثابتة للعمل وعفاً للحياة وحكمة تعتمد كلها على المعرفة والتفكير، ذلك أن الفضيلة تتضمن العلم بل هي العلم نفسه، وأراد أن يبين أن قوانين الأخلاق ليست اصطناعية، ولكنها تقوم على أساس ثابت في بناء الفرد والمجتمع، إلا أنه سرعان ما اتهموه بزعزعة أمن الدولة وسلامتها، وبأنه لا يعبد آلهة المدينة، ويفسد عقول الشباب بالدعوة إلى عبادة غيرها، فرفض الدفاع عن نفسه، فسخر من القضاة والشاكين وحَكمتْ عليه المحكمة بالإعدام ومات بالسم ميتة شجاعة نادرة بعد مدة طويلة قضاها في السجن، ورفض الهروب منه[1].

بالتالي تكون مهام الجدل السقراطي المساعدة على كشف الحقيقة الصعبة التي كانت بديهية في العقل، وإثارة الحيرة، والحث على التفكير، وتعلم البحث والمناقشة وإلقاء السؤال، وفحص الأجوبة فحصاً دقيقاً، كل ذلك يساهم في استكمال منهجه.

[1] عبد الحليم محمود: **الفلسفة اليونانية أصولها وتطورها**، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط1، 2004، ص103 .

الخاتمة

نستخلص من هذه الدراسة ما يلي :

1- كان البحث عن المعرفة يقوم على الطريقة التلقينية، التي كانت منهج من سبق سقراط من الفلاسفة، حيث كان منهج الفلاسفة الطبيعيون قائما على الكتابة، والحفظ، والسفسطائيون كان منهجهم قائماً على تلقين الدروس، وكلها عبارة عن حشو أفكار لا ترقى بالإنسان إلى الفكر النقدي الحر. ولهذا التجأ سقراط بإيجاد منهج جديد يساعد الإنسان على تكوين الرأي، وبناء المعرفة الذاتية التي يجدها بنفسه .

2- استخدم سقراط الأداة التي كان يستعملها السوفسطائي وهي أسلوب الجدل والحوار الشائع بين الناس، وفق مبدأ واجه خصمك بنفس السلاح الذي يواجهك به، وخاصة أن الفترة التي عاشها فترة جدال وخطب ومناظرات بين الخصوم، إلا أنه استعمله من الجانب الإيجابي وهو توليد المعاني وتحديدها، بعكس السوفسطائي الذي استعمله للمراوغة والتغلب على الخصم وتزييف الحقائق .

3- سعى سقراط من خلال الجدل إلى وضع تعريفات محددة، تعتمد على الاستقراء، مما يعد أول من وضع أساس المنهج الاستقرائي، وفتح المجال أمام أرسطو ليضع قواعد المنطق الصوري.

4- يمتلك سقراط إرادة التغيير، من خلال شعوره بأن عليه أن ينهض بوطنه بإرساء معاني ثابتة لا يمكن تغيرها بتغير المنافع والمصالح .

5- أثبت سقراط من خلال الجدل أن الخير يجب أن يكون عام بين الناس، وحاول أن يجد علاقة بين المعرفة والأخلاق من خلال مقولته: العلم فضيلة والجهل رذيلة .

6- لا يدعو الجدل السقراطي إلى تحطيم كل التقاليد والقيم القديمة، بل تصحيحها ومعالجتها وإزالة الغموض عنها بما يتماشى مع العصر.

7- الجدل السقراطي هو المنهج أو الطريقة التي سعى من خلاله إلى تحديد المعرفة وبنائها على أسس علمية، مما مهد الطريق أمام الفلاسفة من بعده لاعتماده كمنهج للبحث عن الحقيقة ابتدأ من أفلاطون إلى عصرنا الحالي

8- لا يصلح الجدل السقراطي كمنهج بحث في كل العلوم وخاصة العلوم التجريبية، بل يكون استخدامه في العلوم النظرية التي تقوم على مبدأ الاستجواب أو التساؤل .

قائمة المراجع

1- ابن منظور: **لسان العرب** ، دار بيروت ، ،بدون طبعة ،1968 ،ص105.
2- إمام عبد الفتاح إمام : **المنهج الجدلي عند هيجل**، مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون طبعة،1997.
3- أندريه لالاند : **موسوعة لالاند الفلسفية** ،ترجمة: خليل أحمد خليل ،منشورات اعويدات ، بيروت، باريس، ط1 ،1996 ،
4- بيار مالك: **الفلسفة وتعليمها**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت– لبنان.
5- حربي عباس: **الفلسفة القديمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بدون طبعة.
6- سعيد إسماعيل علي : **التربية في الحضارة اليونانية**، عالم الكتب، القاهرة، 1995.
7- عبد الله عزب: **ميزان المعقولات**، مكتبة الإيمان للنشر، القاهرة ط1.
8- عبد الحليم محمود: **الفلسفة اليونانية أصولها وتطورها**، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط1، 2004 .
9- عبد الرحمن بدوي : **ربيع الفكر اليوناني**، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،ط4 ،بدون سنة طبعة .
10- عبد الرحمن بدوي: **موسوعة الفلسفة،ج1**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1، 1984م.
11- عبد المنعم حنفي : **موسوعة الفلسفة والفلاسفة ،ج2**، مكتبة مدبولي ،بدون طبعة ، 1999 .
12- عوض الله جاد حجازي: **المرشد السليم في المنطق القديم**، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط4.
13- مجدي كامل: **سقراط**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 2011.
14- مراد وهبة: **المعجم الفلسفي**، دار الثقافة المصرية، ط3، 1979،
15- مصطفى غالب، **سقراط**، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1989.
16- محمد علي أبو ريان: **تاريخ الفكر الفلسفي** ، دار المعرفة المصرية، ط5، ص1972.
17- محمد ممدوح علي عبد المجيد: **سقراط، اغتيال العقل**، المكتبة العصرية للنشر، ط1، 2015.
18- محمود فهمي زيدان. **مناهج البحث الفلسفي**.ط1 دار الوفاء، الاسكندرية،2004 .
19- ول ديورانت : **قصة الفلسفة**، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت– لبنان، ط1، 2014.
20- يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة،ط3، 1953.

الوسائل السلمية لحل المنازعات الدولية

أ . حمزة الزروق حبيل – كلية القانون – جامعة بني وليد

مقدمة

تتميز العلاقات بين الدول غالباً بنشوب خلافات ونزاعات، و في المقابل يسعى المجتمع الدولي إلى إيجاد حلول مناسبة لحلها و تفادي حدوثها أو تكرارها مستقبلاً، و ذلك من خلال وضع ضوابط تُسير العلاقات بين الدول، و هو ما تعمل من أجله المؤسسات الدولية و على رأسها هيئة الأمم المتحدة، التي تسعى لتدليل المصاعب و تهيئة الظروف الملائمة لحل الخلافات والنزاعات بشتى الطرق تفادياً للجوء إلى القوة التي خلفت الدمار بعد حربين عالميتين عانت من خلالها البشرية الويلات، و لم تجني منها إلا الموت و الفقر و التخلف و التهجير.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في الاطلاع على ميثاق الأمم المتحدة وقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن، التي صدرت في هذا الصدد حيث تعتبر مصدراً أساسياً انبثقت منه القوانين والاتفاقيات الدولية، أيضا من أهمية هذا الموضوع الرجوع إلى القانون الدولي العام والأعراف الدولية المتعلقة بالنزاعات الدولية ومعرفه طرق فض النزاعات الدولية بعيدً عن الحروب والدمار والاقتتال.

أهداف البحث:

من خلال هذه الورقة البحثية واختياري لهذا الموضوع تحديداً جاء لعدة أسباب ولعل من أهمها إيجاد ووضع التدابير والحلول ما يكون كافياً لمنع حدوث المنازعات أو التقليل من حدوثها على أقل تقدير، حتى نعيش في مجتمع مسالم لا نسمع فيه حروب قد نشبت هنا وهناك، إلى جانب هذا تقديم هذه الورقة لكي يستفيد منها الجميع والمهتمين في هذا الجال خصيصاً.

إشكالية البحث:

قد تختلف أبعاد النزاع وتتشابك معطياته بتعدد أطرافه والنزعات التي شهدها العالم كثيرة جداً ويصعب علينا حصرها أو إحصاء ضحايا هذه الحروب والنزاعات، حيث يطرح هذا البحث عدة تساؤلات، ألا وهو هل المنازعات الدولية نتيجة لابد منها في علاقات الدول فيما بينها؟ وهل ثمة تدابير نستطيع من خلالها التقليل من المنازعات حول العالم؟ وما هي أسباب النزاعات حول العالم؟ وماهي أهم الآثار المترتبة عنها؟

فرضيات البحث:

إن فرضية البحث الأساسية تكمن في الارتباط الذي يجمع بين الوسائل السياسية والقضائية في تسوية المنازعات الدولية، باعتبار إنهما يندرجان تحت الوسائل السلمية للتسوية ويكمل كلً منهما الآخر.

- أن الوسائل السلمية تتأثر بمصالح الدول العظمى التي لها التواجد الدائم في مجلس الأمن.
- تأثر أطراف فض المنازعات الدولية بضغوطات التي تمارسها عليها الدول الكبرى في مركز اتخاذ القرار الدولي وهذا ما قد يكون له جانب سلبي في حل المنازعات الدولية.

المبحث الأول

ماهية النزاع والمبادئ التي تحكمه

لا شك أن وجود منازعات معينة أول ما يثير مشكلة ما المقصود بالمنازعات الدولية، وما هي الضوابط التي تحكم المنازعات الدولية، لذلك سنشير إلى تعريف النزاع الدولي والمبادئ التي تحكمه، أيضاً سنبين أنواع المنازعات الدولية، وذلك في مطلبين.

المطلب الأول

مفهوم وتعريف المنازعات الدولية

عرف الفقهاء ورجال القانون النزاع المسلح كلً حسب وجهة نظره ومنهم من اسنده إلى خلاف حول تفسير معاهدة دولية والآخر عرفها بأنها باختلاف في وجهات النظر بين أشخاص القانون الدولي العام.

لذلك سنتحدث في هذا المطلب عن تحديد مفهوم النزاع الدولي وفق أراء الفقهاء ورجال القانون وتبيان المبادئ التي تضبط هذه المنازعات الدولية.

الفرع الأول: تعريف النزاع

يمكن تعريف النزاع الدولي بأنه خلاف حول مسألة قانونية (كتفسير معاهدة دولية) أو واقعية (كخلاف حول مكان سير خط الحدود)، يتمثل في تناقض أو تعارض أو تصادم أو تضارب الآراء، القانونية لشخصين أو أكثر من أشخاص القانون الدولي.[1]

و عرف الدكتور **(منتصر سعيد حمودة)** النزاع الدولي (بأنه يتجسد في عدم أتفاق شخصين أو أكثر حول مسألة قانونية أو واقعية).[2]

---

[1] د. أحمد أبو الوفا، الوسيط في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة، 2010، ص 624.

[2] د. منتصر سعيد حمودة، القانون الدولي المعاصر، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2008، ص 553.

وذهب الدكتور **(إسماعيل صبري مقلد)** إلى استخدام مصطلح الصراع بدلاً من النزاع وعرفه تعريف شامل بقوله (الصراع في صميمه هو تنازع الإرادات الوطنية وهو التنازع الناتج عن اختلاف دوافع الدول في تصوراتها وأهدافها وتطلعاتها و مواردها و إمكاناتها). [1]

إلا أننا نرى ما ذهبت إليه محكمة العدل الدولية عندما عرفته (عدم الاتفاق حول مسألة من الواقع أو القانون " بمعنى تعارض في الدعاوى القانونية أو المصالح بين شخصين أو أكثر من أشخاص القانون الدولي العام ").

ويتضح من خلال التعريفات السابقة أن مصطلح النزاع يعتبر أقل حده من الصراع وقد يكون مرحلة سابقة للصراع وقد يكون إحدى مراحل الصراع وقد يكون نتيجة اختلاف وجهات النظر بين دولتين أو أكثر حول مسائل أو قضايا معينة، ويمكن أن ينشأ بين الأفراد والجماعات داخل الدولة الواحدة، وقد لا يتحول النزاع إلى صراع.

أما الصراع هو تضارب التوجهات الوطنية و القومية و تناقض الإرادات الكبرى المتعلقة بأهداف الدول و إمكانياتها و استراتيجياتها البعيدة، و الصراع مرتبط بالقيم و الأهداف الاستراتيجية العليا و صناع القرار في المجتمع الدولي بالأيدولوجيات غير المتوافقة، و يقود غالباً إلى طبيعة تنافسية ينجم عنها الضرر المادي و المعنوي بالآخرين.[2]

الفرع الثاني :

المبادئ التي تحكم المنازعات الدولية

تحكم المنازعات الدولية العديد من المبادئ، منها:

1 ـ أن وجود نزاع ما يجب أن يتم تحديده بطريقة موضوعية، تبدو أهمية هذا المبدأ في حالة عرض النزاع على الغير للفصل فيه (كمحكمة تحكيم أو محكمة عدل دولية) معنى ذلك أنه يمكن لمحكمة العدا الدولية مثلاً ألا تقتنع بتأكيدات الأطراف المتنازعة بشأن وجود أو عدم وجود النزاع إذ عليها التأكد من وجود النزاع قبل الفصل فيه. [3]

2 ـ يجب على كافة أشخاص القانون الدولي السعي دائما نحو حل منازعاتهم الدولية بالطرق السلمية.

---

[1] د. إسماعيل صبري المقلد، العلاقات السياسية الدولية، المكتبة الأكاديمية، مصر، بدون طبعة، 1991، ص 228.

[2] د. منتصر سعيد حمودة، مرجع سابق، ص 554.

[3] د. أحمد أبو الوفا، مشكلة عدم الظهور أمام محكمة العدل الدولية دراسة في إطار قانون الإجراءات الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون طبعة، 1985، ص117-118.

3 ـ نظراً لأن المنازعات الدولية تخص أشخاص قانونية دولية مستقلة بعضها عن بعض الآخر ومتساوية قانوناً، فإن رأي أي منهم لا يمكن أن يسمو على رأي الآخر، وبالتالي لابد، لحل هذه المنازعات من توافر التراضي بين أطرافها.

4 ـ أن النزاع الدولي يفترض لإمكانية حله، أن يكون قائماً، ذلك أنه لا يمكن حل نزاع انتهى فعلاً، يعني يفترض حل أي نزاع أن يكون لذلك أثر مستقبلي، فإذا انعدم ذلك الأثر، فإن القضاء، أو التحكيم الدولي يمتنع عن الفصل في النزاع.

5 ـ أن عرض النزاع على جهة أخرى لا يفقد النزاع – من حيث المبدأ ـ جوهره وطبيعته الذاتية. [1]

المطلب الثاني

أنواع المنازعات الدولية

ذكرنا أن المنازعات الدولية ظاهرة حتمية، وهذه المنازعات متعددة ومتغايرة، ومن أهم تقسيماتها.

الفرع الأول:

من حيث طبيعة النزاع

تنقسم المنازعات الدولية من حيث طبيعة النزاع إلى: منازعات قانونية، و منازعات سياسية، ومنازعات مختلطة.

1ـ المنازعات القانونية:

هي تلك المنازعات التي تتعلق بوجود أو مدى أو كيفية احترام حق ما، عن طريق تحديد القاعدة القانونية واجبة التطبيق، و تتميز المنازعات القانونية بانطلاقها أساساً من اعتبارات قانونية محضة كالنزاع الخاص (بتفسير نص غامض في معاهدة دولية) .

وعادةً ما يتم حل هذه المنازعات عن طريق التحكيم أو باللجوء إلى المحاكم الدولية ، فهي سهلة التسوية، ولقد نصت الفقر (3) من المادة (36) من ميثاق الأمم المتحدة على أن يتم إحالة المنازعات القانونية إلى محكمة العدل الدولية بموجب توصية من مجلس الأمن ، حيث ذهبت محكمة العدل الدولية في قضية الدبلوماسيين و القنصليين للولايات المتحدة الأمريكية في طهران (الرهائن) سنة 1979 م إلى رفض طلب إيران المقدم في تاريخ 1979/12/9 م و أخر في 1980/3/16 م على أساس أن النزاع لم يكن قابلاً للتسوية القضائية نتيجة للتدخل المستمر من الولايات المتحدة الأمريكية في الشؤون الداخلية لدولة إيران، واعتبرته المحكم نزاعاً قانونياً من اختصاص المحاكم الدولية [2] .

---

[1] د. أحمد أبو الوفا، الوسيط في القانون الدولي العام، مرجع سابق، ص 625 وما بعدها.

[2] د. عبدالكريم عوض خليفة، القانون الدولي العام دراسة مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، بدون طبعة، 2011، 331-332.

2 ـ المنازعات السياسية:

وهي تلك النزاعات الدولية السياسية التي تنشأ بين أشخاص المجتمع الدولي وفيها يطالب أحد الأطراف بتعديل قاعدة قانونية موجودة ومقررة بين الدول.

أو هي النزاعات التي لا تستند على مبررات قانونية، والأصل أن كل النزاعات يجب أن تستند على مبررات قانونية [1]، ولكن هناك الكثير من النزاعات التي تحدث بين الدول لا تخضع لمعيار قانوني أو لقواعد القانون الدولي، وعليه تم تعريفها على أنها (تلك النزاعات التي لا يصلح عرضها على القضاء الدولي)، ويمكن حلها بالطرق السياسية وذلك من أجل التوفيق بين المصالح الدولية المتعارضة [2].

أيضاً تعتبر المنازعات السياسية التي يكون فيها أحد أطرفي النزاع على الأقل بتأسيس ادعاءاته أو دفاعه ليس على القانون الدولي الوضعي لكن على مبادئ أخرى، مثل مبادئ الإنصاف والعدالة وما شابهها [3].

3 ـ المنازعات المختلطة:

وهي تلك المنازعات التي تجمع بين النوعين السابقين، كأن يكون النزاع في جوهره قانونياً، بيد أنه يتضمن أو تترتب عليه آثار سياسية و تمثل هذه المنازعات الغالبية العظمى للمنازعات الدولية.[4]

الفرع الثاني :

من حيث أطراف النزاع

تنقسم المنازعات الدولية من حيث أطراف النزاع إلى منازعات فردية، ومنازعات جماعية.

1 ـ المنازعات الفردية:

هي تلك المنازعات التي تنشأ بين دولتين، أو بين منظمتين دوليتين، أو بين رعية دولة يقيم على أراضي دولة أخرى، وتمارس دولته دعوى الحماية الدبلوماسية [5].

---

[1] د. نبيل أحمد حلمي، التوفيق كوسيلة سلمية لحل المنازعات السلمية في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983، ص ص 52 – 53 .

[2] د. جابر إبراهيم الراوي ، المنازعات الدولية ، مطبعة دار السلام، بغداد، 1978، ص 27 .

[3] د. قشي الخير، المنازعات القانونية والسياسية في قضاء محكمة العدل الدولية ، مجلة العلوم الاجتماعية والسياسية ، جامعة باتنة ، العدد الثاني ، 1994، ص 20.

[4] د. عبدالكريم عوض خليفة، مرجع سابق، ص333 .

[5] د. أحمد أبو الوفا، الوسيط في القانون الدولي، مرجع سابق، 628.

2 ـ المنازعات الجماعية:

تعد المنازعات الجماعية من أخطر أنواع المنازعات الدولية، باعتبارها أنها تمس بالتوازن القائم في المجتمع الذي تحدث في إطاره و هذه المنازعات قد تؤدي إلى انقسام أشخاص القانون الدولي إلى معسكرين أو أكثر، بما من شأنه مد النزاع إلى أبعد من الأطراف التي انغمست فيه منذ البداية.[1]

الفرع الثالث:

من حيث النطاق الجغرافي:

تنقسم المنازعات الدولية من حيث النطاق الجغرافي إلى.

منازعات عالمية ومنازعات إقليمية.

1 ـ المنازعات العالمية:

هي تلك المنازعات التي يمتد سعيرها إلى أكبر قدر من بقاع المعمورة مثل الحربين العالميتين الأولى و الثانية.

2 ـ المنازعات الإقليمية:

هي تلك المنازعات التي تقتصر على قارة معينة، أو مجموعة من الدول.[2]

إذاً و بعد أن تناولنا التعريف بالمنازعات الدولية و أسبابها و بيان أنواعها فمن المؤكد أن هذه المنازعات لن تترك هكذا فهي تحتاج إلى حلول و تسويات دولية، وهذا ما سنتحدث عنه في المبحث الثاني.

المبحث الثاني

تسوية المنازعات الدولية والحد من وقوعها

إن اختلاف المصالح بين الدول يؤدي في كثير من الأحيان إلى نشوب نزعات فيما بينها مما يجع هذه الدول تبحث عن وسائل لتسويتها و حلها، إلا أنه أحياناً يكون تسوية النزاع غير كفيلة بإنهائها، فلماذا لا تتخذ من التدابير و الإجراءات ما يكون كافياً لمنع حدوث المنازعات أو الحد منها على الأقل، لذلك سنتحدث في هذا المبحث عن الوسائل السلمية لحل المنازعات الدولية (المطلب الأول) و عن كيفية منع حدوث المنازعات أو التقليل و الحد من وقوعها في (المطلب الثاني).

المطلب الأول

الوسائل السلمية لحل المنازعات الدولية

تعد تسوية النزاع التزاماً يقع على عاتق الدول و هي في سبيل ذلك لها أن تختار من الوسائل ما هو كفيل بحل النزعات و غالباً ما تحل إما بالطرق السلمية و التي قد تكون سياسية أو قضائية و إما باستخدام القوة، ولهذا سنتحدث في هذا المطلب عن الوسائل السلمية لتسوية النزاع، بدايةً في الفرع الأول بالطرق السياسية والطرق القضائية في الفرع الثاني.

---

[1] المرجع نفسه ، 229.

[2] د. عبد الكريم عوض خليفة، مرجع سابق، ص 333.

الفرع الأول:

الطرق السياسية لحل المنازعات الدولية

تفضل كثيراً من الدول في حل منازعاتها للجوء إلى هذا النوع من وسائل التسوية، وذلك لأنه يحافظ على سيادتها، و هذه الطرق غالباً ما تكون إما عن طريق الدول بإتباع وسائل تقليدية أو عن طريق المنظمات الدولية.[1]

أولاً:. المفاوضات

يقصد بالمفاوضات تبادل الرأي بين الدولتين المتنازعتين بقصد الوصول إلى تسوية للنزاع القائم بينها، و يتم ذلك عن طريق الاتصالات الدبلوماسية التي يقوم بها وزراء الخارجية و المبعوثين الدبلوماسيين المكلفين ببحث النزاع، و قد تتم المفاوضات بواسطة مؤتمر دولي يعقد بخصوص النزاع، و تتميز وسيلة المفاوضات الدبلوماسية بأنها طريقة مرنة إلا أنها تعتمد في نجاحها على مدى توافر حسن النية و الروح السائدة بين الدولتين و إن نتائجها تعتمد إلى حد كبير على مدى التوازن النسبي للقوى السياسية المتفاوضة.[2]

مثال ذلك اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية عام 1979م و اتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية عام 1994م و إعلان المبادئ عام 1993 بين إسرائيل و فلسطين.

وقد تبادر دولة ثالثة إلى إقناع دولتين متنازعتين باللجوء إلى المفاوضات، مثلما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية بين إسرائيل و الدول العربية المتنازعة معها، مصر و سوريا و الأردن و فلسطين.[3]

ثانيا: المساعي الحميدة و الوساطة

المساعي الحميدة تتطلب توسط طرف ثالث في النزاع يدخل بين الأطراف المتنازعة لأن قوة النزاع تجعل أي اتصال مباشر مستحيلاً بين الأطراف، بسبب العقوبات السياسية أو قطع العلاقات الدبلوماسية، ولا يعتبر العرض الذي تقدمه الدولة لحل النزاع تدخلاً في الشؤون الداخلية للدول المتنازعة بقدر ما هو عمل تطوعي من جانبها أو صادرة منها أو بطلب من الدول المتنازعة، ولقد تقدمت

---

[1] د. إيمان محمد بن يونس، العلاقات الدولية، دار الغارس للطباعة و النشر، بنغازي، الطبعة الأولى، 2006، ص 198.

[2] د. طارق عزت رخا، القانون الدولي العام غي السلم و الحرب، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون طبعة ،2006، ص 490

[3] د. عبدالله الأشعل، مقدمة في القانون الدولي المعاصر، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2006، ص 104.

يوغسلافيا غي عام 1950م باقتراح للجمعية العامة للأمم المتحدة لإنشاء لجنة دائمة للمساعي الحميدة و هو ما وافقت عليه الجمعية العامة في عام 1950م[1]

وعلى ذلك فإجراء المساعي الحميدة يهدف إلى دعوة الأطراف إلى التفاوض أو استئناف المفاوضات أو إلى أية وسيلة أخرى للتسوية، وليس لهذا الإجراء أي أثر ملزم.

وقد أكدت على ذلك اتفاقية لاهاي لسنة 1907م[2]

نستنتج من خلال ذلك أنه يمكن للأطراف أن يقبلوا المساعي الحميدة أو يرفضوها، كما لا يجب أن ينظر إليها باعتبارها انحيازاً لطرف على حساب طرف آخر.

ثالثاً: التحقيق

هو إجراء يتم اللجوء إليه لتسوية المنازعات الدولية التي تتطلب فحص الوقائع المادية المتعلقة بالنزاع، والتي هي بالضرورة محل خلاف بين أطرافه، لذلك فإن أطراف هذا النزاع يشكلون لجنة لدراسة وفحص وقائعه و تسهيل وضع حلول له وقد لعبت لجان التحقيق دوراً مؤثراً في تسوية العديد من المنازعات الدولية مثل النزاع بين العراق و تركيا على الحدود عام **1925م**[3]، ومن محاولات تشكيل لجنة تحقيق هي المحاولة الفاشلة بين الكويت و العراق وقبيل الغزو بوساطة مصرية.[4]

رابعاً: التوفيق

التوفيق في جوهره هو محاولة تقديم حلول للنزاع تعرض على أطرافه فيقبلون بها، أو يرفضونها، ومن ثم فهي غير ملزمة، وهذا هو الفارق الأساسي بين التوفيق كوسيلة حل نزاع سياسية و التحكيم كوسيلة قضائية لحل المنازعات الدولية.[5]

و يتولى مهمة التوفيق عادة لجان للتوفيق يتم تشكيلها لهدف دراسة النزاع و وضع تقرير عنه، يتضمن بالضرورة طرق تسويته، ويشمل على ما تراه من مقترحات بهدف التوفيق بين أطراف النزاع، و التوفيق أسلوب حديث من أساليب تسوية المنازعات الدولية بالوسائل السلمية، لم يتبلور شكله الحالي إلا منذ

---

[1] د. علي الصادق أبوهيف، النظريات والقواعد العامة للعلاقات الدولية، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون طبعة، 2005، ص 637.

[2] د. صلاح عبد البديع شلبي، الوجيز الميسر في القانون الدولي، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة، 2010، ص 555.

[3] د. منتصر سعيد حمودة، مرجع سابق، ص 557-558.

[4] د. عبدالله الأشعل، مرجع سابق، ص 107.

[5] د. طارق عبدالرؤوف رزق، مبدأ ثبات الحدود و نهايتها، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الحقوق، جامعة القاهرة، 1995، ص 605.

نهاية الحرب العالمية الأولى وقد قررت المادة الأولى من الاتفاقية العامة للتسوية السلمية بالوسائل السلمية، (جنيف 1928) إنشاء لجان توفيق دائمة لتسوية ما عساه أن ينشأ من المنازعات بين الدول الأطراف [1] .

أشارت المادة (33) من ميثاق الأمم المتحدة إلى التوفيق يؤدي إلى الموازنة بين مصالح الأطراف المتنازعة على نحو لا يتوفر في أي أسلوب آخر من أساليب التسوية السياسية أو القضائية للمنازعات الدولية.

خامساً: حل المنازعات عن طريق المنظمات الدولية

تعتبر الوسائل السلمية بواسطة المنظمات الدولية وسيلة فعالة وجرا ذلك بعد ظهور المنظمات الدولية والتي كان القاسم المشترك فيما بينها جميعاً أن هدفها هو حفظ السلم والأمن الدوليين بالوسائل السلمية أولاً ثم في حالة الفشل تلجأ هذه المنظمات لتدابير أخرى تتخذها لحل المنازعات الدولية.

منظمة الأمم المتحدة و التي أنشأت عام 1945م و التي تعتبر أحد أهم المنظمات الدولية وذلك لأنها تضم جميع دول العالم، و تعتبر تسوية المنازعات الدولية أحد المبادئ التي نص عليها ميثاق المنظمة و ذلك في المادة 3/2 على أن **(** يفض أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم و الأمن و العدل الدولي عرضه للخطر**)**

كما أكدت الأمم المتحدة بناءً على الفصل السادس من الميثاق والمادة (33) منه تحديداً، والتي يستفاد منها أنه يجب على الدول الأطراف في حالة حدوث نزاع أن يسعوا إلى حله وفضه عن طريق المفاوضة و التحقيق و الوساطة و التوفيق و التحكيم و التسوية القضائية و لهم أن يدعوا مجلس الأمن لتسوية النزاع بهذه الطرق إن رأوا إمكانية لذلك. [2]

أما المواد (36،37،38) التي حددت ما يمكن لمجلس ما يتخذه من تدابير لتسوية النزاعات بالطرق السلمية أما الفصل الثامن من ذات الميثاق فقد تم تخصيصه لدور المنظمات الإقليمية في حل المنازعات الدولية م (52).

---

[1] د. محسن افكيرين، القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون طبعة، 2011، ص 789.

[2] تنص المادة (33) من ميثاق الأمم المتحدة يجب على أطراف أي نزاع من شأنه استمراره أن يحرص على السلم والأمن الدولي من الخطر و أن يلتمسوا حله بادئ ذي بدء بطريقة المفاوضة و التحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية أو أن يلجؤوا إلى الوكالات والتنظيمات الإقليمية أو غيرها من الوسائل السلمية التي يقع عليها اختيارها – ويدعو مجلس الأمن أطراف النزاع إلى أن يسووا ما بينهم من نزاع بتلك الطرق إذا رأى ضرورة لذلك .

ومن أمثله المنظمات الإقليمية جامعة الدول العربية و التي تم النص في المادة (5) من ميثاقها على أنه (لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أثر من دول الجامعة فإذا نشب بينهما خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها و لجأ المتنازعون إلى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافداً أو ملزماً و تصدر قرارات التحكيم و القرارات الخاصة بالوسط بأغلبية الآراء).[1]

و إلى جانب جامعة الدول العربية كمنظمة إقليمية يمكن للمنظمات الإقليمية الأخرى أن تقوم بأدوار مماثلة كمنظمة الاتحاد الإفريقي و الاتحاد الأوروبي و المؤتمر الإسلامي.

الفرع الثاني:

الطرق القضائية لحل المنازعات الدولية

تسوية المنازعات الدولية علاوة على ما تم ذكره من طرق و وسائل لتسوية المنازعات أيضاً تتم تسوية المنازعات الدولية بالطرق القضائية، ذلك بما يصدر من الهيئات التحكيمية أو من المحاكم الدولية، كمحكمة العدل الدولية و المحكمة الجنائية الدولية.

1 ـ التحكيم:

التحكيم وسيلة من وسائل التسوية السلمية التي يلجأ إليها أشخاص القانون الدولي لحل المنازعات، لعلى التعريف الذي أوردته اتفاقية لاهاي الأولى عام 1907م أشمل لحل و تسوية المنازعات الدولية حيث نصت غي المادة (37) على أن (الغرض من التحكيم الدولي هو تسوية المنازعات بين الدول بواسطة قضاة تختارهم على أساس احترام القانون الدولي).

و اللجوء إلى التحكيم إما أن يكون سابقاً على وقوع النزاع و هو ما يسمى بشرط التحكيم، أو يكون لاحقاً على وقوعه وهو ما يطلق عليه اتفاق التحكيم.[2]

أ ـ شرط التحكيم:

يلتزم أطراف النزاع بمقتضى شرط التحكيم مسبقاً باللجوء إلى التحكيم بخصوص المنازعات التي قد تنشأ بينهم و يتخذ هذا الشرط إحدى صورتين **صورة عامة** إذا تم النص عليها بصدد أي نزاع قد ينشأ بين الأطراف المدنية بشكل عام، مثل مادة (13) من ميثاق عصبة الأمم.

---

[1] د. إبراهيم محمد العناني، العلاقات الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون طبعة، 2007، ص 204.

[2] د. إبراهيم محمد العناني، اللجوء إلى التحكيم الدولي، دار الفكر العربي، الإسكندرية، بدون طبعة، 1973، ص 14-15.

أما **الصورة الخاصة**، إذا ادرج ضمن نصوص معاهدة دولية بشأن المنازعات التي قد تنشأ عن هذه المعاهدة كنص المادة (36) من معاهدة السلام بين دول الحلفاء و رما عام 1947م[1]

ب ـ اتفاق التحكيم:

و يكون بعرض النزاع على التحكيم بناء على اتفاق الدول المتنازعة، وقد يتم هذا الاتفاق عند قيام النزاع و بمناسبته حتى لا يمتد لغير النزاع الذي يتناوله، كما قد يتم قبل وقوع أي نزاع، و غي هذه الحالة الأخيرة قد يكون شاملاً لكل أنواع المنازعات التي تقوم بين الدول المتعاقدة أو قاصراً على نوع أو أنواع معينة و يحدد اتفاق الإحالة على التحكيم موضوع النزاع و المسائل التي تفصل فيها هيئة التحكيم و كيفية تكوين هذه الهيئة، كما قد يتضمن القوات التي تتبع للفصل في النزاع.[2]

و بالتالي ما يجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن التحكيم قد ينتهي إما بتسوية النزاع أو بعرضه على جهة أخرى.

2 ـ محكمة العدل الدولية:

عقب نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م، و أثناء انعقاد مؤتمر سان فرنسيسكو و عند اتفاق الدول على إنشاء منظمة الأمم المتحدة، اتفقت هذه الدول على إنشاء جهاز قضائي تحت مسمى محكمة العدل الدولية و جعلها فرع رئيسي من فروع الأمم المتحدة.[3]

هذا وقد نصت المادة (92) من ميثاق الأمم المتحدة على أن (محكمة العدل الدولية هي الأداة القضائية الرئيسية للأمم المتحدة و تقوم بعملها وفق نظامها الأساسي الملحق بهذا الميثاق و هو مبني على النظام الأساسي للمحكمة الدائمة للعدل الدولي و يعتبر جزءً لا يتجزأ من هذا الميثاق) [4]

أما من حيث الاختصاص فإن للمحكمة اختصاص مزدوج قضائي و إفتائي و يتوقف اللجوء إلى المحكمة على رضا الأطراف.

و يصدر حكم محكمة العدل الدولية بناء على أغلبية آراء القضاة وإذا تساوت الأصوات رجح جانب الرئيس أو من ينوب عنه، ويكون الحكم إلزامياً غير قابل للاستئناف، إن مع القول بإلزامية أحكام

(1) المرجع نفسه، ص 16.
(2) د. على الصادق أبو هيف، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون طبعة، 2005، ص 648-649.
(3) د. منتصر سعيد حمودة، مرجع سابق، ص 572.
(4) المادة (92) من الفص الرابع عشر من ميثاق الأمم المتحدة في محكمة العدل الدولية.

المحكمة فإنها لا تصبح نافذه في حالة امتناع دولة عن التنفيذ إلا عن طريق المنظمة، و هذا ما تم تأكيده في الفقرة الثانية من المادة (94) من ميثاق الأمم المتحدة. [1]

3 ـ المحكمة الجنائية الدولية:

أنشأت هذه المحكمة بموجب اتفاقية دولية أبرمت خصيصاً لهذا الغرض تعرف باسم نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، و يتحدد اختصاصها بنوعين يتعلق الأول: بالجرائم الدولية الناتجة عن انتهاك القانون الدولي الإنساني، و الثاني المتعلق بالنزاع الداخلي المسلح،

و تعد المحكمة الجنائية الدولية الدائمة صاحبة الاختصاص الأصيل في محاكمة مرتكبي الجرائم التي تقع انتهاكاً للقانون الدولي، و المخلة بالأمن و السلم الدوليين و التي نصت عليها المادة (5) من نظام روما الأساسي و تتمثل في أربع جرائم أوردتها على سبيل الحصر.[2]

ـ القيمة القانونية للدول التي لم تصدق على معاهدة إنشاء المحكمة الجنائية الدولية.

القاعدة العامة أن الدول غير الأطراف في الاتفاقية لا يقع عليها التزام التعاون مع المحكمة، غير أن ذلك لا يمنع المحكمة الجنائية الدولة من أن تباشر وظائفها و سلطاتها على إقليم دولة غير طرف في النظام الأساسي بموجب اتفاق خاص مع تللك الدولة، المادة(4)، فقرة(2)، و أن الدول غير الأطراف قد تجد نفسها ملزمة بالتعاون مع المحكمة الجنائية الدولية، و المدعي العام للمحكمة، و أن تقدم الدولة كافة التسهيلات، فمن المعلوم أن آية معاهدة دولية تنتج آثارها فقط على أطرافها، و من ثم فالمبدأ الحاكم للمعاهدات الدولية هو مبدأ الأثر النسبي للمعاهدة، غير أن هذا المبدأ قد لا يكون له آثر إذا وافقت الدولة التي ليست من أطراف تلك المعاهدة على سريان أحكام المعاهدة عليها، أي أن رضاء الدولة المعنية متوقف على خضوعها لأحكام المعاهدة.

(1) تنص الفقرة الثانية من المادة (94) على (إذا امتنع أحد المتقاضين في قضية ما عن القيام بما يفرضه عليه حكم تصدره المحكمة فالطرف الأخر أن يلجأ إلى مجلس الأمن ولهذا المجلس إذا رأى ضرورة لذلك أن يقدم توصياته أو يصدر قراراً بالتدابير التي يجب اتخاذها لتنفيذ هذا الحكم).

(2) تنص المادة (5) من نظام روما على (يقتصر اختصاص المحكمة على أشد الجرائم خطورة موضع اهتمام المجتمع الدولي بأسره و المحكمة بموجب هذا النظام الأساسي اختصاص النظر غي الجرائم التالية، أ- جريمة الإبادة الجماعية، ب- الجرائم ضد الإنسانية، ج- جرائم الحرب، د- جريمة العدوان.

المطلب الثاني

وسائل الحد من حدوث المنازعات الدولية

نظراً لما ثبت في عدم جدوى بعض الوسائل التي يتيح اللجوء إليها لتسوية المنازعات الدولية، و كذلك في عدم إقرار بعض الأطراف للقرارات الناشئة عن لجان حل المنازعات الدولية، الآمر الذي يستدعى حل أو خطوات و تدابير، لعلها تمنع حدوث المنازعات أو الحد منها.[1]

لذلك خصصنا في هذا المطلب للبحث في تلك التدابير، و سنتحدث عن دور الأمم المتحدة في وضع الخطوات التي من شأنها حفظ السلام و الآمن الدولي، و أيضاً سنتطرق بعجالة عن الاتفاقيات الدولية المبرمة لهذا الغرض و كذلك آراء الفقهاء على الصعيد الدولي.

الفرع الأول:

دور الأمم المتحدة في منع حدوث المنازعات و الحد من حدوثها

لوفاء المنظمة بالتزاماتها تجاه السلم والأمن الدوليين فإنها تلجأ لتدابير معتادة على الصعيد الدولي لمعالجة الانتهاكات الصادرة من الدول الأعضاء، ولا يتم ذلك إلا بعد استنفاذ الطرق الأخرى المنصوص عليه في الميثاق العام للأمم المتحدة.

1 ـ التدابير المؤقتة:

تنص المادة (40) من الميثاق على (منعاً لتفاقم الموقف لمجلس الأمن قبل أن يقدم توصياته أو يتخذ التدابير المنصوص عليها في المادة (39) و يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضرورياً[2] أو مستحسناً من تدابير مؤقتة و لا تخل هذه التدابير بحقوق المتنازعين و مراكزهم و على مجلس الأمن أن يحسب لعدم أخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقتة حسابه).

و يقصد بالتدابير المؤقتة كل إجراء من شأنه الحيلولة دون تفاقم الوضع و يشترط في اتخاذها عدم الإخلال بحقوق المتنازعين أو التأثير على مطالبهم مثل الأمر بوقف إطلاق النار و الذب قد تم فعلياً، كحالة النزاع بين إيران و العراق عام 1980م. [3]

(1) د. زهير الحسني، التدابير المضادة في القانون الدولي العام، دار السلام للنشر، دمشق، بدون طبعة، 1988، ص 97.

(2) تنص المادة (39) من الميثاق على (يقرر مجلس الأمن ما إذا كان قد وقع تهديد للسلم أو إخلال به أو كان ما وقع عملاً من أعمال العدوان، يقدم في ذلك توصياته أو يقرر ما يجب أتخاذه من التدابير طبقاً لأحكام المادتين(41,42) لحفظ السلم و الأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه.)

(3) د. زهير حسني، مرجع سابق، ص 98.

2 ـ التدابير غير العسكرية:

تنص المادة (41) من الميثاق على (لمجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته، و له أن يطلب إلى أعضاء (الأمم المتحدة) تطبيق هذه التدابير و يجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية و المواصلات الحديدية و غيرها وقفاً جزئياً أو كلياً و قطع العلاقات الدبلوماسية).

الملاحظ من هذه المادة أنها تتضمن تدابير ذات طبيعة عقابية و إن كان يصل العقاب إلى حد استعمال القوة العسكرية.[1]

3 ـ التدابير العسكرية:

نصت المادة (42) من الميثاق على (إذا رأى مجلس الأمن أن التدابير المنصوص عليها في المادة (41) لا تفي أو ثبت أنها لم تف به، جاز له أن يتخذ بطريق القوات الجوية و البحرية و البرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم و الأمن الدولي أو لإعادته إلى نصابه، و يجوز أن تتناول هذه الأعمال المظاهرات الحصر و العمليات الأخرى بطريق القوات الجوية أو البحرية أو البرية التابعة لأعضاء الأمم المتحدة.[2]

و يلاحظ في هذا المجال عندما يستحيل حل النزاع بكافة الوسائل المتاحة فلبدا من حل هذا النزاع بالتدخل العسكري جوي و بحري و بري بما في ذلك فرض الحصار لحسم هذا النزاع نتيجة لانتهاك أحد أطرافه لاحد مبادئ القانون الدولي.

الفرع الثاني:

دور الاتفاقيات الدولية في منع النزاع أو التخفيف منه

تعد الاتفاقيات الدولية من أهم مصادر القانون الدولي العام و تعرف الاتفاقيات الدولية بأنها (كل اتفاق استراتيجي سياسي أو عسكري أو اجتماعي أو ثقافي يعقد بالتراضي بين عدد من دول العالم) وللاتفاقيات الدولية عدة مصطلحات قانونية منها المعاهدة و اتفاقية و اتفاق و بروتوكول و ميثاق، ونظراً لما شهده العالم من حروب و نزعات كثيرة كانت لها آثارها الكارثية فأبرمت العديد من الاتفاقيات الدولية لغرض تلافي حدوث المنازعات أو للتقليل من الآثار الناشئة عنها و لعلى أهمها هي اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949م و بروتوكولاتها المعدلة له و المتعلقة بالقانون الدولي الإنساني و قانون الحرب، التي اكتملت بالبروتوكولين [3]

---

[1] د. علي ضوي، القانون الدولي العام، الجزء الأول (المصادر و الأشخاص)، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الطبعة الخامسة، 2013، ص 81-82.

[2] المادة (42) من الفصل السابع من الميثاق العام للأمم المتحدة.

[3] د. علي ضوي، مرجع سابق، ص 82-83.

الإضافيين لعام 1977م لتشكل بذلك صرحاً قانونياً يتألف من 600 مادة و يدون القواعد التي تحمي الفرد الإنساني في حالة النزاع المسلح.[1]

الفرع الثالث:-

دور الفقهاء في الحد من نشوب نزاعات بين الدول.

ظهر في هذا المقام العديد من النظريات التي حاول معتنقيها دراسة هذا العلم منها ما كانت شاملة و عامة و منها ما كانت محددة.

و من ضمن هؤلاء الفقهاء **(كارل ماركس)** و **(ساكش فيير)** بالإضافة إلى إسهامات كثيرة من علماء النفس و النفس الاجتماعي امثال **(بانا دويونجو فريد)** لتحديد الاسباب الكامنة في حدوث المنازعات و وضع الحلول التي تحد من استعمالها مستقبلاً، أيضاً **(بولدينغ)** الذي أشار في كتاب (النزاع و الدفاع) عن منع النزاع قائلاً " أنه إذا وجد نظام اجتماعي ديناميكي ينمو باتجاه غير قانوني فإذا لم يتخذ أي شيء لإعاقة العملية السائدة فإن الصراع حينئذ سيكون محتماً " و ناقش **(بولدينغ)** أيضاً موضوع منع النزاع عن طريق تغيير الوضع القائم أي باستبدال النظام الاجتماعي الموجود بنظام آخر.[2]

[1] د. محسن افكيرين، مرجع سابق، ص 859.

[2] د. محمد أحمد الخطري، إدارة الأزمات، دار الكتب المصرية، القاهرة، بدون طبعة، 1997، ص 296.

الخاتمة

نخلص مما سبق إن حل المنازعات الدولية يتم بطرق سلمية وهذه الوسائل تقوم على أساس القبول والاختيار من قبل أطراف النزاع سواء كانت بطرق السياسية أو القضائية.

كما أن وسائل التسوية السياسية والقضائية مرتبطة ببعضها كونها من الوسائل السلمية لتسوية المنازعات الدولية في العلاقات الدولية.

ومن خلال ما ذكر يمكن الوصول إلى النتائج التالية:.

1- أن فض النزاعات الدولية بالطرق السلمية سواء كانت سياسية أو قضائية نجحت في احيان كثيرة خاصة التي لا تتعارض مع مصالح الدول الكبرى.

2- الطرق القضائية تمتاز بأنها ذات استمرارية و ديمومة بالنظر للطرق السياسية التي قد يكون طريقها الفشل بسبب تأزم العلاقة بين أطراف النزاع.

3- تأثير الدول الكبرى على مجريات الأحداث على الصعيد الدولي.

4- بسبب تركة الدول الاستعمارية لاحظنا استمرار النزاعات في الدول النامية و الدول العربية.

أما بالنسبة لتوصيات التي التوصل إليها من خلال هذا البحث تتمثل في الآتي:.

1- على المنظمات الدولية أن تقوم بمعاملة جميع الدول الأعضاء على قدر واحد من المساواة و الإنصاف و العدالة و ترك التعامل بازدواجية المعايير حسب المصالح أو الضغوط.

2- العمل على تعديل ميثاق الأمم المتحدة بحيث يتماشى مع جميع الدول الأعضاء.

3- إعطاء المنظمات الإقليمية صلاحيات و حرية أكثر للعمل على حلحلة النزاعات و قيامها بأعمالها حتى يتحقق التعاون المشترك بين الدول.

4- إقرار جزءات دولية على كل من يستعمل القوة أو التهديد باستخدامها خارج نطاق الأمم المتحدة.

5- ضرورة التعديل بالمقاعد دائمة العضوية في مجلس الأمن بسبب استحواذ الدول الخمس على أتخاد القرار الدولي، مما سبب في خللً في العلاقات بين الدول.

و بالتالي إذا بقى الوضع على ما هو عليه سيكون النزاع القادم بين القوى العظمى المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا و الصين و المملكة المتحدة و فرنسا و لو بعد حين.

و الله ولي التوفيق

قائمة المراجع

أولاً : الكتب

1. د. إبراهيم محمد العناني، العلاقات الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون طبعة، 2007.
2. د. أحمد أبو الوفا، الوسيط في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الخامسة، 2010.
3. د. أحمد أبو الوفا، مشكلة عدم الظهور أمام محكمة العدل الدولية دراسة في إطار قانون الإجراءات الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون طبعة،1985.
4. د. إسماعيل صبري المقلد، العلاقات السياسية الدولية، المكتبة الأكاديمية، مصر، بدون طبعة، 1991.
5. د. إيمان محمد بن يونس، العلاقات الدولية، دار الفارس للطباعة و النشر، بنغازي، الطبعة الأولى، 2006.
6. د. جابر إبراهيم الراوي ، المنازعات الدولية ، مطبعة دار السلام، بغداد، 1978.
7. د. زهير الحسني، التدابير المضادة في القانون الدولي العام، دار السلام للنشر، دمشق، بدون طبعة، 1988.
8. د. صلاح عبدالبديع شلبي، الوجيز الميسر في القانون الدولي، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة، 2010.
9. د. طارق عزت رخا، القانون الدولي العام في السلم و الحرب، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون طبعة، 2006.
10. د. عبدالكريم عوض خليفة، القانون الدولي العام، دراسة مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، بدون طبعة، 2011.
11. د. عبدالله الأشعل، مقدمة في القانون الدولي المعاصر، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2006.
12. د. علي الصادق أبوهيف ، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الاسكندرية، بدون طبعة، 2005.
13. د. علي الصادق أبوهيف، النظريات و القواعد العامة للعلاقات الدولية، منشأة المعارف، الاسكندرية، بدون طبعة، 2005.
14. د. علي ضوي، القانون الدولي العام، الجزء الأول (المصادر و الأشخاص) دار الكتب الوطنية، بنغازي، الطبعة الخامسة، 2013.

15. د. محسن افكيرين، القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001.
16. د. محمد أحمد الخطري، إدارة الأزمات، دار الكتب المصرية، القاهرة، بدون طبعة، 1997.
17. د. منتصر سعيد حموده، القانون الدولي المعاصر، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 2008.
18. د. نبيل أحمد حلمي، التوفيق كوسيلة سلمية لحل المنازعات السلمية في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983 .

ثانياً الدوريات العلمية

1 . د. قشي الخير، المنازعات القانونية والسياسية في قضاء محكمة العدل الدولية ، مجلة العلوم الاجتماعية والسياسية ، جامعة باتنة ، العدد الثاني ، 1994.

ثالثاً :الرسائل العلمية

1 . د. طارق عبدالرؤوف رزق، مبدأ ثبات الحدود و نهايتها، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى كلية الحقوق، جامعة القاهرة، 1995.

رابعاً : الوثائق

1. بروتوكول جنيف لعام 1949م.
2. الميثاق العام للأمم المتحدة. 1945.

التحليل الاقتصادي لتشريعات المسؤولية التقصيرية العربية

محمد ميلاد سعيد سالم – جامعة إسطنبول صباح الدين زعيم – تركيا

الملخص

يعد نظام المسؤولية التقصيرية من أهم النظم القانونية، وأكثرها احتكاكا بعناصر المجتمع المهني؛ لأجل ذلك فإن تحقيق أهداف المسؤولية، دون المساس بمصالح أطرافها يعد هدفا أساسيا لأي تشريع ناجح. من هنا كان هدف هذه الدراسة هو تقييم الأثار الاقتصادية لنظام المسؤولية التقصيرية المتبع في الدول العربية على أطراف المجتمع المهني، لإظهار عناصر القوة والضعف فيه، ومن خلال تتبع الأسس التشريعية لنظام المسؤولية المتبع في الدول العربية ودراسة مدى قدرة المنتجين والمستهلكين على تحمل أعباء المسؤولية ظهرت الآثار السلبية لتشريع المسؤولية على المجتمع المهني من حيث عدم قدرته على التنبؤ بالتعويضات التي قد تفرض عليه وارتفاعها مما يدفع المهني إلى الإحجام عن التطوير ويضعف قدرته على المنافسة.

الكلمات المفتاحية: التحليل الاقتصادي– المهني – المستهلك – الآثار الاقتصادية

المقدمة

تُعتبر تشريعات المسؤولية التقصيرية من أهم التشريعات المدنية وأكثرها ارتباطا بالواقع الاقتصادي للمجتمعات؛ لأنها تتعلق بمسألة حساسة لها أثرها في زيادة تكاليف الإنتاج وقدرة المهنيين على الموازنة بين التكاليف وهامش الربح المتوقع على السلع والخدمات، إذ هي مسألة التعويض عن الأضرار لصالح المستهلكين أو العمال أو البيئة.

فنفقات وتكاليف التقاضي بدرجاته المختلفة والتعويضات التي تنشأ عنها تؤثر بشكل مباشر على تكاليف العملية الإنتاجية للسلع والخدمات؛ فلو زادت هذه التكاليف عن الحدود المحتملة من قبل المهنيين والمنتجين أو في حال عدم قدرتهم على التنبؤ بها؛ فإنه قد يصعب عليهم الاستمرار في إنتاج هذه السلع أو الخدمات وعرضها في ظل هذه الظروف مما يؤثر سلبا على الاستقرار الاقتصادي للمجتمعات، إضافة لما يؤدي إليه من رفع أسعار التأمين على الحوادث مما يولد زيادة أخرى في التكاليف.

وعلى هذا الأساس فمن المهم جدا أن تُدرس الكفاءة الاقتصادية لأي نظام للمسؤولية التقصيرية من ناحية تحقيقه للأساس الإنساني الذي ينطلق منه هذا التشريع، وهو تعويض المضرور عما لحقه من ضرر والحفاظ على كرامته من جهة، ومن جهة أخرى دراسة مدى قدرة منتجي السلع على توقع هذا العبء بشكل يمكن معه إضافته للتكاليف والمخاطر المتعلقة بتسعير منتجاتهم؛ بحيث لا يؤدي إلى تشوهات وعدم توازن بين التكلفة وهامش الربح الذي يُبقي المهني في سوق مهنته، كما يبقي السعر المتوقع في حيز قبول المستهلك.

ذلك أن عدم إدراك تفاصيل المسؤولية التقصيرية ونتائجها الاقتصادية يؤدي بالضرورة إلى ارتفاع تكاليف السلع بسبب المبالغة في احتياطات توقي مخاطرها، أو حتى عدم قدرة المهنيين على الاستمرار في إنتاج سلعهم أو زيادتها في ظل هذه الظروف. ويمكن أن يضاف إلى معايير الكفاءة قدرة النظام على توليد دوافع ذاتية للأطراف ذات العلاقة للوصول للهدف الأساس الذي يصبو إليه القانون؛ وهو منع وجود الضرر قبل حصوله، وبالتالي توفير أعباء وتكاليف التقاضي في المسؤولية التقصيرية.

1.1. المشكلة البحثية

يمكن صياغة الإطار العام لمشكلة الدراسة في مدى كفاءة النظم القانونية للمسؤولية التقصيرية في تحقيق الأهداف المرجوة على الصعيد الفردي والمجتمعي، من خلال تحقيقها لهدفي ردع المتسببين المحتملين للأضرار، وتعويض المضرورين بشكل عادل مقاسا على التكاليف التي يتضمنها تحقيق هذه الأهداف مع تجنب الإضرار بعملية إنتاج السلع والخدمات من خلال معايير وصفية ثابتة.

2.1. منهج الدراسة

سأتبع في هذه الدراسة المنهج النظري الوصفي من خلال الوقوف على النصوص القانونية للتشريعات محل الدراسة، وبيان أثرها في المجتمع وسلوك الأفراد، وتحليها اقتصادياً باعتبارها نصوصا قانونية ذات كلفة اقتصادية، واستخلاص الآثار الاقتصادية لهذه التشريعات لبيان كفاءتها لتحقيق مقاصد تشريعات المسؤولية التقصيرية المتمثلة في هدفي ردع المضر وتعويض المضرور وفق أساس الأقل تكاليفا.

3.1. أهداف الدراسة

للإجابة على تساؤلات الدراسة وتتبع فرضياته فإن هذه الدراسة تهدف إلى:

- الوقوف على مدى تحقيق التشريعات العربية للجوانب الاقتصادية المأمول تحقيقها من تشريعات المسؤولية التقصيرية.

- إظهار مدى قدرة تشريعات المسؤولية في الدول العربية على مساعدة المهني على التنبؤ بحجم التعويضات المتوقعة عن نظام المسؤولية التقصيرية.
- الوقوف على أثر هذه النظم على سلوك المستهلك من ناحية التقيد بأسباب السلامة وتعليمات المهني.
- للوقوف على أثر طرق إثبات المسؤولية التقصيرية في التشريعات العربية حول المسؤولية في قدرة المهني على توقع العبء المترتب عليها

4.1. الدراسات السابقة

في الدراسات المتخصصة باللغة العربية لم أقف على دراسة تتعلق بدراسة اقتصاديات المسؤولية التقصيرية باستثناء دراسة منذر قحف[1] بعنوان: "اقتصاديات المسؤولية التقصيرية للمنتج: بحث عن وجهة نظر إسلامية" من منشورات المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب– البنك الإسلامي للتنمية– بحث رقم: (36) نشر لأول مرة سنة 1995.

حاول الباحث في هذا الدراسة الوقوف على وجهة النظر الإسلامية في اقتصاديات المسؤولية التقصيرية للمهني، ومقارنتها بالنظام الغربي الذي اختار منه النظام الأمريكي، وعزا اختياره لهذا النموذج لتوفر المصادر والمراجع الخاصة به لديه، إضافة لبيان كفاءة كل منهما في تحقيق الهدف من تحديد المسؤولية التقصيرية المتمثل في ردع المتسببين المحتملين للأضرار، وتعويض المتضررين، مقاسا على التكاليف التي يتضمنها تحقيق ذلك، وكان العرض شاملا لأغلب مباحث الموضوع ومشكلاته، وقد سد به ثغرة عظيمة في اقتصاديات السوق، وهذا ما يكسبه الأهمية الكبيرة في نظري؛ فبالرغم من تناول المسؤولية التقصيرية في شقها القانوني من قبل كُتّاب كثيرين ظل هذا الجانب شاغرا يحتاج إلى ملء؛ ودراسة منذر قحف هي الأساس الذي أبني عليه هذه الدراسة في تحديد مدى الكفاءة الاقتصادية لأنظمة المسؤولية التقصيرية في التشريعات محل الدراسة.

وما تضيفه هذه الدراسة هو دراسة الآثار الاقتصادية لتشريعات المسؤولية التقصيرية العربية على المهني والمستهلك، وهو ما يشكل إضافة مهمة أشار قحف لفائدتها في نهاية بحثه عن المسؤولية،

[1] - أستاذ التمويل والاقتصاد الإسلامي، بجامعة اسطنبول صباح الدين زعيم، تركيا، سبتمبر 2018 حتى الآن. كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1999 حتى الآن، وكبير الباحثين الاقتصاديين: المعهد الإسلامي للبحث والتدريب ((Iللبنك الإسلامي للتنمية جدة، المملكة العربية السعودية، 1995 - 1999. والمستشار لدى صندوق النقد الدولي حول التمويل الإسلامي، ومدير صندوق الزكاة الوطني والصندوق التعاوني الإسلامي للمسلمين في أمريكا الشمالية، تموز 1975 - أيلول 1981. والحاصل على جائزة البنك الإسلامي للتنمية للاقتصاد الإسلامي لسنة 1995.

كما تُقدم الدراسة الحالية تقييما اقتصاديا لتشريعات المسؤولية التقصيرية للدول العربية ومدى تأديتها لوظيفتها التي شرعت من أجلها.

وما يميز هذه الدراسة تعلقها بالتشريعات العربية للمسؤولية التقصيرية مما يعطيها طابعا شخصيا، ويجعلها لصيقة بواقعنا العربي، ومن جهة أخرى فإن طبيعة النظام القانوني للدول العربية (بشقيها الوضعي والإسلامي) يعتمد النص القانوني موافقا للمدرسة اللاتينية (الفرنسية) مما يعطيها طابعا أكثر استقرارا في التشريع يمكن معه تعميم النتائج طوليا وأفقيا، بخلاف النظام القانوني الأمريكي القائم على السوابق القانونية ذات الطابع المتغير.

2. التحليل الاقتصادي لتشريعات المسؤولية التقصيرية

1.2. مفهوم المسؤولية التقصيرية

تعتبر المسؤولية التقصيرية من الأفكار التي أثارت خلافات واسعة بين القانونيين، ولذلك تنوّعت تعريفاتهم لها، ولعل ذلك بسبب تعلقها بالعديد من العلوم؛ كعلمي الاجتماع والاقتصاد من ناحية، والاختلاف الكبير بين القانونيين في تصور الأساس القانوني الذي تقوم عليه فكرة المسؤولية التقصيرية؛ من قيامها على أساس الخطأ، أو الضرر، أو مبدأ تحمل التبعة، أو نظرية المخاطر، وغيرها من النظريات التي أسست لفكرة تقنين المسؤولية التقصيرية.

وإن كان ليس بالوسع تتبع كل هذه الاتجاهات والاجتهادات لبعدها عن موضوع البحث؛ فإنه لا مناص من اختيار ما يحصل به التصور الواضح لهذا المفهوم.

فالمسؤولية التقصيرية هي شكل من أشكال المسؤولية المدنية مضمونها الإخلال بالتزام قانوني عام يقتضي عدم الإضرار بالآخرين.[1] وكل تقصير بهذا الالتزام العام تُبنى عليه مسؤولية المقصِّر، ويُساءل بتقديم تعويض ملائم للضرر الذي لحق المضرور من جراء تقصيره.[2] فهي من مصادر الحق في القانون لضرورة أن كل التزام قانوني يقابله حق.[3]

2.2. التحليل الاقتصادي للقانون (Economic analysis of law) ماهيته وأهميته

1 - عبد الرازق السنهوري، *الوسيط شرح القانون المدني، نظرية الالتزام*، ط 1 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ) ص 743 وما بعدها.

2 - أمجد محمد منصور، *النظرية العامة للالتزامات*، ط 1 (دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003) ص 258.

3 - مصطفى أحمد الزرقا، الفعل الضار وضمانه، (دار القلم، دمشق، بدون تاريخ) ص 60، ومنذر قحف، اقتصاديات المسؤولية التقصيرية للمنتج، (منشورات البنك الإسلامي للتنمية، بحث رقم، 36،1995)، ص17.

تشكل القوانين التجارية نقطة الارتباط الأوثق بين علمي الاقتصاد والقانون، لا سيما مع تطورها وظهور فروع جديدة منها ترتبط بالأنشطة الاقتصادية بشكل أكثر عمقا كقوانين الاقتراض وقوانين المنافسة والقوانين الحمائية للمستهلكين والمهنيين وقوانين حماية التوقعات وغيرها من فروع القوانين الاقتصادية.[1] وبالرغم من هذا الارتباط فقد لُوحظت علاقة أكثر اتساعا بين علمي القانون والاقتصاد تتعدى الجوانب التي تغطيها القوانين التجارية، بل تتعداها إلى مختلف القوانين المدنية وقوانين العمل والتشريعات البيئية وقوانين الأسرة وإن كانت تبدو لأول وهلة بعيدة عن علم الاقتصاد.[2]

ولّدت هذه العلاقة الوثيقة عديد التساؤلات حول طبيعتها من حيث التكامل والمساواة، وطريقة إبراز الآثار الاقتصادية لهذه القوانين، وكيفية الاستفادة منها في معرفة كفاءة هذه القوانين ومواءمتها مع الأهداف التنموية التي تنشدها الدول، وتحقيق مبدأ العدالة التي شرعت من أجله هذه القوانين.[3]

وفي أواخر خمسينيات القرن الماضي، وفي عام 1958 بالتحديد ظهر بجامعة شيكاغوا في الولايات المتحدة الأمريكية ما عرف فيما بعد بمدرسة التحليل الاقتصادي للقانون بإصدار العدد الأول من مجلة (القانون والاقتصاد) والتي نُشرت في عددها الأول مقالةٌ لعالم الاقتصاد R. Coase بعنوان "مشكلة التكاليف الاجتماعية" ناقش فيها أثر القواعد القانونية على تخصيص الموارد وتقليل التكاليف،[4] ثم تبعه متأثرا بأفكاره R. Posner الذي عمم الفكرة على مختلف فروع القانون معتبرا أن قواعد الإلزام في القوانين تنعكس بالضرورة في صورة تكلفة قد تكون ظاهرة كالغرامات أو ضمنية كما في الجزائيات المدنية،[5] ونُشرت في هذه المجلة أعمال لرواد الاقتصاد في هذه المدرسة من أمثال: GUIDO CALABRESI وRONALD COASE تعنى بدراسة الآثار الاقتصادية للقوانين،[6] ثم امتد الاهتمام بهذا الفرع من العلوم الاقتصادية في السنوات اللاحقة وظهرت عدة مجلات تعنى بتحليل

1 - Didier Linotte, and Romi Raphaël , *Droit public économique*. Vol. 6. Paris, 2006, p. 11.. ومشاعل الهاجري، "الدراسات البينية وأثرها في الاتصال المعرفي بين العلوم": دراسة في حقل القانون، *مجلة كلية الحقوق*، المجلس العلمي للنشر، جامعة الكويت، عدد3، (2007): 171 وما بعدها.

2 - Benoît Frydman, T Andreani, and M Rosen, Le calcul rationnel des droits sur le marché de la justice: l'école de l'analyse économique du droit L'Harmattan, 1997, p. 128

3 - فهد الزميع، التحليل الاقتصادي للقانون، بين التجريد النظري والتطبيق العملي، دراسة على نظرية الملكية، مجلة كلية الحقوق، المجلس العلمي للنشر جامعة الكويت، عدد 2، (2012): 157-160.

4 - Ronald Coase H, "*L'entreprise, le marché et le droit*, Éditions organization" (Paris, 2005), p.31

5 - Bruno Deffains, "Le défi de l'analyse économique du droit: le point de vue de l'économiste." *Petitis affiches. Le Quotidien Juridique. Analyse Économique du Droit: Quelques Points d'Accroche* 99 (2005): 6-13.

6 - Aurelien Portuese, Orla Gough, and Joseph Tanega. "The principle of legal certainty as a principle of economic efficiency." European Journal of Law and Economics 44.1 (2017): 131-156.

الآثار الاقتصادية لمختلف القوانين، كما برزت أعمال العديد من الرواد المهتمين بهذا الجانب من أمثال R. Posner.[1]

وبالرغم من ظهور العديد من الدراسات النقدية التي تشكك في إضافات هذه المدرسة،[2]إلا أن الوسط الأكاديمي في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا أدرك أن التحليل الاقتصادي للقوانين يعتبر أداة ثمينة تساهم في الكفاءة المثلى للتشريعات، ومجالا واسعا لتطوير القوانين المنظمة للمجتمعات. توج هذا الاهتمام بحصول R. Coase على جائزة نوبل للاقتصاد سنة 1991على أبحاثه في هذا المجال.[3] واتجهت الكثير من الدول لتوجيه الباحثين لتقديم دراسات معمقة في هذا المجال مثل ألمانيا وبريطانيا والسويد، والصين،[4] والهند،[5] واليابان.[6] كما ظهرت عدة مجلات يقوم عليها رواد علم الاقتصاد في مختلف الدول لدراسة الآثار الاقتصادية للقوانين منها المجلة الدولية في القانون والاقتصاد (International Journal of Economics and Law)، وهي مجلة بريطانية بدأ صدورها سنة 1981. كما أدخلت ألمانيا التحليل الاقتصادي للقانون سنة 1986 وأخرجت عدة دراسات في هذا الموضوع.[7]

وبالرغم من هذا الاهتمام العالمي بالدراسات التي تعنى بالتحليل الاقتصادي للقانون؛ بل، وفي التطبيقات الإجرائية لكثير من القوانين؛ إلا إن الدراسات التي تعنى بهذا الجانب على الصعيد العربي تعتبر متواضعة جدا؛ إذ اقتصرت على أبحاث في بضع مجلّات على قلتها يقوم عليها حقوقيون لا اقتصاديون يعتنون فيها بالبعد الاقتصادي للقانون بصرف النظر عن آثاره الاقتصادية على المجتمع سلبية كانت أم إيجابية، ولعل السبب في هذا هو تأثر المدارس الفكرية العربية بالفكر اللاتيني بدرجة كبيرة إذ لم تشهد فرنسا ما شهدته بقية الدول الأوروبية من الاهتمام بتحليل القوانين اقتصاديا، ومر فيها بمراحل مختلفة من التوجس منه، إلى قبوله بتحفظ، وبخصوصية معينة، وتأطير دوره في المساعدة

1- Benoît, Op. Cit. p. 128.
2- Klaus Mathis ed, *Law and Economics in Europe: Foundations and Applications*. Vol. 1. Springer Science & Business Media, 2013, p 17.
3- Ejan Mackaay, et al. *Analyse économique du droit*. Vol. 2. Paris: Dalloz, 2008, p.13.
4 - Thomas Eger, Michael G. Faure, and Naigen Zhang, eds. *Economic analysis of law in China*. Edward Elgar Publishing, 2007.
5-Thomas Eger, Economic analysis of law in India: theory and application. Oxford University Press, USA, 2010.
6- J. Mark Ramseyer, "Law & Economics in Japan." *Harvard Law and Economics Discussion* Paper 686 (2010).
7 - Ejan Mackaay, "La règle juridique observée par le prisme de l'économiste: une histoire stylisée du mouvement de l'analyse économique du droit." *Revue international de droit économique* 1 (1986): 43-88.

في تحديد الكلفة الاقتصادية للقاعدة القانونية لا في تحديد كفاءتها،[1] معللين ذلك بأن في هذا المفهوم تحريفا للمفاهيم القيميّة والأخلاقية التي يقوم بها القانون، ويحولها إلى مرتكزات تقاس كمؤشر اقتصادي لكفاءة القانون في تطوير التنمية الاقتصادية، بدلا من معيار قيمي أخلاقي يحقق للأفراد الوصول إلى حقوقهم وتنفيذ سائر التزاماتهم، لاسيما في المجالات التي يبدو فيها تعارض المنافع الاقتصادية مع مقتضيات دوافع القانون الأخلاقية في القانون المدني واضحاً؛ كمبدأ حسن النية، والقوة الملزمة في العقد، ونظام المسؤولية والتعويض، والعدالة والتنفيذ العيني للالتزامات، لأن النظر الاقتصادي لهذه المفاهيم –من وجهة نظرهم– يحولها من تحقيق العدالة القانونية إلى إشباع الغايات الاقتصادية.[2] ولعل الدوافع التي يقدمها فقهاء القانون في فرنسا لهذه النظرة المتحفظة جدا للتحليل الاقتصادي للقانون نابعة من الفلسفة الراسخة في الأذهان من أن الاقتصاد الرأسمالي يعزز المنفعة الفردية على حساب الدوافع الأخلاقية في النشاط الاقتصادي، وهذه القناعة وإن كانت سائدة في العصور السابقة فإن التوجه منذ سبعينات القرن الماضي إلى تخليق الاقتصاد في النظام الرأسمالي يسير بشكل متسارع، فضلا عن أن النظام الإسلامي هو نظام أخلاقي بالأساس.

3.2. مفهوم التحليل الاقتصادي للقانون

التحليل الاقتصادي للقوانين عبارة عن "المنهج الذي يهدف إلى الرفع من الفعالية الاقتصادية للتشريعات باستخدام أساليب التحليل الاقتصادي، وذلك بتوفير إطار تحليلي لتحديد تكاليف التدابير القانونية وطريقة تفاعل المتعاملين بها وآثارها على المتعاملين، ومعرفة مدى فعاليتها مقارنة بتكاليفها للوصول للتشريعات الملائمة وليقترح اعتمادها من قبل رجال القانون".[3]

4.2. أهمية التحليل الاقتصادي للقوانين

يعتبر التحليل الاقتصادي للقوانين مساهمة فعلية من رجال الاقتصاد في العملية التشريعية، والتحسين من كفاءة القوانين والتشريعات بتحديد مواطن الخلل فيها ومعالجتها، كما أن الكفاءة الاقتصادية التي ينشدها هذا المنهج تساهم في التخصيص الأمثل للموارد بتوجيه المتعاملين نحو النشاطات التنموية بالقوانين، والرفع من الكفاءة الإنتاجية وتحسين أداء المتعاملين، كما أن قيمة دراسة سلوك الإنسان من

1- To Learn More About This Issue, Anthony OgusI, and Michael G Faure, "*Economie du droit: le cas français*" (2003) Et, Jean François Niort, "Droit, économie et libéralisme dans l'esprit du Code Napoléon." *Archives de philosophie du droit* 37 (1992) : 101-119.

2 - Bruno Deffains, and Ferey Samuel, *Agir et juger : comment les économistes pensent le droit*. Éditions Panthéon-Assas, 2010, P. 17.

ومحمد عرفات الخطيب، التحليل الاقتصادي لنظرية العقد من منظور قانوني، *مجلة كلية القانون الكويتية العالمية*، عدد 1، (2019) : 125.

3- Didier Linotte, and Romi Raphaël , *Droit public économique*. Vol. 6. Paris, 2006, p. 11. .

الناحية الاقتصادية التي يهتم بها علم الاقتصاد تعتبر محدودة إن لم تراع جوانب التأثير على هذا السلوك من ناحية الحظر والإباحة المتمثلة في التشريعات التي تحكم هذا السلوك، وفي المقابل مراعاة هذه الجوانب تجعل من علم الاقتصاد علما واقعيا،[1] كما أن أي نظام قانوني يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية لا بد أن يراعي الآثار الناجمة عن هذا النظام، ولا شك أن من أشدها تَأْثِيرا وتَأَثُّرا الآثار الاقتصادية الذي يعني الإخلال بها قدحا في عادلة أي تشريع، ولذلك يعتبر التحليل الاقتصادي للقوانين أداة مثلى لتقييم القوانين ومقياسا لمعرفة تحقيق أهدافها،[2] ولذلك يرى (Richard POSNER) أن التحليل الاقتصادي يعتبر الوسيلة المثلى للحد من التعسف كما يوفر معيارا للتقييم الموضوعي للسلطات العمومية في قرارتها القانونية لا سيما في ظل افتقار القانون لآليات ذاتية في هذا الخصوص.[3]

5.2. غاية التحليل الاقتصادي للقانون

يهدف التحليل الاقتصادي للقانون لتحقيق الفعالية الاقتصادية القصوى للتشريعات؛ حيث يحقق القانون المعتمد على التحليل الاقتصادي في بيان آثاره الكفاءة المثلى في تخصيص الموارد بتقليل تكاليف المبادلات إلى الحد الأقصى وحماية أطراف التبادل،[4] كما يحقق الكفاءة المثلى في الإنتاج بتخفيض تكاليف الإنتاج بإزالة الأعباء الإضافية التي تحمّل على العملية الإنتاجية بلا مبرر كقضايا التعويضات ذات البعد الاجتماعي في تشريعات المسؤولية التقصيرية،[5] كما أن نظام المسؤولية التقصيرية نفسه يمكن أن يعتبر وسيلة لخفض التكاليف الاجتماعية للحوادث من جهة التعويض عن الأضرار الفعلية، وتقليل التكاليف الوقائية بشرط أن تتسم بالوضوح والاتزان ومراعاة جانبي الضرر في تحديد التكاليف،[6] وهي محل الدراسة في هذه الرسالة، كما يحقق كذلك الفعالية الحركية للعمليات الاقتصادية بوجود تشريعات تحمي الملكية الفكرية من جهة وتساهم في الإقلال من تكلفة التكنولوجيا المتطورة.[7]

ويمكن القول إن التحليل الاقتصادي يهدف إلى إيجاد قانون يحقق التوجيه الأكثر كفاءة للخدمات والأموال للجهات الأكثر تثمينا لها، كما يقلل التكاليف المتغيرة للعملية الإنتاجية ويساعد الاقتصاد على التكيّف مع متغيرات السوق ويحسن أدائه.

1- Ahmed Silem, et al. "Lexique d'économie, Editions Dalloz", Paris, 2018, 13th edition, p 42, et Thierry Kirat, "Économie et droit: De l'analyse économique du droit à de nouvelles alliances?." *Revue économique* (1998): 1059.

2 - Deffains. *Comment les économistes pensent le droit*, Op. Cit , p. 11.

3 - Richard Posner, "The decline of law as an autonomous discipline: 1962-1987." Harv. L. Rev. 100 (1986):761-767.

4- Coase. Op. Cit. p 13.

5- Pitofsky Robert, "Competition policy in a global economy-today and tomorrow." J. Int'l Econ. L. 2 (1999): 403

6- Deffains, Comment les économistes pensent le droit, Op. Cit. p 9.

7- Robert. Competition policy in a global economy-today and tomorrow, Op. Cit. p. 405.

3. تحليل الآثار الاقتصادية للمسؤولية التقصيرية وفق القواعد العامة

إن كفاءة أي نظام قانوني تتمثل في قدرته على خلق تركيبة معينة للسوق توجِد لدى طرفي المسؤولية دوافعَ ذاتيةً لتحقيق أهدافه، ويتجلى ذلك في قدرة سعر السوق على عكس أهداف القانون دون حصول تشوهات تضر بطرفي المسؤولية، وتضعف قدرتهما على التعامل مع السوق المنافسة.

ذكر منذر قحف في دراسته مجموعة من المعايير التي تحدد على أساسها كفاءة نظام المسؤولية التقصيرية من الناحية الاقتصادية، وسأقتصر في هذه الدراسة على ثلاثة معايير لها الحظ الأوفر في التأثير على المهني والمستهلك، وهي على النحو الآتي:

1.3. قدرة المهني والمستهلك على توقع حجم المسؤولية للإنتاج والخدمات

تحظى العملية الإنتاجية بطبيعتها بمعدلات أخطار مقبولة لدى طرفيها ما داما قادرين على استيعاب هذه المخاطر والحصول على نقطة توازن تمكنهما من توقع الأعباء وامتصاصها وفق قانون السوق، ونظرا لتشعب الطرق المهنية في الإنتاج ودخول الآلات وتزايد الأخطار، فقد أدى إعمال القواعد العامة المعتمدة على الخطأ إلى تباين واضح في التعامل مع المضرورين بسبب اختلاف الأحوال التي يقع فيها الضرر؛ وطريقة وصوله إلى المستهلك بطريق المباشرة أو بتسلسل في العلاقات التعاقدية، وكذلك بسبب طبيعة المنتوجات من حيث تعقيدها وديناميكيتها المتغيرة وعلاقة المهني بالمستهلك العقدية، إلى غير ذلك من الصور غير المتناهية من الاحتمالات التي تنتج عن تطور العمليات الإنتاجية.[1] هذا التباين بلا شك يمثل درجة عالية من عدم اليقين عند المهنيين بسبب عدم وضوح الأساس الذي سيعتمد عليه القضاء في تعامله في حال رُفعت ضدهم دعاوى استهلاكية. ومن جهة أخرى فإن القواعد العامة عاجزة عن تقديم حماية لقطاع كبير من مستهلكي المنتوجات.[2] فهذا التباين ولا شك يشكل مبرراً لإعطاء أطراف العملية الإنتاجية خصوصية تراعى في التشريعات. وهذا ما دفع عددا من الدول لتخصيص قوانين خاصة بمعيوبية المنتوجات والآثار التي قد تترتب عليها، كما هو الحال في الولايات الأمريكية، والتوجيه الأوروبي سنة 1985، وما تبعه من تعديلات في الدول الأوربية، لعل آخرها التعديلات التي حصلت في فرنسا سنة 1998 بإصدار قانون خاص لمعيوبية المنتوجات. إلا إن الدول العربية في أغلبها –إذا ما استثنينا الجزائر ومصر– اتخذت موقفا سلبيا من هذه التعديلات وما تزال تتكل على القواعد العامة الحاكمة للمسؤولية التقصيرية مما يولد اضطرابا في الأحكام القضائية، خصوصا في ظل توسع الأجهزة القضائية في الاجتهاد لمعالجة ما يجدُّ من حوادث، والميل –بطبيعة

1 - شكري سرور، *مسؤولية المنتج عن الأضرار التي تسببها منتجاته الخطيرة*، ط 1. دار الفكر العربي، القاهرة،1983، ص69.

2 - قادة شهيدة، *المسؤولية المدنية للمنتج: دراسة مقارنة*، ط 1 (دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007) ص 132، والمصادر التي نقل عنها.

الحال– لصالح المستهلك على اعتباره الحلقة الأضعف التي تحتاج إلى حماية مما يولد الحيرة لدى عموم المهنيين والمستهلكين على حد سواء، ويجعل البيئة التشريعية غير حاضنة ومشجعة لهم على الاطلاق. ولولا أن أغلب الاقتصادات العربية لا تتسم بالحرية الاقتصادية وفق مؤشر هيريتدرج فاونديشن The Heritage Foundation 2021،[1] وتصنف غالبا غير حرة، لأمكن ملاحظة أثر هذه التشريعات على العمليات الإنتاجية.

إن إعمال القواعد العامة القائمة على أساس الخطأ يورث بطبيعته شعورا بالقلق وعدم اليقين لتردد هذه القواعد واختلافها وتنوع أوجه اعتبارها مما يورث حالة من عدم الاستقرار القضائي الذي لا يمكّن المنتج والمستهلك على السواء من توقع أعباء المساءلة التقصيرية ونتائجها، وتتجلى مظاهر عدم اليقين في:

أ. التفاوت في التعامل مع المضرورين باعتبار الظروف التي يقع فيها الضرر، وصفات المضرورين. فمن حيث القواعد التي تؤسس عليها المسؤولية يظهر هذا التفاوت غير المبرر لمجرد اختلاف الظروف التي قد يقع فيها الضرر وارتباط المضرور مع المنتج بعلاقة تعاقدية أم لا؟[2] بل وحتى في العلاقة القانونية الواحدة قد تختلف المعاملة القانونية بالنظر إلى تعقيد المنتوج واحتوائه على ديناميكية خاصة.[3] وقناعة القضاة بسوء نية المهني أو عدم سوء نيته، مما يورث المهني شعورا من القلق والتشويش حول انطباق معايير المسؤولية عليه أو عدم انطباقها. والحال كذلك بالنسبة للمستهلك كما يرى الأستاذ شكري سرور فهو يحظى بحالة من التشويش وعدم اليقين في قدرته على إثبات خطأ المهني في حال كانت خطورة المنتوجات ذاتية أو لعيب فيها، ويزداد الأمر سوءا إذا كان المستهلك المتضرر لا تربطه بالمهني علاقة تعاقدية مباشرة، وبخاصة أن جل التشريعات العربية عزفت عن تحديد المستهلكين الذين قد يستفيدون من المسؤولية التقصيرية بسبب اعتمادها على القواعد العامة.[4]

ب. اختلاف وتعدد الأسس التي يؤسس عليها القضاء المسؤولية. فبالرغم من تبني التشريعات للخطأ أساسا للمسؤولية إلا إنه بسبب تطور الصناعات وعجز نظرية الخطأ أمام العديد من القضايا

1 - على الرابط https://www.heritage.org/

2 - Jean Francis Overstake, "Responsabilité du fabricant de products dangereux." *Revue Trimestrielle deDroit Civil* 71 (1972): 511.

3 - في هذا الصدد يقول الفقيه (أندريه تونك): " من غير المستساغ اختلاف آليات الحماية بين الحالة التي يرتبط فيها المضرور مباشرة مع المهني وحالة العقود المتسلسلة أو كونه غريب عنه "

André Tunc, "Le spectre de la responsabilité civile." *Revue internationale de droit comparé* 38.4 (1986) : 1163.

4 - سرور، مرجع سابق، ص68

في تعويض المضرورين من جراء عديد الأخطاء المهنية لجأ القانون اللاتيني ومن ورائه القوانين العربية المتأثرة به إلى استحداث صور عديدة للخطأ تتنوع اتجاهاتها فبدلا من الخطأ الذي هو سلوك مباشر للمهني، استحدث مفهوم الخطأ الموضوعي الذي يتبنى التأسيس على وجود عيب في المنتوج دليلا لخطأ المهني، إلى الخطأ المفترض القابل لإثبات العكس، إلى الخطأ المفترض غير قابل لإثبات العكس إلى الخطأ في الحراسة وكل هذه الاتجاهات موجودة في كل التشريعات العربية يمكن تأسيس المسؤولية عليها، ولا يمكن للمهني ولا المستهلك توقعها مسبقا، بل إنه من المتصور جدا اختلافها حتى في قضايا متماثلة الظروف على اعتبار أنها رهينة الاجتهاد القضائي إذا لا توجد تراتُبية تشريعية بينها.[1]

ومما يعقد الأمر أكثر أن التشريعات التي اعتمدت على التشريعات العامة والأحكام المنبثقة عنها تجد تأسيس أحكامها بطبيعته مركبا بين المسؤوليتين العقدية والتقصيرية والتي تتراوح التزاماتها بين بدل العناية وتحقيق الغاية مما يجعلها مصدرا للشك وعدم اليقين وعدم الاستقرار القانوني.[2] إن محصلة هذا الوضع –على رأي سليمان مرقس– هو الشعور بالغموض والتقلب.[3] كما يؤدي إلى تشتت الأحكام المطبقة على المهني، وعدم، وحدة الحلول، وانسجامها.[4] مما ينعكس على قدرة المهني والمستهلك على السواء على التنبؤ بالمسؤولية ويضعهم في حالة من عدم اليقين، إضافة للتعارض هذه الأسس المختلفة لمبدأ المساواة بين الأطراف أمام القضاء، وهو ما دفع كثيرا من القانونين الغربيين للدعوة لتوحيد الأساس التي تنطلق منه المسؤولية مما أنتج التطور في النظم الغربية بدأ من التوجه الأوروبي.[5]

إن حالة عدم الاستقرار واليقين التي يمر بها المهني لا تقتصر أضرارها الاقتصادية في عدم قدرة المهني والمستهلك على تحديد نقطة توازن مناسبة لقانون السوق وتجعله عاجزا عن مسايرة التطور والتحسين في منتوجاته فحسب، بل قد تؤدي إلى تشويه قدرة بعض المهنيين على المنافسة والذي يتضرر منها في أغلب الأحيان صغار المهنيين.

---

1 - نفسه، ص 69، و
Jean Francis Overstake, "Responsabilité du fabricant de products dangereux." *Revue Trimestrielle deDroit Civil* 71 (1972): 511.

2 - شهيدة، مرجع سابق، ص132.

3 - سليمان مرقس، *المسؤولية المدنية في تقنينات البلاد العربية*، ط 1 (دار الكتب القانونية، القاهرة، 1998)، ص194، ص 84.

4 - فتحي عبد الرحيم بركات، *النظرية العامة للحق*، ط 1 (منشأة المعارف، القاهرة، 2001) ص 33.

5- André Tunc, "La méthode du droit civil : analyse des conceptions françaises." *Revue internationale de droit comparé* 27.4 (1975): 817-830.

ولا يقتصر هذا التشويه على المستوى الداخلي للدولة، بل تنعكس آثاره الاقتصادية على التجارة الدولية والتي تقوم أساسا على وحدة الأسس والنظم القانونية الحاكمة، ولأن اختلاف الجزاء للمهني بين دولة وأخرى يؤدي إلى تشويه المنافسة بين المؤسسات الإنتاجية،[1] وهو ما أدركته دول الاتحاد الأوروبي مما دفعها لإصدار التوجه الأوروبي للمنتجات سنة 1985 والذي طالب دول الاتحاد بتعديل قوانينها وفقه خلال ثلاث سنوات من المصادقة عليه، والذي كان آخره القانون الفرنسي للمسؤولية عن المنتجات المعيبة سنة 1998.

وفي الوقت الذي تغير فيه العالم وما صاحبه من تطور بالغ على صعيد الإنتاج والاستهلاك وحجم التبادل التجاري بين الدول حاولت أغلب الدول استحداث نظم قانونية جديدة تواكب هذا التطور نجد أكثر دولنا العربية لا تزال تحكمها قواعد الخطأ التي أصبحت عبئا على المهنيين والمستهلكين على حد سواء.

ورغم الخطوة المعقولة التي قامت بها مصر عام 1998 والجزائر سنة 2005 إلا إن انتقالهم عن القواعد العامة في معاملة المهنيين إلى نظرية الخطر المستحدث، التي تقوم أساسا على تحميل المهنيين أخطار المنتوج وبالتالي إضافة تكاليف ليست لهم بها علاقة إلا وجودها ومصاحبتها لمشروع يجنون منه أرباحا، لا يبدو انتقالا سديدا. فهذه النظرية مطبقة من قبل دول عديدة منها الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وفرنسا بعد صدور القانون الجديد واتباع هذا النظام لم يجعلها أحسن حالا من النظام القائم على الخطأ في قدرة المهنيين على تحميل تبعات مشاريعهم على التكاليف وفق نظام السعر، فظروف عدم اليقين التي كان يعاني منها المهنيون قبل تغير النظام قد زادت بسبب توسع النظام في تحميل المهنيين للمسؤولية فقط لأنهم لديهم مشاريع قادرة على إدرار أرباح أو على أساس أخطار مشاريعهم. وقد أثار اعتماد هذا الأساس في التوجه الأوروبي سنة 1985 امتعاضا كبيرا لدى اتحاد الصناعيين الأوروبيين في أوروبا وساهمت الضغوط التي أبدوها بإجراء تعديلات جوهرية في فقرات التوجه، وبعد صدور قانون المنتجات المعيبة بفرنسا سنة 1998 حولت عدة مشروعات إنتاجية مواقعها من فرنسا إلى دول أخرى أقل صرامة في تطبيق المسؤولية التقصيرية خوفا من الأعباء التي لا يمكن لهم تحملها مع أن فرنسا تعتبر من آخر الدول الأوربية تطبيقا لهذه لنظرية وأقلها صرامة في مساءلة المنتج.[2] وقد أشارت دراسة في الولايات المتحدة الأمريكية لسلوك المنتجين جراء التوسع في تحميلهم المسؤولية على أساس فكرة مخاطر المشروع إلى أن 47% منهم قد سحبوا منتجاتهم من السوق، و39% منهم قرروا عدم إدخال منتج جديد في السوق، و25 % منهم قد ألغوا برنامج الأبحاث لتطوير

1 - شهيدة، مرجع سابق، ص 133.
2 - نفسه، ص 183

منتجاتهم خوفا من التعرض للمساءلة وفق الأساس الجديد المعدل سنة 1987،[1] وهذا ما يؤكد أن اعتماد هذه النظرية في التعويض يؤدي إلى شل الحركة الاقتصادية، وكما يقول: فيليب لو تورنو" Privilégier la sécurité ruine la liberté d'action" تفضيل الأمان يفسد حرية المبادرة الفردية،[2] وإذا كان هذا حال الدول الأوربية فكيف يكون تطبيق مثل هذا الأساس في الدول العربية التي لا تزال فتية في مجال التصنيع، والتي هي في أمس الحاجة إلى توطين المشاريع والاستثمارات في أراضيها.

ومما يثير التساؤلات حول جدوى هذا الانتقال وآثاره الاقتصادية رغم رجوع الدول التي أسست لهذه النظرية كالولايات المتحدة الأمريكية في كثير من الجوانب المتعلقة بمعيوبية المنتوج إلى نظرية الخطأ؛ حيث بادر المعهد الأمريكي للقانون إلى تعديل قانون المسؤولية التقصيرية بإصداره للصيغة الثالثة سنة 1997، والتي خصصت الفصل الثاني منها لمعيوبية المنتوج فقسم عيب المنتوج إلى ثلاثة أقسام؛ عيب التصميم وأسسه على أساس الخطأ، وعيب الإعلام وأساسه كذلك على نظرية الخطأ، وعيب التصنيع وهو وحده الذي حافظ على أساس المخاطر، وهو ما اعتبر في أمريكا بمثابة إعادة انبعاث فكرة الخطأ،[3] وقد أشار منذر قحف في دراسته المقارنة للنظام الأمريكي مع الشريعة إلى حجم الاختلاجات والآثار الاقتصادية الشديدة على جمهور المهنيين جراء الاعتماد على هذا الأساس،[4] ويزاد الأمر صعوبة مع عدم إلزامية التأمين على المهنيين في مصر، ولعل هذا ما يفسر جنوح القضاء في عديد القضايا بعد صدور القانون في مصر إلى القواعد العامة .

ولتضّح الصورة أكثر، فبعد صدور تعديل نظام المسؤولية في الجزائر سنة 2005 ورغم تقديم التسهيلات من قبل الدولة المتمثلة بإنشاء صندوق ضمان القروض للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة سنة 2002،[5] وتشكيل الوكالة الوطنية لتشغيل الشباب والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة سنة 2003،

1 - قحف، اقتصاديات *المسؤولية التقصيرية للمنتج*، مرجع سابق، ص 33.

2- Jean Philippe Confino, "La mise en circulation dans la loi du 19 mai 1998 sur la responsabilité civile des produits défectueux." Gazette du Palais (2001): 8

3 - Geraint Howells, and Mark Mildred, "Is European products liability more protective than the restatement (third) of torts: products liability, *Tenn. L. Rev*. 65 (1997):985, and Jane. Stapleton. "A Personal Evaluation of the Implementation of the EEC Directive (85/374/EEC) on Products Liability." *TORTS LJ 1* (1993): 90.

ومعمر بن طرية، مفهوم معيوبية المنتوج في نظام المسؤولية المدنية للمنتج، دراسة مقارنة، *مجلة كلية القانون الكويتية العالمية*، سنة 6 - ع 2 – (2018): 667 وما بعدها.

4 - قحف، اقتصاديات المسؤولية التقصيرية للمنتج، مرجع سابق، ص 52-58.

5- محمد بلقاسم بهلول، *الجزائر بين الأزمة الاقتصادية والأزمة السياسية*، ط 1 (دار حلب للنشر، الجزائر، بدون سنة) ص 226.

والأمر الرئاسي المتعلق بتحفيز الاستثمارات المحلية والأجنبية سنة 2008 الذي يهدف إلى إنشاء مؤسسات صناعية جديدة وإعادة هيكلة المؤسسات الصناعات السابقة؛[1] رغم هذه الإصلاحات التي كان من المتوقع أنها تحفز المستثمرين والإنتاج الصناعي المحلي والاستثمار الأجنبي تراجع النمو السنوي في الصناعات الحديدية والمعدنية والميكانيكية والإلكترونية والتحويلية من معدل نمو 9% قبل صدور القانون إلى 1.1% حتى سنة 2009، وإن كان تحسن تحسنا طفيفا إلى 2.9 حتى سنة 2015 وفق بيانات الإحصاء المعروضة على موقع الديوان الوطني للإحصاء في الجزائر (ONS)،[2] وهذا يعكس تخوف المهنيين وصغار المستثمرين من المساءلة التقصيرية بسبب عيوب التصنيع والتطور بعد صدور القانون الجديد.

وعلى الصعيد المصري فقد أفادت دراسة جودة عبد الخالق أن مساهمة الشركات الصغيرة والمتوسطة في العمالة والقيمة المضافة لم تتعد نسبتها في المتوسط بين عامي 1983 و1996 نسبة 11% و8%، ولم تتعد نسبتها من إجمالي الإنتاج 0.83% وعزا سبب هذه النسبة المتدنية بعد الدراسة إلى عدة عوامل من بينها ارتفاع تكاليف الإنتاج، وعزا سبب ارتفاع تكاليف الإنتاج إلى ثلاثة عوامل رئيسية منها نظام التأمينات المتبع في مصر،[3] وفي دراسة أخرى أن نسبة اعتماد الشركة الخاصة على العمالة المؤقتة قدر بـ 91.7% وعزت الدراسة ذلك إلى تهرب المنتجين من نظام التأمينات المتبع في مصر.[4] وفي دراسة أخرى بلغت نسبة الاعتماد على العمالة المؤقتة نسبة 61.4% وعزت ذلك لنفس السبب.[5]

يمكن ملاحظة أن هذه الدراسات تمت قبل تعديل نظام المسؤولية في مصر وفق نظرية الخطر المستحدث، ولذلك كان الأثر وفق الدراسات على العمال، على اعتبار أن قانون العمل وحوادثه أسس أيضا على نظرية المخاطر كما هو الحال في أغلب الدول العربية.

1 -نفسه.

2 -مخطار سليم، "دراسة تحليلية لتنافسية القطاع الصناعي في الجزائر مقارنة ببعض الدول العربية"، (رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، 2017) ص 170-198.

3 - جودة عبد الخالق وآخرون، *الصناعة والتصنيع في مصر الواقع والمستقبل حتى عام* 2020، ط 1 (منشورات المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2005) ص 160.

4 - سلوى سليمان، وزينب سليم، ومنال متولي، تمويل الصناعات الصغيرة في مصر، سلسلة منشورات بحثية، مركز *البحوث والدراسات الاقتصادية*، القاهرة، (سبتمبر، 1996): 28.

5 - هالة السعيد، "مجمع الصناعات الصغيرة والمتوسطة بمدينة العاشر من رمضان": تحليل احتياجات مجموعة مستهدفة، *مجلة اتحاد الصناعات المصرية*، ع 4 (أيلول، 1996): 85.

2.3. تكاليف المسؤولية التقصيرية في النظم القانونية

من أهداف نظام المسؤولية تعويض المضرور عن الضرر الذي حل به، إضافة إلى ردع المضر عن تكرار هذا الضرر. ومن البديهي تحقيقا للعدالة أن يكون التعويض عادلا لطرفي المسؤولية ومناسبا للضرر. إلا إنه يمكن ملاحظة ارتفاع تكاليف المسؤولية على المهنيين. وتتنوع مظاهر ارتفاع التكاليف التي قد يتكلفها المهني في ظل التشريعات العربية للمسؤولية، ومن مظاهرها:

أ. توسع المؤسسات التشريعية والقضائية في تحديد دائرة المضرورين في المسؤولية ليشمل طائفة لا تشملهم رابطة سببية مع الضرر ولا إفضاء كالمضرورين بالارتداد، ليشمل أقارب المضرور، ومن يعولهم، يعد عاملا من عوامل ارتفاع تكاليف المسؤولية التي يحاول المنتج توقعها.

ب. تنوع التعويضات التي قد يطالب بها المضرورون جراء المسؤولية إلى ضرر جسدي ومادي ومعنوي وكسب فائت وفرصة ضائعة ترفع مقدار ما يتوقعه المهني من التزامات، وبالتحليل لهذه الأضرار يمكن ملاحظة أن الأضرار الجسدية والمادية تؤثر سلبا على مجموع الثروة الحالية والمتوقعة للمضرور بحيث تزيد المنفعة الحدية لأمواله مما يعني ارتفاع القيمة الحقيقية لما تبقى له من أموال.

أما بقية الأضرار كالضرر المعنوي والكسب الفائت الذي لم ينعقد سببه، والفرصة الضائعة فهي أضرار لا تؤثر على ثروة المضرور ولا تزيد المنفعة الحدية لأمواله لتوفُّر بدائل لها مساوية، بل قد تكون تكاليفها أقل، وبالتالي تنقص المنفعة الحدية لأمواله وبالتالي فإن وضع قيمة مالية لها لا يكون مناسبا في أغلب الأحيان

والملاحظ في تطبيقات المحاكم العربية جميعا أن هذه الأضرار تستحوذ على الحصة الأكبر من التعويض بحيث تضاعف التعويض المكافئ للضرر إلى أضعاف تكلفة الضرر الواقع فعلا على المضرور.[1]

ت. توسع القوانين في مفهوم الضرر بإضافة مفهوم جديد وهو معيوبية المنتج. نتيجة لتطور الصناعات وحصول العديد من الكوارث المهنية التي حصدت في ضحاياها عددا غير قليل من المستهلكين،[2]

1 - ومن الأمثلة التي يمكن أن نستشهد بها في هذا الصدد ما قضى به ديوان المظالم في السعودية بالتعويض جراء ضرر مادي قدرته المحكمة 4250 ريال، وقضت له بتعويض عن ضرر معنوي 8500 ريال سعودي قرار الديوان رقم (96/ت/1427/1ه) مجموعة الأحكام والمبادئ، المجلد 4، مرجع سابق، ص 1883، وفي الإمارات قضت محكمة أبوظبي بالتعويض لمواطن ضد شركة مقاولة بمبلغ 5000 درهم، منها 950 درهم تعويض عن ضرر مادي و4100 تعويض عن ضرر معنوي يتمثل في الخوف الذي تعرض له من الحادث، حيثيات القضية في موقع المحكمة:
https://www.government.ae/ar-AE/information-and
-services/justice-safety-and-the-law/litigation-procedures/civil-cases-

2 - شهد العالم عدة كوارث ساهمت في توسيع قضايا المسؤولية سواء على الصعيد التشريعي أو القضائي في مختلف دول العالم منها على سبيل المثال: قضية ما يعرف" Talc de Morhange " التي خلفت أكثر من مئتي مصاب في فرنسا،

ومع تخلف نظم المسؤولية اللاتينية والعربية من ورائها وإصرارها على الاعتماد على فكرة الخطأ المجرد في المسؤولية واتساع الصناعات لجأت هذه القوانين للنموذج الموجود وهو النموذج الأنجلو أمريكي لاستحداث وسائل يمكن معها تعويض المضرورين عن الأضرار المهنية التي عجزت عنها نظرية الخطأ، وهو ما يعرف بنظام المسؤولية عن المنتجات المعيبة "Product Liability Law"، والذي عُرف في النظام اللاتيني "La responsabilité du faitdes produits " والذي لا يقوم أساسا على حصول ضرر على المستهلك من جراء استعماله للمنتوج، بل يقوم على تحقيق الرغبة المعقولة للمستهلكين في الأمان كمعيار لمعيوبيه المنتوج Consumer reasonable expectation"،[1] وبغض النظر عما يدور في كتب القانون المقارن من مناقشات حول مفهوم هذه الرغبة هل هو ذاتي أو موضوعي إلا إنه من المسلم به أن تقدير هذه الرغبة هي للقاضي بشكل ارتجالي، ولا وجود لمعايير دقيقة وملموسة يعتمد عليها مما ينتج عنها كما يؤكد ذلك J. S. Borghetti اختلالات غير مبررة في تقدير معيوبية المنتوجات نتيجة الاختلافات الاقتصادية والاجتماعية للمستهلكين والمهنيين على حد سواء.[2] وهذا سيؤدي بالضرورة إلى تبرير سلوك المستهلكين على الدوام والتمادي في مساءلة المهنيين على الدوام وبصفة تلقائية، مما يعني ارتفاع تكاليف المسؤولية عليهم دون النظر إلى الهدف الذي يرمي إليه في الأساس نظام المسؤولية.[3]

يضاف إلى ذلك ما يبذله المهنيون من مصاريف إضافية للتوقي عن نظام المسؤولية رغم أن هذه الإجراءات لا تسهم في كثير من الأحيان في تحسين المنتوج ولا الرفع من كفاءته، وتمثل أعباءً إضافية تزيد من كلفته الاقتصادية، وقد تكون لها آثار سيئة على سلوك المستهلك.[4]

إن مشكلة ارتفاع التكاليف وفق النظام السائد للمسؤولية بنوعيه في الدول العربية هو بطبيعته نوع من التأمين الإجباري للسلع والخدمات يؤثر على المستهلك بدرجة لا تقل عن المهني، لأن المهني يُضمِّن بطبيعته هذه التكاليف في السعر ما يعني مشاركة المستهلك في دفع هذه التكاليف بنوعيها –تكاليف

وقضية دواء" Distilbène " بأمريكا في ثمانينات القرن الماضي، وقضايا الدم الموبوء في فرنسا أواسط الثمانينات وحوادث جنون البقر وغيرها من الحوادث.

1- قادة شهيدة، التحليل الاقتصادي وتأثيره على القوانين اللاتينية على صعيد المنافسة والاستهلاك فرنسا وبعض الدول العربية نموذجا، *ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الرابع القانون والتحولات الاجتماعية والاقتصادية*، كلية القانون، جامعة السلطان قابوس، (سلطنة عمان، 2018): 2.

2 - ظافر جبارة، المفهوم الحديث لعيب المنتوج في ظل الأنظمة الحاكمة لمسؤولية المنتج، *مجلة القانون للدراسات القانونية*، جامعة ذي قار، العراق، ع8، (2013): 21-22.

3- Jean Sébastien Borghetti, *La responsabilité du fait des produits: étude de droit comparé*. Diss. Paris 1, 2004, p. 438.

4 - على سبيل المثال لوحظ ارتفاع حالات ابتلاع الأطفال للدواء بعد إلزام أغلب الدول المنتجين بوضع أمان إضافي على عبوات الدواء لحماية الأطفال من الوصول إليه، قحف، *اقتصاديات المسؤولية التقصيرية للمنتج*، مرجع سابق، ص 43.

التوقي والتعويضات– من خلال نظام السعر، إضافة لما يتحمله من مصاريف باهضه وتكاليف للمرافعات وإجراءات التقاضي التي يدفعها المضرور قبل رفع الدعوى في أغلب الدول العربية إذ تصل في الإمارات إلى نحو 5% من قيمة التعويض وقد تصل إلى 30 ألف درهم إماراتي،[1] وفي مصر بلغت تكاليف التقاضي 9% من قيمة التعويض المطالب به في المحكمة في التعويضات المعلومة القيمة و10% التعويض في التعويضات المجهولة القيمة وفق آخر تعديل في قانون الرسوم،[2] وفي الأردن 3% من قيمة التعويض،[3] وقد تصل في سوريا إلى 20% من التعويض المطالب به.[4]

إضافة إلى ذلك؛ فإن ارتفاع تكاليف المسؤولية مع زيادة عدد المطلبين سيثقل ولا شك كاهل المهنيين، ويصبح الأمر وكأن بعض المهنيين يصبح مسؤولا عن أضرار لا علاقة لها بمنتوجه لا لشيء إلا لأنه يشترك مع غيره في إنتاج نفس السلعة التي يحتمل أنها سببت الضرر، ويضر كذلك شركات التأمين، التي ستضطر إلى زيادات متكررة لأقساط التأمين على جمهور المستأمنين، مما سيؤدي إلى رفع التكاليف المعيشية، التي لو انعكست على الأجور فإنه قد يكون لها أثر تضخمي ربما يكون خطيرا على الاقتصاد في هذه الدول.[5]

إضافة إلى التفاوت الكبير بين المستهلكين بفهم وتقدير أخطار المنتوجات، وحرصهم على التوقي منها، ومقدار تحملهم إياها، ومع ذلك فملزمون بدفع هذا التأمين وفق نطاق سعر المنتجات والخدمات التي يشترونها، الأمر الذي يجعل أي نظام تأميني يعطيهم الحق في اختيار المخاطر التي يؤمنون عليها أكثر كفاءة في تحقيق تعويض المضرور من هذا التأمين الإجباري المرتفع التكاليف.[6]

ثم إنه ثمت جانب آخر من التكاليف الخفية التي يدفعها المجتمع بأكمله لتغطية تكاليف ونفقات المحاكم والتي تزيد طرديا مع زيادة عدد المطالبات من خلال نظام الضرائب مما يعني أن هذه الموارد تحولت إلى عمليات توزيع بحثه لا تزيد الإنتاج.

---

1 - قانون الإجراءات القضائية الإماراتي، رقم 13، تعديل 2016، (منشورات دائرة القضاء ووزارة العدل، 2017، ط 1) ص 43.

2-القانون (2009/126) للإجراءات والرسوم القضائية:
http://www.jp.gov.eg/adjc/1.aspx

3 - القانون منشور على موقع مجلس القضاء الأردني: http://www.jc.jo/node/6887

4- القانون رقم (2010/27) على موقع مجلس الشعب السوري:
&http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php?node=201&nid=4567&ref=tree

5-André Tunc, "Le gouvernement des sociétés anonymes. Le mouvement de réforme aux États-Unis et au Royaume Uni." *Revue internationale de droit comparé* 46.1 (1994) : 59-72.

6 - قحف، مرجع سابق، ص 44، والمصادر التي نقل عنها.

3.3. التوازن بين المهني والمستهلك في تشريعات المسؤولية التقصيرية

تنطلق التشريعات العربية متأثرة بالتشريع الفرنسي من أساس أن المضرور هو الطرف الأضعف بين طرفي المسؤولية، ولذلك تحاول التشديد تجاه الطرف الآخر وهو المهني بطبيعة الحال رغبة منها في إحداث توازن بين المضر والمضرور. إلا إن هذا الميل إلى الطرف الأضعف ولّد إخلالا بالتزامات المضرور، مما قوّى احتمال قبول مطالبته بالتعويض، ومن مظاهر هذا الميل:

أ.تقليص وسائل دفع المسؤولية. فحتى الوسائل التقليدية مثل؛ القوة القاهرة،[1] وخطأ المضرور لا تبدو في كثير من الأحيان مبرراً لرفع المسؤولية عن المهني، انطلاقا من الاتجاه العام نحو توسيع مجال مسؤولية المهني إلى أبعد الحدود،[2] فإصابة أحد المستهلكين لدواء بحساسية دون أن تعرف الإصابة في غيره من قبل قد لا يكون مبرراً لرفع المسؤولية عن المهني.[3]

هذا الاتجاه العام نحو توسيع المسؤولية ولد تشكيكا في أهمية وجود القوة القاهرة كوسيلة من وسائل دفع المسؤولية النسبة للمهني انطلاقا مما يشوبها من غموض، وعدم يقين في اعتبارها من قبل القضاة. والحال كذلك في خطأ المضرور ؛ فالتشريعات العربية تباينت في اعتباره؛ فمن التشريعات من اشترطت خطأ المضرور للاستدلال به لدفع المسؤولية، وهو ما أخذ به القانون المصري وبقية التشريعات ذات التبعية اللاتينية، ومن التشريعات ما أخذ بمجرد فعل المضر ولو كان من غير خطأ بشرط إفضائه للضرر بشكل محقق، وهو ما أخذت به التشريعات الإسلامية تبعا للأساس الموضوعي الذي انطلقت منه الشريعة،[4] وبين هذين الاعتبارين المتَّبعين في النظم العربية –خطأ المضرور وإفضاء الفعل إلى الضرر– تبقى صور غير متناهية تناقشها المحاكم في أوروبا لا يمكن ردها إلى هذين الاعتبارين لاسيما مع ظهور مفهوم معيوبية المنتوج في النظم الغربية، وعدم وضوح الرابطة السببية بين الأضرار والعيوب في المنتوجات ذات التقنية العالية، وفشل المضرور غالبا في إثبات هذه العلاقة.[5]

---

1 - عرفت القوة القاهرة بأنها: " أمر غير متوقع الحصول، ولا يمكن دفعه، يؤدي إلى حصول الضرر" وهي تنقسم إلى قسمين؛ استحالة دفع الضرر من قبل المضر، أو كون الضرر خارجيا عنه، محمد الكشبور، *نظام التعاقد ونظريتا القوة القاهرة والظروف الطارئة: دراسة مقارنة*، ط 1 (مطبعة النجاح الجديدة، القاهرة، ط1، بدون تأريخ)، ص 25

2 - شهيدة، مرجع سابق، ص 285.

3 - سرور، مرجع سابق، ص 90.

4 - محمد عبد الغفور العماوي، "مدى مساهمة المضرور في إحداث الضرر وأثره على تقدير التعويض" *مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون*، الجامعة الأردنية، عمان، ع 2، مجلد 40، (2013): 46.

5 - أحمد المجالي، مرجع سابق، ص 252.

ثم إن اعتبار مقدار الخطأ أو مدى تأثير مساهمة المضرور في إحداث الضرر خاضعان لاجتهاد القاضي في كل هذه النظم، بما فيها الإسلامية وهو الذي يميل بالطبع لصالح المضرور بصفته الطرف الضعف في العملية الانتاجية. وفي هذا الصدد ترى بعض الاجتهادات القانونية أن مقدار الخطأ أو الفعل الضار يجب أن يوصف بالجسامة أو الفداحة ليكون محل اعتبار من القضاة، ويمثلون له بشرب المريض لعشر قطرات بدل قطرتين في الأدوية الخطرة،[1] أما ما دون ذلك فلا يمكن أن يؤثر على مسؤولية المهني تجاه المستهلك، وترى اجتهادات أخرى أن خطأ المضرور لا يمكن اعتباره إلا إذا كان بمنزلة القوة القاهرة، ولا يخفى ما في هذه الاجتهادات من مجافاة لأساس التوازن بين المهني والمستهلك، فمؤدى هذه الاجتهادات هو انتفاع المستهلك بالمنتوج دون أن يتحمل أيّا من مخاطره حتى لو كان يعلمها، أو تساهله في أخذ قواعد الحيطة ودليل الاستعمال الموجود على المنتوج، وهذا بلا شك يؤدي إلى شعور المهني بحالة عدم اليقين،[2] بل قد يدفعه إلى عدم المبادرة إلى التطوير والمخاطرة مخافة ارتفاع حجم المطالبات.

ب. ضعف الآليات الجماعية للتعويض. رغم أن التأمين على المسؤولية المهنية يحقق التوازن المناسب بين ملاءة المهنيين المالية لتعويض الضحايا، ومساعدة المهنيين على استمرار نشاطهم في مشروعاتهم الإنتاجية عبر تقنية تقوم بتوزيع أعباء الأضرار بدلا من تركيزها على مسؤول واحد، والتخفيف من درجة عدم اليقين التي يتعرضون لها مما قد يسبب الانهيار في ظل ميل التشريعات والقضاة عملياً لصالح المستهلكين على اعتبار إنهم الطرف الضعيف.[3] ومع هذه المبررات وتسارع الدول الغربية في الاتجاه نحو إلزامية التامين من المسؤولية، لا تزال الدول العربية وتأثراً مرة أخرى بالتشريع الفرنسي تجنح عن هذا الخيار، وتستمسك بعدم إلزامية التأمين عن المسؤولية، باستثناء دولة الجزائر بعد التعديل الأخير، فإنها حسمت أمر هذا التأمين وألزمت الشركات المنتجة بالتأمين من المسؤولية.

وبغض النظر عن الحجج والمبررات التي سيقت لتبرير هذا الجنوح، فإن الدعوة إلى إلزامية التأمين من المسؤولية تعد أمرا مطلوباً وبشدةٍ إن أرادت الدول العربية النهوض بالقطاع الإنتاجي وزرع حالة من الاستقرار تمكن المهني العربي من الاستمرار في التطوير، والمبادرة إلى المخاطرة المحسوبة، ليساهم في التنمية المنشودة، وبغير ذلك سيترك الأمر لتقدير المؤسسات الإنتاجية وتقديرها للظروف التي تتعرض لها، التي في غالب الأحيان تصطدم بكوارث لا يمكن تداركها.

1 - سرور، مرجع سابق، ص 88، وعبد القادر الحاج، مرجع سابق، ص 291.
2 - شهيدة، مرجع سابق، ص 287.
3 - Tunc. "La méthode du droit civil : analyse des conceptions françaises, Op.cit. p. 817-830

ورغم تسليمنا بمبدأ تعويض المضرور وجبر ضرره، مهما كان الأمر ومهما كانت الظروف، فإن هذا المبدأ يجب ألا يتحمله المهني وحده، بل لا بد من تكاتف أطراف العملية الإنتاجية لجبر كل الأضرار؛ المهني، والمستهلك والدولة الراعية وفق آليات محددة توزع الالتزامات وتحقق التوازن.

4. الخاتمة والنتائج

درست هذا الورقة الآثار الاقتصادية لتشريعات المسؤولية التقصيرية في الدول العربية، واتبعت المنهج الوصفي في هذه الدراسة، وذلك بغية البحث عن الأثر الاقتصادي للقاعدة القانونية على سلوك المتعاملين، ومقدار كلفة تطبيقها عليهم، للوصول لبيان قدرة القاعدة القانونية على تحقق أهدافها بأقل التكاليف، مع ضمان الامتثال الأكبر لجمهور المتعاملين، وخلصت الورقة إلى النتائج الآتية:

1. نظام المسؤولية في الدول العربية لا يحظى فيه المهني والمستهلك على حد سواء بمقدار كاف من اليقين، ولا تقتصر أضرارها الاقتصادية في عدم قدرة المهني والمستهلك على تحديد نقطة التوازن المناسبة لقانون السوق، وتجعله عاجزا عن مسايرة التطور والتحسين من منتوجاته فحسب، بل قد تؤدي إلى تشويه قدرة بعض المهنيين على المنافسة، والذي يتضرر منها في أغلب الأحيان صغار المهنيين بالمقام الأول.
2. بالنسبة لتكاليف المسؤولية التقصيرية فإن توسع المؤسسات التشريعية والقضائية في تحديد دائرة المضرورين يمكن أن يؤدي إلى ارتفاع تكاليف المسؤولية على المهنيين في الدول العربية جميعا.
3. ارتفاع ما يبذله المهنيون من مصاريف إضافية للتوقي عن نظام المسؤولية، رغم أن هذه الإجراءات لا تسهم في كثير من الأحيان في تحسين المنتوج، ولا الرفع من كفاءته، وتمثل أعباء إضافية تزيد من الكلفة الاقتصادية لعملية الإنتاج.
4. تؤثر هذه التكاليف على المستهلك بدرجة لا تقل عن المهني، لأن المهني بطبيعته يضمّن هذه التكاليف في السعر، ما يعني مشاركة المستهلك في دفع هذه التكاليف بنوعيها تكاليف التوقي والتعويضات من خلال نظام السعر، إضافة لما يتحمله من مصاريف باهضه من خلال المرافعات، وإجراءات التقاضي في الدول التي تبنت النظام الشخصي في تحديد المسؤول التي يدفعها المضرور قبل رفع الدعوى في أغلب الدول العربية.
5. المعطيات السابقة جميعا مع تقليص وسائل دفع المسؤولية في النظم العربية، وعدم وجود آليات جماعية للتعويض بشكل دائم، أنتجت عدم وجود توازن في نظام المسؤولية في الدول العربية جميعا.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

1. **بركات**. فتحي عبد الرحيم، *النظرية العامة للحق*، ط 1 منشأة المعارف، القاهرة، 2001.
2. **بن طرية**. معمر مفهوم معيوبية المنتوج في نظام المسؤولية المدنية للمنتج، دراسة مقارنة، *مجلة كلية القانون الكويتية العالمية*، سنة 6 – ع 2 – (2018).
3. **بهلول**، محمد بلقاسم، الجزائر بين الأزمة الاقتصادية والأزمة السياسية، ط 1 (دار حلب للنشر، الجزائر، بدون سنة).
4. **جبارة**. ظافر، المفهوم الحديث لعيب المنتوج في ظل الأنظمة الحاكمة لمسؤولية المنتج، مجلة القانون للدراسات القانونية، *جامعة ذي قار*، العراق، ع8، (2013): 21–22.
5. **جودة**. عبد الخالق، وآخرون، *الصناعة والتصنيع في مصر الواقع والمستقبل حتى عام 2020*، ط 1 منشورات المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2005.
6. **الخطيب**، محمد عرفات، "التحليل الاقتصادي لنظرية العقد من منظور قانوني"، *مجلة كلية القانون الكويتية العالمية*، عدد 1، (2019).
7. **الزرقا**. مصطفى أحمد، *الفعل الضار وضمانه*، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.
8. **الزميع**. فهد، التحليل الاقتصادي للقانون، بين التجريد النظري والتطبيق العملي، دراسة على نظرية الملكية، *مجلة كلية الحقوق*، المجلس العلمي للنشر، جامعة الكويت، عدد 2، (2012).
9. **سرور**. شكري، *مسؤولية المنتج عن الأضرار التي تسببها منتجاته الخطيرة*، ط 1. دار الفكر العربي، القاهرة،1983.
10. **السعيد**. هالة، "مجمع الصناعات الصغيرة والمتوسطة بمدينة العاشر من رمضان": تحليل احتياجات مجموعة مستهدفة، مجلة اتحاد الصناعات المصرية، ع 4 (أيلول، 1996): 85.
11. **سليمان**. سلوى، وآخرون. تمويل الصناعات الصغيرة في مصر، سلسلة منشورات بحثية، مركز *البحوث والدراسات الاقتصادية*، القاهرة، (سبتمبر، 1996).
12. **السنهوري**. عبد الرازق، *الوسيط شرح القانون المدني، نظرية الالتزام*، ط 1 دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
13. **شهيدة**. قادة، *المسؤولية المدنية للمنتج: دراسة مقارنة*، ط 1 دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007.
14. **شهيدة**، قادة، التحليل الاقتصادي وتأثيره على القوانين اللاتينية على صعيد المنافسة والاستهلاك فرنسا وبعض الدول العربية نموذجا، ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الرابع القانون والتحولات الاجتماعية والاقتصادية، كلية القانون، جامعة السلطان قابوس، (سلطنة عمان، 2018).

15. **العماوي**. محمد عبد الغفور، "مدى مساهمة المضرور في إحداث الضرر وأثره على تقدير التعويض" *مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون*، الجامعة الأردنية، عمان، ع 2، مجلد 40، (2013).
16. **قحف**. منذر، اقتصاديات *المسؤولية التقصيرية للمنتج*، منشورات البنك الإسلامي للتنمية، بحث رقم، 36،1995.
17. **الكشبو**. محمد، *نظام التعاقد ونظريتا القوة القاهرة والظروف الطارئة: دراسة مقارنة*، ط 1 مطبعة النجاح الجديدة، القاهرة، ط1، بدون تأريخ.
18. **مخطار**. سليم، *"دراسة تحليلية لتنافسية القطاع الصناعي في الجزائر مقارنة ببعض الدول العربية"*، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، 2017.
19. **مرقس**، سليمان، *المسؤولية المدنية في تقنينات البلاد العربية*، ط 1 (دار الكتب القانونية، القاهرة، 1998)، ص194، ص 84.
20. **منصور**. أمجد محمد، *النظرية العامة للالتزامات*، ط 1 دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003.
21. **الهاجري**. مشاعل، "الدراسات البينية وأثرها في الاتصال المعرفي بين العلوم": دراسة في حقل القانون، *مجلة كلية الحقوق*، المجلس العلمي للنشر، *جامعة الكويت*، عدد3، (2007).

Second: Foreign references:

1. **Borghetti. Jean**-Sébastien, *La Responsabilité Du Fait Des Produits: Etude De Droit Comparé*. Diss. Paris 1, 2004.
2. **Coase. Ronald H**, "*L'entreprise, Le Marché Et Le Droit*, Éditions Organization" (Paris, 2005).
3. **Confino. Jean. Philippe,** "La Mise En Circulation Dans La Loi Du 19 Mai 1998 Sur La Responsabilité Civile Des Produits Défectueux." *Gazette Du Palais* (2001).
4. **Deffains. Bruno**, "Le Défi De L'analyse Economique Du Droit: Le Point De Vue De L'économiste." *Petitis Affiches. Le Quotidien Juridique. Analyse Économique Du Droit: Quelques Points d'Accroche* 99 (2005).
5. **Deffains. Bruno**, And Ferey Samuel, *Agir Et Juger : Comment Les Economistes Pensent Le Droit*. Éditions Panthéon-Assas, 2010.
6. **Eger. Thomas,** *Economic Analysis Of Law In India: Theory And Application*. Oxford University Press, USA, 2010.

7. =======. Michael G. Faure, And Naigen Zhang, Eds. *Economic Analysis Of Law In China*. Edward Elgar Publishing, 2007.
8. **François**. **Jean**, Niort, "Droit, Economie Et Libéralisme Dans L'esprit Du Code Napoléon." *Archives De Philosophie Du Droit* 37 (1992).
9. **Frydman**. **Benoît,** T. Andreani, And M. Rosen. *Le Calcul Rationnel Des Droits Sur Le Marché De La Justice: L'école De L'analyse Economique Du Droit*. L'Harmattan, 1997.
10. **Howells**. **Geraint G**, And Mark Mildred. "Is European Products Liability More Protective Than The Restatement (Third) Of Torts: Products Liability." *Tenn. L. Rev*. 65 (1997).
11. **Linotte**. **Didier**, And Raphaël Romi. *Droit Public Economique*. Vol. 6. Litec, 2006.
12. Linotte, Didier, And Raphaël Romi. *Droit Public Economique*. Vol. 6. Litec, 2006.
13. **Mackaay**. **Ejan**, "La Règle Juridique Observée Par Le Prisme De L'économiste: Une Histoire Stylisée Du Mouvement De L'analyse Economique Du Droit." *Revue International De Droit Economique* 1 (1986): 43-88.
14. **Mackaay**. **Ejan**, Et Al. *Analyse Economique Du Droit*. Vol. 2. Paris: Dalloz, 2008.
15. **Mathis**. **Klaus**, Ed. *Law And Economics In Europe: Foundations And Applications*. Vol. 1. Springer Science & Business Media, 2013.
16. Ogus, Anthony I, And Michael G. Faure. "*Economie Du Droit: Le Cas Français*." (2003).
17. **Overstake**. **Jean-Francis**, "Responsabilité Du Fabricant De Products Dangereux." *Revue Trimestrielle Dedroit Civil* 71 (1972).
18. **Portuese**. **Aurelien**, Orla Gough, And Joseph Tanega. "The Principle Of Legal Certainty As A Principle Of Economic Efficiency." *European Journal Of Law And Economics* 44.1 (2017).
19. **Posner**. **Richard A**, "The Decline Of Law As An Autonomous Discipline: 1962-1987." *Harv. L. Rev.* 100 (1986).

20. ***Ramseyer, J. Mark***. "Law & Economics In Japan." *Harvard Law And Economics Discussion Paper* 686 (2010).
21. **Robert. Pitofsky**, "Competition Policy In A Global Economy-Today And Tomorrow." J. Int'l Econ. L. 2 (1999).
22. **Silem. Ahmed**, Et Al, "Lexique D'économie, Editions Dalloz", Paris, 2018, 13th Edition.
23. **Stapleton. Jane,** "A Personal Evaluation Of The Implementation Of The EEC Directive (85/374/EEC) On Products Liability." *TORTS LJ 1* (1993).
24. **Stapleton. Jane,** "A Personal Evaluation Of The Implementation Of The EEC Directive (85/374/EEC) On Products Liability." *TORTS LJ 1* (1993).
25. **Tunc, André**. "Le Gouvernement Des Sociétés Anonymes. Le Mouvement De Réforme Aux États-Unis Et Au Royaume Uni." *Revue Internationale De Droit Comparé* 46.1 (1994) : 59-72.
26. =======. "Le Spectre De La Responsabilité Civile." *Revue Internationale De Droit Comparé* 38.4 (1986).
27. =======. "La Méthode Du Droit Civil : Analyse Des Conceptions Françaises." *Revue Internationale De Droit Comparé* 27.4 (1975).

جائحة كورونا وانعكاساتها على بعض المتغيرات الاقتصادية الدولية 2020

أ. أمحمد مفتاح الغطاس – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية– جامعة بني وليد

الملخص :

تهدف هذه الدراسة بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي إلى تسليط الضوء على تاريخ الأوبئة الكبرى التي عرفتها البشرية والتعريف بجائحة كورونا، وكذلك إبراز أهم التداعيات الاقتصادية لأزمة فيروس كورونا المستجد على الصعيد العالمي.

و قد توصلت هذه الدراسة إلى أن الأزمة الصحية لفيروس كورونا تحول عبر عدة قنوات إلى أزمة اقتصادية، فبالرغم من أن آثار الجائحة لا تزال غير واضحة بشكل كبير، تسببت في تذبذب حركة التجارة العالمية، كما أدت إجراءات الوقاية المعتمدة من طرف معظم الدول إلى تقييد حركة النقل والسفر ما تسبب في خسائر معتبرة في قطاع النقل والسياحة وقد شهدت الأسواق المالية كذلك اضطرابات حادة بسبب حالة عدم اليقين التي تشوب آفاق الاقتصاد العالمي.

المقدمة :

يشهد العالم تفشيا واسعا لوباء خطير بداية من نهاية سنة 2019 يسببه فيروس كورونا المستجد، كان ينظر إليه عند بداية ظهوره على أنه مشكلة داخلية بحتة في الصين، حيث ساد الاعتقاد لدى حكومات الدول الأخرى أنه يمكن احتواءه والسيطرة عليه في المنطقة على غرار أنماط الأوبئة التي انتشرت في فترات سابقة كالسارس مثلاً ، لكن انتشار كوفيد 19 بهذه السرعة إلى مناطق أخرى من العالم بين خطورة هذا الوباء الذي تعتبره منظمة الصحة العالمية وباء عالمياً، ومع تزايد انتشاره تحول الوباء إلى جائحة تعرف باسم جائحة كوفيد 19 ، الذي تسبب في فقدان عدد هائل من الأرواح البشرية وكبد الشركات خسائر ضخمة، كما أدت إلى خسارة ملايين الأشخاص لوظائفهم، مما جعل صناع القرار في العالم يواجهون خيارا صعبا، فمن مصلحة الاقتصاد يتطلب رفع القيود عليه ولو تدريجيا لوقف التدهور الاقتصادي والذي تجسد في ضياع سنوات عديدة من العمل على تحقيق التنمية والرفاهية، بينما صحة المواطنين والتي هي الأولوية القصوى كون الإنسان هو هدف التنمية وأداتها يقتضي فرض إجراءات وقيود على مختلف النشاطات للحد من انتشار الفيروس.

إشكالية الدراسة :

إن جائحة كوفيد19 من أعنف الأزمات التي عصفت بالاقتصاد العالمي كونها أزمة صحية ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية لها تبعات على مختلف صعد الحياة، حيث سببت في تعطيل الحياة من خلال إغلاق واسع النطاق على المستوى العالمي ، ومن هنا يمكن طرح الإشكالية التالية:

ما هي أهم تداعيات جائحة فيروس كورونا المستجد على الاقتصاد العالمي ؟

أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء لمعرفة الأزمة التي يمر بها العالم وما سببته في تعطيل لمناحي الحياة الاقتصادية بسبب حالة الطوارئ وتفشي جائحة فيروس كورونا من طرف منظمة الصحة العالمية ومختلف حكومات الدول، بالإضافة إلى مختلف المنظمات العالمية التي تهتم بالاقتصاد والتجارة والسياحة وغيرها من القطاعات حيث شكلت أزمة تتطلب الدراسة من حيث تداعياتها التي تجاوزت الآثار الصحية المباشرة للفيروس لتمس مختلف القطاعات الاقتصادية.

منهج الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لتسليط الضوء على تاريخ الأوبئة الكبرى التي عرفتها البشرية والتعريف بجائحة كورونا، وكذا إبراز أهم التداعيات الاقتصادية لأزمة فيروس كورونا المستجد على الصعيد العالمي.

أدوات الدراسة:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على بعض تقارير المنظمات والهيئات الدولية مثل صندوق النقد الدولي، منظمة الصحة العالمية ومنظمة التجارة العالمية للحصول على الإحصائيات الحديثة والموثوقة، بالإضافة إلى الاستعانة ببعض المقالات العلمية ومواقع الأنترنت و مراكز بحوث متخصصة في الميدان الاقتصادي.

أهداف الدراسة:

يهدف البحث في إطار المنهج الوصفي التحليلي إلى التعريف بجائحة كوفيد –19 التي تسببت في دخول العالم في أزمة عميقة، والوقوف على أهم تداعيات هذه الأزمة على الاقتصاد العالمي بالاستناد إلى بعض الإحصائيات المتاحة حتى لحظة إعداد الدراسة، ولغرض تحقيق أهداف البحث تم تقسيم هذا الأخير إلى محورين؛ تضمن المحور الأول لمحة عامة حول جائحة فيروس كورونا المستجد، وتناول المحور الثاني تداعيات هذه الأزمة على الاقتصاد العالمي.

المبحث الأول : جائحة فيروس كورونا

تمثل الجوائح تهديدا للبشرية على مر التاريخ؛ فلقد تسببت العديد من الأمراض والأوبئة في أزمات صحية خلفت فقدان عدد كبير من الأرواح البشرية، وامتدت آثارها إلى عدة أبعاد اقتصادية واجتماعية، وتعتبر جائحة فيروس كورونا التي يشهدها العالم حاليا من أعنف الأزمات التي أدخلت العالم في ركود حاد.

المطلب الأول : التمييز بين تفشي الأمراض والوباء والجائحة

قبل البدء في التطرق إلى جائحة كورونا لابد من التمييز بين بعض المصطلحات ذات العلاقة بالأمراض الوبائية والجوائح.

أولاً : مفهوم تفشي المرض

يُعرف تفشي بأنه زيادة أعداد المصابين بمرض معين في منطقة جغرافية محددة أو مجتمع معين عن العدد المتوقع، وقد تصنف حالة مرضية واحدة فقط أو عدد قليل من الحالات " تفشي " في حال حدثت في مجتمع يتوقع غياب المرض فيه نهائيا، أو في مجتمع غاب عنه المرض مدة طويلة، وقد يظهر التفشي في عدة مجتمعات على نحو متزامن [1].

ثانياً : تعريف الوباء

الوباء عبارة عن زيادة مفاجئة وسريعة في عدد حالات المرض على نحو أعلى من المتوقع في مجتمع معين كما هو الحال مع الفاشية، لكنه يمتد على رقعة جغرافية أوسع ، وعند إسقاط التعريف على الأزمة الصحية التي نعيشها حاليا يتبين لنا أنه عندما بدأت نتائج فحوصات أشخاص من خارج **مدينة ووهان** تظهر إيجابية للإصابة بعدوى فيروس كورونا الجديد، تأكد علماء الأوبئة أن المرض المتفشي ينتشر وهي علامة محتملة على أن جهود الاحتواء لم تكن كافية أو جاءت متأخرة للغاية، لم يكن هذا غير متوقع؛ نظرا لعدم توفر علاج أو لقاح بعد، لكن حالات انتشار المرض في جميع أنحاء الصين تعني أن المرض المتفشي في ووهان قد تطور إلى وباء.

ثالثاً :تعريف الجائحة

تعبر الجائحة عن إصابة عدد كبير من الأشخاص في فترة معينة ولكن في منطقة جغرافية واسعة أو جميع أنحاء العالم، والجائحة هي أعلى مستوى من الحالات الصحية العالمية الطارئة، وتدل على الأمراض المتفشية على نطاق واسع وتؤثر على العديد من العالم .

(1) .عيسى حنان ملكاوي، جائحة كورونا كوفيد 19 وتداعياتها على أهداف التنمية المستدامة 2030 .الأردن، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. يوليو 2020 ، ص 7 .

رابعاً: مفهوم الأزمة الصحية

هي حالة صعبة أو نظام صحي معقد يؤثر على البشر في منطقة أو عدة مناطق جغرافية، والتي لها آثار كبيرة على صحة المجتمع وخسائر في الأرواح والاقتصاد، قد تنجم عن الأمراض أو العمليات الصناعية أو سوء السياسات، حيث تعرف مدى خطورة وشدة الأزمة الصحية غالبا من خلال عدد الأشخاص المتضررين ضمن نطاق تغطيتها الجغرافية (1).

المطلب الثاني : الجوائح عبر التاريخ

عرفت البشرية عبر مراحل التاريخ انتشار العديد من الأوبئة والجوائح، حيث اختلفت تداعياتها ومدة انحسارها، والجدول رقم 1 يوضح الجوائح التي خلفت أكثر من مليون وفاة (2).

الجدول 1 يوضح الجوائح التي عصفت بالبشرية

الواقعة	بدايتها	نهايتها	اعداد الوفيات (بالمليون)
الموت الاسود	1331	1353	75
طاعون اشبيلية الكبير	1647	1652	02
جائحة الكوليرا الروسية	1852	1860	01
جائحة الانفلونزا العالمية	1889	1890	01
جائحة التهاب الدماغ	1915	1926	1.5
الانفلونزا الاسبانية	1918	1920	100
الانفلونزا الاسيوية	1957	1958	02
انفلونزا هونغ كونغ	1968	1969	01

المصدر / د. حريد رامي، تامين عبدالكريم، مجلة افاق للدراسات الاقتصادية، العدد 1 سنة 2021 ص55

نلاحظ من خلال البيانات الظاهرة بالجدول رقم (1) أن البشرية مرت بالعديد من الأوبئة على مر التاريخ حيث شهد العالم على الأقل ثمانية جوائح كبيرة أفضت إلى أكثر من مليون حالة وفاة، ويعتبر

(1) جلال عزيز، ، قراءة في تداعيات الأزمة الصحية العالمية ، تأثير 19 covid على قطاع السياحة والسفر. مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، المجلد 20 ، العدد الخاص سبتمبر، 2020 ، صفحة 148.

(2) عبدالكريم أحمد قندوز، دور التمويل الإسلامي في حالات الجوائح. أبو ظبي ، صندوق النقد العربي ، يونيو 2020، ص 11.

الطاعون الأسود 1353 م من بين الأزمات الكبرى من حيث حجم الخسائر في الأرواح البشرية، حيث قدر عدد المتوفين بسببه حول العالم بحوالي 75 مليون فردا، كما أن جائحة الأنفلونزا الإسبانية (1918- 1920) تعتبر من أعنف الأزمات من حيث عدد الوفيات، والتي انتشرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى في أوروبا والعالم مخلفة وفاة قرابة 100 مليون شخص، وأما اقتصاديا فقد تسببت جائحة الأنفلونزا الإسبانية في انخفاض نمو إجمالي الناتج العالمي بستة نقاط مئوية، وانخفاض نمو الاستهلاك والإنفاق العام بثمانية نقاط، وتسبب مرض المتلازمة التنفسية الحادة الوخيم (سارس 2003) في خسارة ما نسبته 1.0 %من إجمالي الناتج العالمي السنوي وانخفاض إجمالي الناتج المحلي في الصين بما مقداره من نقطة إلى نقطتين مئويتين، وبالنسبة للتأثير الاقتصادي لمرض إنفلونزا الطيور (2003) فقد تسبب المرض في خسارة ما نسبته 1.0 %من إجمالي الناتج العالمي السنوي، و ما نسبته 4.0%من إجمالي الناتج السنوي في آسيا لوحدها ويمر العالم حاليا بجائحة جديدة اندلعت شرارتها من الصين لتنتشر لباقي دول العالم تعرف بجائحة فيروس كورونا، ولعل أهم ما يميز هذه الجائحة مقارنة بالأوبئة السابقة هو تلك الإجراءات وتدابير الاحتواء واسعة النطاق والتي تم تطبيقها في معظم دول العالم بالتزامن، ما جعل عجلة النمو الاقتصادي العالمي وكأنه يتوقف فجأة، كما أن درجة التأثير هذه المرة متعددة ومتشابكة تستدعي دراسات مفصلة لعلها تحمل في طياتها سبل الخروج من الأزمة الاقتصادية العالمية بأقل التكاليف نحو الانتعاش مجددا [1].

المطلب الثالث : التعريف بجائحة فيروس كوفيد 19

أولا: التعريف بفيروس كورونا المستجد:

فيروس كورونا فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان، ومن المعروف أن عددا من فيروسات "كورونا" تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد حدة، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس)، ويسبب فيروس كورونا المكتشف مؤخرا مرض فيروس كورونا المستجد ويطلق عليه كوفيد 19 [2].

---

(1) أحمد غبولي، و الطاهر توايتية، دراسة تحليلية وفق نظرة شاملة ألهم آثار جائحة كورونا (كوفيد 19)على الاقتصاد العالمي –الأزمة العالمية 2020 ، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، العدد الخاص،سبتمبر 2020، 2020، الصفحات 132-133.

(2) أونروا، فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) تاريخ الاسترداد 10 مايو، 2020 ، 5 مارس 2020 ص 4 . www.unrwa.org//health_awareness_on_coronavirus_civid-19-_public_-_ arabic.pdf

ثانياً: أعراض كورونا الشائعة:

تتمثل أعراض فيروس **كوفيد19** في الأعراض التنفسية والحمى والسعال وضيق النفس وصعوبات التنفس، وفي الحالات الأشد وطأة قد تسبب العدوى الالتهاب الرئوي والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة والفشل الكلوي وحتى الوفاة ، وتزداد احتمالات إصابة المسنين والأشخاص الذين يعانون من مشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب أو داء السكري، وقد توفى نحو 2 %من الأشخاص الذين أصيبوا بالمرض، ويحتاج الأشخاص الذين يعانون من الحمى والسعال وصعوبة التنفس تقديم الرعاية الطبية لهم .

ثالثاً : تطور وانتقال أزمة فيروس كورونا:

تم تحديد فيروس كورونا المستجد للمرة الأولى في مدينة ووهان التابعة لإقليم هوبي في الصين أواخر شهر ديسمبر 2019،وخلال الفترة الممتدة بين 8 ديسمبر 2019 التاريخ الرسمي لتسجيل أول إصابة لدى السلطات الصينية و31 ديسمبر 2019 تاريخ إبلاغ منظمة الصحة العالمية بدأ الفيروس بالانتقال، حيث انتشر الفيروس انتشارا واسعا في إقليم هوبي (أكثر من 380 إصابة مؤكدة)، وربما بدأت عملية نقله إلى أوروبا منذ تلك الفترة.

وتطور الوضع الوبائي عالميا منذ نهاية شهر فبراير بظهور مركز الوباء في كل من كوريا الجنوبية، اليابان، سنغافورة، إيران وإيطاليا، وفي تاريخ 10 مارس 2020 تأثرت جميع دول الاتحاد الأوروبي بمرض كوفيد 19، وأكد المدير العام لمنظمة الصحة العالمية في الحادي عشر من شهر مارس 2020 خلال إحاطته الإعلامية بشأن مرض كوفيد 19 ، حيث اكد أن عدوى كوفيد 19 ينطبق عليها وصف الجائحة [1]، ومنذ ذلك الحين والوباء يشهد انتشارا واسعا ومخيفا، والشكل التالي يوضح تطور عدد حالات الإصابة بكوفيد19على مستوى العالم إلى غاية 04 يناير 2020.

(1) .منظمة الصحة العالمية. 11 مارس، 2020 ، الملاحظات الافتتاحية التي أدلى بها المدير العام لمنظمة الصحة العالمية في الإحاطة الإعلامية بشأن مرض كوفيد-19 في 11 مارس 2020 .تاريخ الاسترداد 10 ديسمبر، 2020 ،من منظمة الصحة العالمية: https://www.who.int/ar/dg/speeches/detail/who-director-general-s-opening-remarks-at-the-media-briefing-oncovi

الشكل 1 يوضح تطور الإصابات بمرض كوفيد19

في الفترة من 22 يناير2020 حتى 4 يناير 2021 " بالمليون "

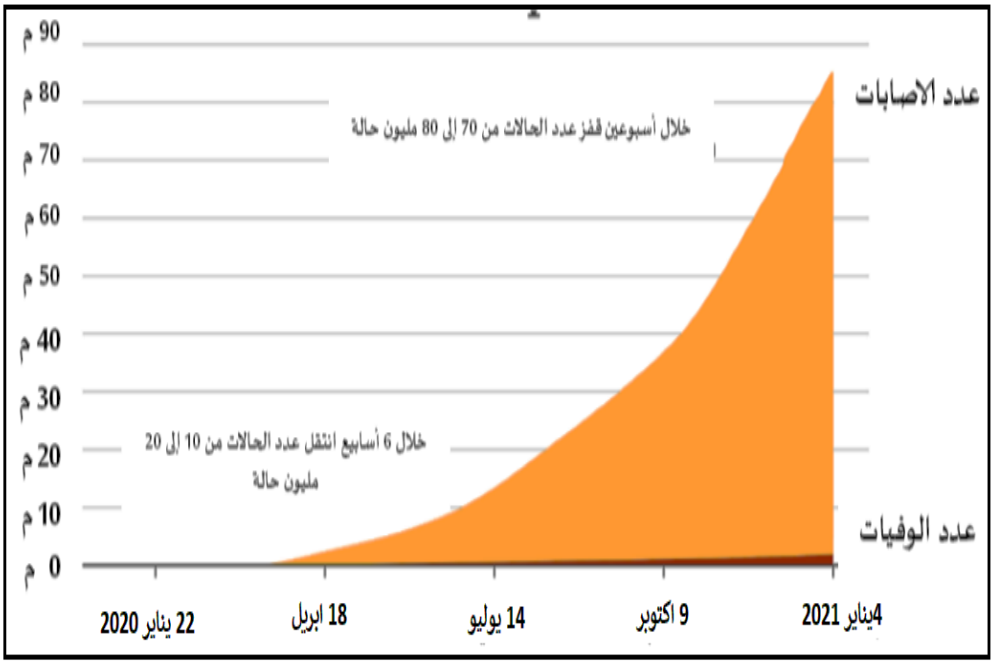

المصدر / شبكة BBC الإخبارية 2020https://www.bbc.com/arabic

انتقلت عدوى فيروس كورونا في أوائل شهر مارس من سنة 2020 من الصين إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وباقي دول العالم، حيث نلاحظ من خلال الشكل (1) تسارع التزايد في أعداد الإصابات بداء كورونا المستجد، حيث قفز عدد الحالات الإجمالية عالمياً من 10 إلى 20 مليون مصاب في مدة 6 أسابيع ابتداءً من شهر يونيو، وفي غضون أسبوعين بداية من شهر ديسمبر ارتفع عدد الحالات من 70 إلى 80 مليون مصاب، وحسب الإحصائيات المتاحة إلى غاية 07 يناير 2021 فإن عدد الحالات المؤكدة على مستوى العالم تقدر بأكثر من 87 مليون إصابة مؤكدة، وعدد حالات الوفاة تجاوز 8.1 مليون وفاة، وتحتل الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة الأولى بحوالي 21 مليون إصابة مؤكدة و361 ألف حالة وفاة [1].

(1) د. حريد رامي ، تاميـن عبدالكريم ، مجلة أفاق للدراسات الاقتصادية ، العدد 1 سنة 2021 ص 57.

المبحث الثاني: انعكاسات جائحة كورونا على الاقتصاد العالمي

نظراً لما شهده العالم من ازمه راح ضحيتها مئات الآلاف من البشر مما أثار موجة من الرعب وحالة من الهلع أجبرت العديد من الدول على اتخاذ تدابير وإجراءات أثرت على الحياة الاقتصادية بشكل واسع النطاق في مختلف القطاعات الاقتصادية، ويرجع ذلك إلى سببين:

– أن الإصابة بالمرض تكون واسعة الانتشار في حد ذاتها وتصيب العنصر البشري؛ باعتباره رأس المال البشري الذي يعتبر العنصر الفاعل في النشاط الاقتصادي.

– أن الإجراءات الوقائية كحظر السفر وإقفال الأسواق والأماكن العامة، بالإضافة إلى التوقف المؤقت في نشاط بعض المؤسسات وما ينجم عنه من تسريح الأيدي العاملة، والتراجع الحاد في كل من الطلب الكلي والاستهلاك والإنفاق العام، تؤدي بشكل عام إلى تباطؤ النمو الاقتصاد العالمي ، ويلعب تكامل الأسواق بالإضافة إلى تنقل الأشخاص بين مختلف الدول إما للعمل أو السياحة دورا هاما في انتشار الصدمة الاقتصادية **على الصعيد الدولي وفي هذا السياق توجد عدة قنوات يؤثر من خلالها فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي ، وهي:**

الترابط المالي : طال تأثيره المادي والمعنوي على أسواق المال العالمية التي شهدت انهيارات وتباطؤ في الأداء منذ اندلاع الأزمة المالية العالمية عام 2008،وبهذا تعطي أسواق المال مؤشرا سلبيا وتعطي شعور للمستثمرين بتوجهات تأثير الفيروس على الاقتصاد العالمي [1]، ويعتبر أداء الأسواق المالية وثقة المستهلك مرتبطين بقوة، حيث يبدو أن جائحة كورونا قد وجهت ضربة مباشرة وقوية لمستوى الثقة لدى المستهلك، مما يجعل المستهلكين في منازلهم متخوفين من الإنفاق مستقبلا وربما متشائمين على المدى الطويل.

التبادل التجاري: تؤثر الجائحة من خلال عرقلة الواردات، بالإضافة إلى إعاقة الإنتاج وإضعاف كل من الطلب والعرض العالميين ما يؤدي بدوره إلى تقلص الطلب على الطاقة.

السياحة والنقل: تؤثر الجائحة على كل من الطلب والعرض العالميين من خلال خفض معدلات الرحلات بسبب غلق حدود العديد من الدول وغلق العديد من المطارات حول العالم.

(1) أحمد غبولي، و الطاهر توايتية، ، دراسة تحليلية وفق نظرة شاملة ألهم آثار جائحة كورونا (كوفيد 19)على الاقتصاد العالمي –الأزمة العالمية 2020 .-مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، 20(العدد الخاص ، سبتمبر، 2020، ص 135.

أصبح من الواضح أن تداعيات جائحة كورونا على الاقتصاد العالمي هي **أكثر تأثير** من الكساد العظيم الذي انفجر عام 1929، فلأول مرة في التاريخ تواجه البشرية حالة من الإغلاق العام في جميع دول العالم، وتوقف النشاط الاقتصادي في القارات الخمس [1].

المطلب الأول: أثر كورونا على التجارة الدولية

تسبب فيروس كورونا المستجد في اضطراب عميق في التجارة، مما أثر على العرض والطلب في الاقتصاد العالمي ،حيث أمرت العديد من الحكومات بالإغلاق المؤقت لمواقع الإنتاج غير الضرورية، بينما اتخذت العديد من الشركات قرار خفض الإنتاج بسبب الاضطرابات في سلاسل الواردات الخاصة بهم وهو ما عمق من اتجاهات الركود التي يشهدها العالم سواء في الدول المتقدمة أو النامية، وتتوقع منظمة التجارة العالمية تراجع التجارة العالمية في السلع بسبب الجائحة بنسبة تتراوح ما بين 13 %إلى 32 %خلال سنة 2020 ،في حين من المتوقع تعافي التجارة الدولية بنسب تتراوح ما بين 21 %إلى 24 %العام المقبل؛ شريطة تبني سياسات ملائمة لدعم التجارة الدولية والسيطرة على معدلات تفشي المرض [1].

الشكل رقم 2 يبين توقعات تطور مستوى التجارة الدولية خلال سنة 2020 وسنة 2021

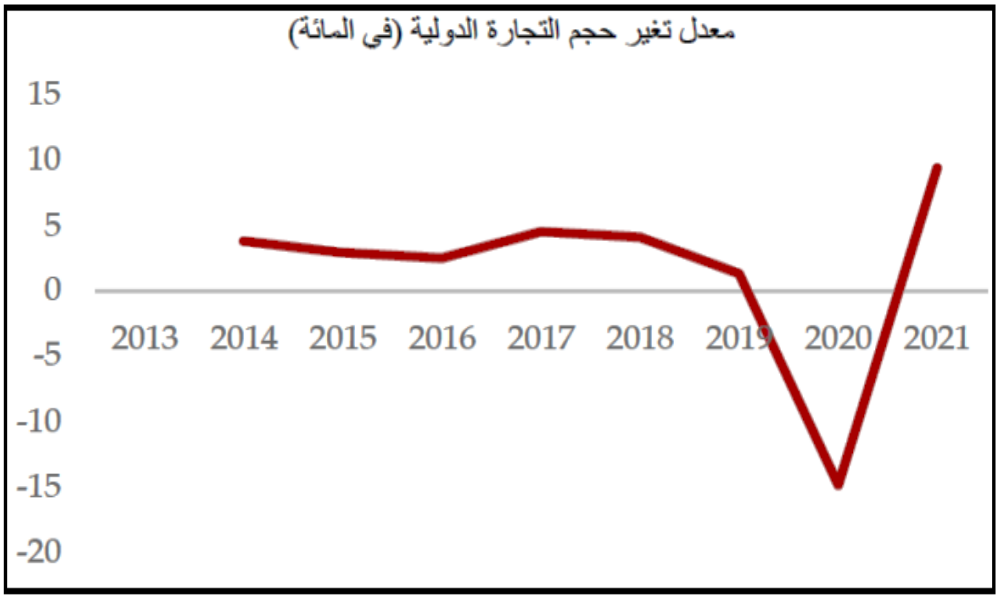

المصدر : (تقرير صندوق النقد العربي ،2020)

(1) صندوق النقد العربي، تقرير آفاق الاقتصاد العربي، الإصدار الثاني عشر، 2020 تاريخ الاسترداد 28 أغسطس https://www.amf.org.ae/sites/default/files/aeo/2020/AEO_August_2020_v_1.pdf ص 7

يتوقع أن تشهد سنة 2020 انخفاضا في المستوى الكلي لحجم التجارة الدولية بسبب جائحة كورونا، كما يمكن أن يسجل عام 2021 بداية التعافي في معدلات التجارة الدولية في حال انحسار الوباء، ولقد كان تأثير الوباء أكثر وضوحا في قطاع الخدمات الدولي السياحة الدولية والنقل الجوي للركاب ونقل الحاويات، والشكل رقم 3 يوضح تطورات مؤشرات التجارة العالمية للسلع والشحن الجوي ونقل الحاويات.

الشكل رقم 3 يوضح تطورات مؤشرات التجارة العالمية للسلع والشحن الجوي ونقل الحاويات في الفترة من أكتوبر 2018 حتى أكتوبر 2020

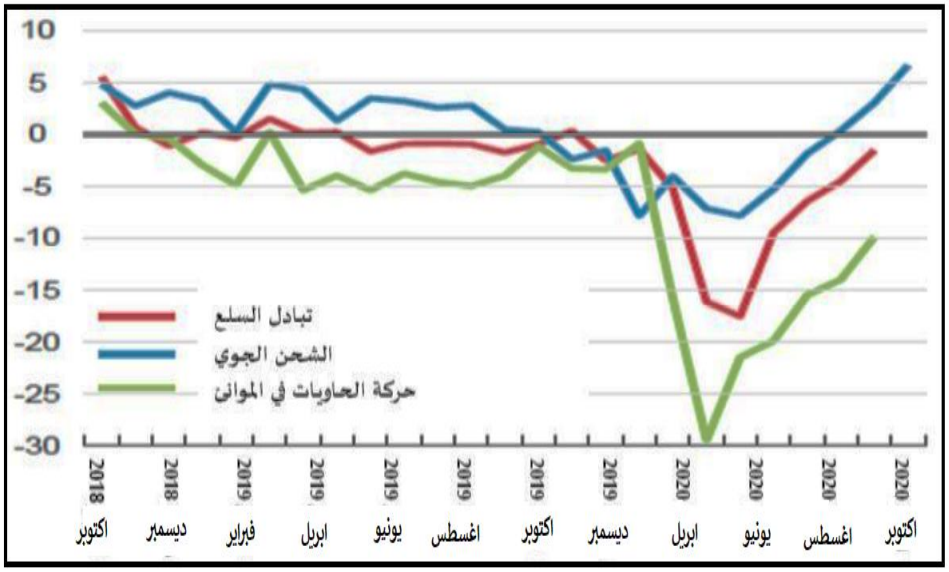

المصدر / منظمة التعاون والتنمية 2020 . ص 23 .

من خلال الشكل رقم (3) يوضح أن حجم التجارة العالمية تقلص بشكل حاد في النصف الأول من عام 2020، حيث عرفت تجارة البضائع انخفاضا بنسبة 16 %عن مستواها السابق للجائحة، وانخفضت مستويات السياحة والسفر الدولي بشكل حاد، وانعكس الانتعاش في النشاط مع إعادة فتح الاقتصاد والتجارة وحركة موانئ الحاويات، لا سيما في الصين وكوريا والعديد من الاقتصاديات الأسيوية الصغيرة مثل فيتنام، وقد ساعد ذلك في زيادة الطلب العالمي على الأقنعة والسلع الوقائية وغيرها من معدات الحماية الشخصية، وكذلك السلع اللازمة للعمل عن بعد بما في ذلك معدات تكنولوجيا المعلومات ،كما أدى انتعاش الإنتاج الصناعي في الصين إلى زيادة الطلب على العديد من المواد الخام في البلدان المصدرة للسلع الأساسية خاصة المعادن، وانتعشت المقاييس المستندة إلى طلبات التصدير العالمية من أدنى مستوياتها في شهر أبريل ولكنها لاتزال بطيئة. كما ظل مستوى

نقل الركاب والسفر جوا ضعيفين بشكل استثنائي، مما أدى إلى انخفاض عائدات التصدير في الاقتصاديات المعتمدة على السياحة، حيث تقلصت قيمة الصادرات المرتبطة بالخدمات بنسبة 4.10% في الربع الأول من عام 2020(مقارنة بالفترة نفسها من عام 2019) في مجموعة مكونة من 37 دولة، والتي شكلت في عام 2019حوالي ثلثي الصادرات العالمية للخدمات، ولقد شكلت السياحة 24 %من الصادرات العالمية للخدمات في عام 2019 ،وانخفض عدد السياح الدوليين الوافدين بنسبة 44 %في جميع أنحاء العالم خلال الفترة الممتدة بين يناير و أبريل 2020 مقارنة بالفترة نفسها من عام 2019 ،وتوقع تقرير الاونكتاد عن التجارة السائدة حاليا في كل من السلع والخدمات انخفاضا أكبر بكثير في الربع الثاني مقارنة بالربع الأول، وتشير التقديرات إلى أن قيمة تجارة البضائع على أساس سنوي قد انخفضت بنسبة 18 % في الربع الثاني، والتجارة في الخدمات بنسبة 21 % في نفس الفترة **والجدول رقم 2 يوضح تغيرات في حجم التجارة العالمية للسلع خلال الفترة: ديسمبر 2019 . مايو 2020:**

الجدول رقم 2 يوضح تغيرات في حجم التجارة العالمية للسلع خلال الفترة: ديسمبر 2019 . مايو 2020

	الصادرات	الواردات
العالم	%18.3	%15.3
الاقتصاديات المتقدمة	%22.7	%15.8
الاقتصاديات النامية	%12.8	%15.8

المصدر : تقرير اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية والكاريبي 2020، ص 2

إن تداعيات جائحة فيروس كورونا لها عواقب وخيمة على الاقتصاد العالمي ؛ نظرا للانتشار السريع للفيروس والتدابير التي اتخذتها الحكومات لاحتوائه، كإجراءات الإغلاق واسع النطاق للحدود وتعليق العديد من الأنشطة الإنتاجية، مما أدى إلى ارتفاع حاد في معدلات البطالة وانخفاض الطلب على السلع والخدمات، حيث نلاحظ من خلال الجدول رقم (2) أنه من المتوقع أن تسجل الصادرات العالمية انخفاضا بنسبة 18.3 % بينما يتوقع أن تشهد الواردات العالمية انخفاضا يقدر بـ 15.8 %وستتضرر الاقتصاديات المتقدمة 22.7 %أكثر من الاقتصاديات النامية 12.8% في حين تبقى مستويات الواردات مماثلة للانخفاض في الواردات العالمية، وبالإضافة إلى الانعكاسات السابقة كان للجائحة تأثير واضح في تغير بعض المعاملات التجارية، فبالنسبة لأثرها على انخفاض ترابط الواردات كشف تفشي فيروس كورونا عن هشاشة إمدادات الواردات العالمية والتي تعني اعتماد العديد من الشركات على أنظمة مترابطة بشكل وثيق، ومع أن هذا النظام قد يكون مفيدا خلال الظروف العادية لدوره المحوري في تعزيز الكفاءة وتقليل التكاليف؛ إلا أنه يسمح بوجود مساحة محدودة للغاية للمناورة في

حالة الأزمات والاضطرابات، وقد تمتد التبعات عبر أقاليم جغرافية متنوعة؛ حيث يؤدي اضطراب سلسلة التوريد في إقليم جغرافي معين إلى إحداث تأخر في جزء آخر من السلسلة (1).

ولقد كانت سلاسل القيمة العالمية هي القناة الرئيسية لنقل آثار جائحة كورونا إلى قطاع التجارة العالمية، فالإجراءات التي اتخذتها الصين في يناير (الإغلاق المؤقت لمقاطعة هوبي والحدود الوطنية) تعني تعليق صادرات المدخلات للصناعات مثل صناعة السيارات والإلكترونيات والأدوية والمستلزمات الطبية وقد أجبر ذلك المصانع في أمريكا الشمالية وأوروبا وبقية آسيا على الإغلاق لعدة أسابيع، إلا نه لم يكن لديهم بديل للتوريد باعتبار الصين هي المصدر الرئيسي للأجزاء والمكونات في العالم حيث تمثل 15 %من الشحنات العالمية خلال عام 2018، و منذ شهر مارس 2020 أعادت الصين فتح اقتصادها تدريجيا واتخذت خطوات لتطبيع الصادرات، ومع ذلك تفاقمت صدمة العرض الأولية على التجارة العالمية تدريجيا بسبب صدمة الطلب؛ نتيجة لتدابير الحد من انتشار فيروس كورونا المعتمدة في أوروبا ولاحقاً في أمريكا الشمالية وبقية العالم.

و قد شهد الربع الأول من عام 2020 انخفاضا في الإنتاج الصناعي العالمي بنحو 6 % مقارنة بالربع نفسه من العام السابق، تبع ذلك انخفاض أعمق في الربع الثاني من عام 2020 (أكثر من 11 %) ولقد كان هذا أكبر انخفاض في الإنتاج الصناعي العالمي منذ التراجع الذي حدث في الأزمة المالية العالمية لسنة 2008، حيث انخفض الإنتاج في الربع الأول من عام 2009 بنسبة 14 %" (2)

ولقد كان التأثير على مختلف القطاعات الصناعية متفاوتا ، حيث كان إنتاج السلع واللوازم الأساسية مثل المنتجات الغذائية والصيدلانية أقل تأثرا من الصناعات الأخرى، ولقد شهدت المنتجات الطبية المتعلقة بفيروس كوفيد 19 مثل معدات الحماية الشخصية، أجهزة التنفس، مقاييس الحرارة والمطهرات نموا مرتفعا للغاية في الربع الثاني من عام 2020، وشهدت هذه المنتجات زيادة بنسبة 186% في شهر مايو 2020 أعلى من نفس الفترة من عام 2019، وعرفت بعض المنتجات غير الطبية مثل معدات المكاتب المنزلية وأجهزة الكمبيوتر المحمولة نموا قويا في الربع الثاني من هذه السنة (3).

(1) صدفة محمد محمود، إدارة أعمال الأوبئة (مداخل غير تقليدية لتكيف القطاع الخاص مع جائحة كورونا) . أبوظبي: المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، مايو2020 ، ص 4-5.
(2) تقرير الاونكتاد 2020 ص 16 .
(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

المطلب الثاني: تأثير كورونا على التجارة الإلكترونية

أولاً : مفهوم التجارة الإلكترونية

هي عملية شراء وبيع المنتجات أو الخدمات، والقيام بالتحويلات المالية ونقل البيانات باستخدام وسيط إلكتروني (الإنترنت). وهذه العملية تتيح للأفراد والشركات القيام بأعمالهم التجارية دون أيّ قيود مرتبطة بالوقت أو بالحواجز الجغرافية. تصفح على موقع فرصة [1]، ويمكن أن نوجز مفهوم التجارة الإلكترونية في النقاط التالية:

أ- بأنها مجموعة متكاملة من عمليات إنتاج وتوزيع وتسويق المنتجات والخدمات بوسائل إلكترونية)

ب - استخدام التقنيات الحديثة في الاتصالات من أجل نقل المعلومات وإبرام الصفقات وعقد المبادلات التجارية والخدمات من أجل تصدير التجارة العالمية وتنمية المبادلات التجارية

ج- أتفاق إرادتين يتلاقى فيه رغبات البائع والمشتري على شبكة الاتصالات الدولية عن بعد، بوسيلة مسموعة أو مرئية أو كلاهما معاً لتلاقي رغباتهما ينجم عنه إبرام عقد يحدث أثارة القانونية على كلا من البائع والمشتري.

ثانياً: مزايا التجارة الإلكترونية

تتسم التجارة الإلكترونية بالعديد من الخصائص والمزايا التي تجعلها مميزة عن التجارة التقليدية، وإن من أهم مزايا التجارة الإلكترونية في ظل انتشار جائحة كورونا أنها تجنب المتعاقدين التنقل والتزاحم للشراء، فيمكن للتاجر إدارة أعماله التجارية من مكتبه في شركته، والمستهلك من منزله، الأمر الذي يقود إلى تخفيف التزاحم والاختلاط وبالتالي الحد من ارتفاع نسبة الإصابة وانتقال العدوى. فتتلخص أهم مزايا التجارة الإلكترونية.

تعتبر الأسواق التقليدية أحد أسباب تسارع انتشار فيروس كورونا، ومن هنا كانت الأسواق الافتراضية بديلاً عمليا وجيدا للأفراد، حيث يتيح لهم التسوق عبر الأنترنت الحصول على كافة السلع المرغوبة الأطعمة والخضروات والأدوات الصحية والأثاث المنزلي وغيرها من السلع، ويعتبر موقع أمازون من أكبر مواقع التسوق عالمياً، ولقد شهد إقبالا كبيرا من المستخدمين حول العالم لشراء السلع عبر الأنترنت، وهو الأمر الذي دفع الشركة للإعلان عن حاجتها لتوظيف مائة ألف موظف لتلبية الطلبات عبر الإنترنت، كإقامة شركة علي بابا الصيني ببناء نظام للبث المباشر يتيح للمزارعين ترويج منتجاتهم عبر الأنترنت بصورة مباشرة من خلال الفيديوهات للمستهلكين [2].

(1) مقدمة-حول-التجارة-الإلكترونية-مفهومها-أنواعها-ومميزاتها https: /www.for9a.com/learn/

(2) إيهاب خليفة، كيف تغير التكنولوجيا إدارة الحياة اليومية خلال أزمة كورونا، أبوظبي: المستقبل للدراسات والأبحاث المتقدمة. أبريل 2020 ، ص 12

ثالثاً : التجارة الإلكترونية بعد جائحة كورونا

ازدهرت التجارة الإلكترونية للسلع والخدمات حيث أصبح المستهلكون يعتمدون بشكل أكبر على المنصات الرقمية أي التسوق عبر الإنترنت وعقد الاجتماعات الافتراضية والتعلم عن بعد، ومع ذلك أصبح الاقتصاد الرقمي فرصة كبيرة للمستهلكين وسط أزمة COVID 19– كما يعد مصدراً لبعض التحديات الكبرى التي تواجه المستهلكين في أعقاب هذه الأزمة كانتشار تلاعب أسعار المعدات الطبية والسلع الاستهلاكية الأساسية مع ظهور تقنيات تسويقية مضللة عبر الإنترنت تستغل المستهلكين من خلال الادعاء بأن المنتج يمكن أن يمنع أو يعالج العدوى من الفيروس.

وفي النصف الأول من شهر مارس 2020 زادت مبيعات التجارة الإلكترونية الإجمالية في البرازيل بنسبة 40 %مقارنة بالنصف الأول من شهر مارس 2019 ، وصرح متجر التجزئة الصيني JD.com عن تحقيق نمو في المبيعات عبر الأنترنت بنسبة 215 % في فترة 10 أيام بين أواخر يناير وأوائل فبراير 2020 ،وتتضح الأهمية المتزايدة للخدمات الإلكترونية والرقمية في عصر الوباء من خلال زيادة ثروات شركات التكنولوجيا الرائدة، فلقد ارتفعت قيم أسهم شركة أمازون بنسبة 64% JD.com بنسبة 96% بتاريخ 22 سبتمبر 2020[1] .

وفي هذا السياق عانت شركات التجارة الإلكترونية من نقص حاد في القوى العاملة بسبب ارتفاع الطلبات على مبيعاتها، لذا اتجهت سلسلة متاجر التجزئة Hema التابعة لشركة علي بابا إلى اتباع خطة مبتكرة لمشاركة الموظفين؛ من خلال الاستعانة بأكثر من 3000 موظف مؤقتا من 40 مطعما وفندقا ودار سينما يعانون من الركود بسبب أزمة كورونا، وانضمت شركة التجارة الإلكترونية الصينية JD.com وكذلك سلسلة السوبر ماركت الأمريكية Walmart إلى الاتجاه نفسه؛ حيث وظفت هذه الأخيرة أكثر من 150 ألف موظف مؤقت مع تفشي فيروس كورونا [2].

وقد أدى وضع القيود على الصادرات بسبب جائحة كوفيد 19 إلى زيادة كبيرة في الطلب العالمي على المنتجات الطبية، وتعتمد هذه المنتجات إلى حد كبير على التجارة الدولية وسلاسل التوريد العالمية التي غالبا ما كانت تخضع الاضطرابات في شبكات التصنيع والنقل الدولي، وقد تفاقم هذا الوضع بسبب حظر الصادرات والقيود التي فرضتها بعض الدول للتخفيف من النقص الحاد على المستوى الوطني، واعتبارا من منتصف شهر مايو2020، فرضت 85 دولة من جميع مناطق العالم

(1) تقرير الاونكتاد 2020 ص 94 .
(2) صدفة محمد محمود، إدارة أعمال الأوبئة: مداخل غير تقليدية لتكيف القطاع الخاص مع جائحة كورونا، أبوظبي، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، مايو 2020 ، ص 8

بعض أشكال القيود والحظر على الصادرات وعلى المنتجات ذات الصلة ب كوفيد 19 ،بما في ذلك 76 دولة عضو في منظمة التجارة العالمية و 9 دول من خارج منظمة التجارة العالمية [1].

الشكل 4 يوضح عدد الدول التي فرضت قيودا على عمليات التصدير حسب نوع المنتجات خلال العام 2020

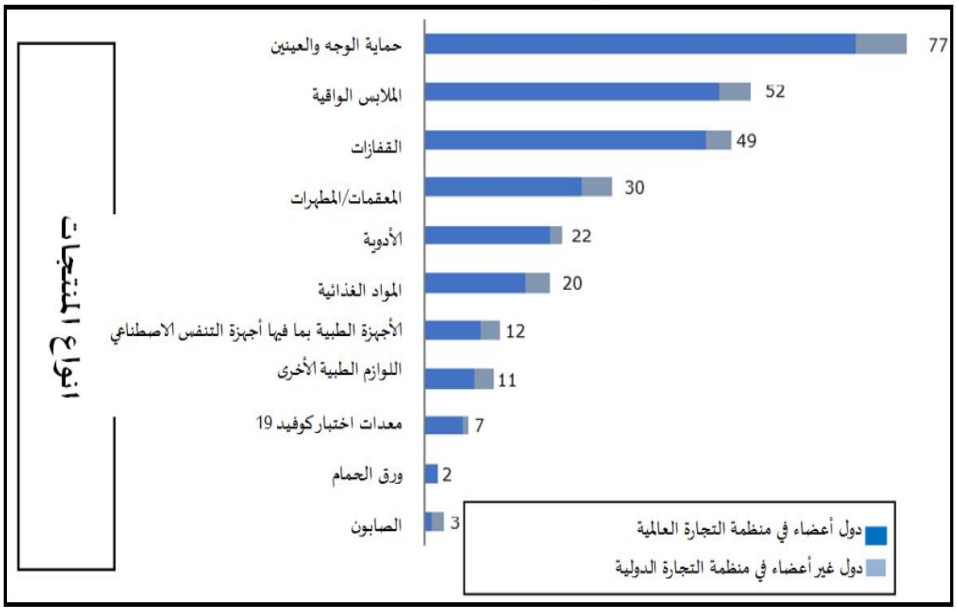

المصدر/ لجنة التنسيق الإحصائي 2020، ص 32

وقد اتخذت القيود على الصادرات التي فرضتها مجموعة من الدول لمكافحة جائحة كورونا أشكال مختلفة، بما في ذلك حظر التصدير وإجراءات ترخيص التصدير، ولقد كان هناك تنوع كبير في أنواع المنتجات المتأثرة بهذه القيود، ونلاحظ أن غالبية الإجراءات قد حدت من تصدير معدات الحماية الشخصية ضد فيروس كورونا، على غرار منتجات حماية الوجه والعين (77 دولة) والملابس الواقية (52 دولة) والقفازات (49 دولة)، كما خضعت المطهرات والمستحضرات الصيدلانية والمواد الغذائية لقيود على التصدير ولكن بدرجة أقل.

(1) تقرير لجنة التنسيق الإحصائي 2020، ص 32

المطلب الثالث : تأثير كورونا على الأسواق المالية

تسود العالم اليوم في ظل انتشار جائحة فيروس كوفيد 19 أجواء من عدم اليقين، وفي ظل هذه الأوضاع تقوم الأسواق المالية بإعادة تسعير الفائدة بصورة حادة بالتزامن مع حدوث اضطرابات واسعة ومفاجئة في النشاط الاقتصادي، مما يسبب تفاقم التوترات المالية بسبب تزايد الهروب إلى الأصول الآمنة والاندفاع نحو السيولة، وارتفاع الضغوط على تكاليف الاقتراض وزيادة ندرة الائتمان، وقد يفضي ارتفاع البطالة إلى تزايد مخاطر التوقف عن السداد على نطاق واسع وتراجع المقرضين عن توفير الائتمان بدافع القلق من عدم تمكن المستهلكين والشركات من السداد ومن الممكن أن يقوم الوسطاء بتصفية ما بحوزتهم من أصول بأسعار بخسة مما يسفر عن تفاقم اضطرابات السوق، وقد يزداد حجم الآثار من خلال الروابط المالية الدولية، وقد تشهد البلدان التي تعتمد على التمويل الخارجي بصفة خاصة توقفا مفاجئا وعدم انتظام في أوضاع السوق [1].

وفي هذا السياق تسببت جائحة فيروس كورنا في ارتفاع حاد في مقاييس عدم اليقين الاقتصادي عبر بلدان العالم، كمقياس التقلب في سوق الأسهم، حيث سجلت البورصات هبوطا حادا في الاقتصادات الكبرى، مثل الولايات المتحدة ومنطقة اليورو واليابان، وشهدت طفرة في التقلب الضمني مع سعي المستثمرين الذين انتابهم القلق إلى إدخال المخاطر الناجمة عن الفيروس الجديد في استراتيجياتهم الاستثمارية، وقد شهدت الأوضاع المالية تشديدا كبيرا، مما يعني أن الشركات تواجه ارتفاعا في تكاليف التمويل عند اللجوء إلى أسواق الأسهم والسندات وهذا التشديد الحاد والمفاجئ في الأوضاع المالية يشكل عبئا ثقيلا على الاقتصاد، إلا أن الشركات تؤجل قراراتها الاستثمارية والأفراد يؤجلون استهلاكهم عند الشعور بتراجع الأمان المالي، وفي ظل هذه الظروف يتبين أن للسياسة النقدية دورا هاما؛ فبإمكان البنوك المركزية اتخاذ إجراءات سريعة للمساعدة على تخفيف حدة هذا التشديد للأوضاع المالية عن طريق ضخ السيولة وتخفيض أسعار الفائدة [2].

ونظرا لتداعيات الجائحة اضطر مختلف الفاعلون الاقتصاديون إلى السعي للحصول على السيولة المالية في أسرع وقت ممكن ومهم كلف الأمر؛ وذلك من خلال تصفية ما يملكون من أصول في الأسواق، كما بدأت المجموعات الكبيرة والبنوك تعيد جميع أصولها من الخارج، فلقد شهدت مؤشر تداول جونز الأميركي، فوتسي 100البريطاني ونيكاي الياباني انخفاضات كبرى منذ بدء تفشي المرض في 31 ديسمبر 2019 [3].

(1) صندوق النقد الدولي ،آفاق الاقتصاد العالمي :الإغلاق العام الكبير واشنطن، صندوق النقد الدولي ، أبريل 2020،ص 2 .

(2) أدريان توبياس، الاستقرار النقدي والمالي أثناء تفشي فيروس كورونا، تاريخ الاسترداد، 12 ديسمبر، 2020، https://www.imf.org/ar/News/Articles/2020/03/11/blog030920-monetary-and-financial-stability-during-the-coronavirus-outbreak صندوق النقد الدولي:

(3) المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أبريل، 2020 ، وباء كورونا المستجد - نماذج من استجابات الدول للوباء وتداعياته على https://www.dohainstitute.org/ar/Lists/ACRPS - من، 2020 ، PDFDocumentLibrary/ACRPS-Report-on-COVID-19-Pandemic-April2020.pdf ص 30.

الشكل رقم 5 يوضح انعكاسات جائحة كورونا على أهم مؤشرات أسواق الأسهم العالمية في الفترة من يناير 2020 حتى يوليو 2020

المصدر/ د. حريد رامي ، تامين عبدالكريم، مجلة أفاق للدراسات الاقتصادية، العدد 1(2021)، ص 63.

نلاحظ من خلال الشكل رقم (5) أن مؤشرات الأسهم العالمية قد شهدت انخفاضات كبرى بداية من شهر مارس 2020؛ وذلك بالتزامن مع إعلان منظمة الصحة العالمية أن وباء كوفيد 19 قد تحول إلى جائحة، فقد عرف كل من مؤشر داو جونز، فوتسي 100 ونيكاي أدنى مستوى مع نهاية شهر مارس أكثر من 25% ويرجع ذلك إلى التراجع الكبير في مستوى النمو الاقتصادي وحالة عدم يقين والخوف الذي ينتاب المستثمرين من جراء انتشار فيروس كورونا المستجد، وعليه قامت حكومات الدول باتخاذ مجموعة من الإجراءات بتخصيص مبالغ مالية معتبرة لدعم القطاعات الاقتصادية المتضررة ودعم القطاع الصحي، بالإضافة إلى ذلك خفضت البنوك المركزية في العديد من البلدان أسعار الفائدة من أجل إنعاش النشاط الاقتصادي، حيث بدأ الاتجاه العام لمؤشرات أسواق الأسهم بالتحسن التدريجي، لكن بقيت في المستوى السالب؛ ففي نهاية شهر يوليو 2020سجل مؤشر فوتسي 100 انخفاضا يقدر بـ 3.19 ،%و انخفض مؤشر داو جونز بمقدار 3.13 ،%وشهد مؤشر نيكاي انخفاضا قدره 2.5 ،%وبالفعل استعادت الأسواق العالمية منذ ذلك الحين بعض مكاسبها بسبب الإجراءات المتخذة من طرف الحكومات ولكن بعض المحللين حذروا من أنها قد تكون متقلبة حتى تهدأ المخاوف انتشار موجة ثانية من الفيروس مما يعكس عدم يقين المستثمرين بشأن المستقبل.

المطلب الرابع : التأثير على قطاع السفر والسياحة

عقب انتشار فيروس كوفيد 19 في مختلف أنحاء العالم تم اتخاذ من مجموعة من الإجراءات الوقائية؛ من حظر للتجوال وإغلاق للأماكن العامة كالمراكز التجارية والمنتزهات العامة والمدارس كما تم أيضا تخفيض عدد الموظفين في أماكن العمل وتقييد حركة السفر بتخفيض عدد الرحلات وغلق للحدود الدولية، ويعتبر قطاع النقل من بين القطاعات الأكثر تأثرا بعواقب تفشي جائحة كورونا، إذ أن سبب وجود مؤسساته هو نقل الأشخاص والبضائع في جميع أنحاء العالم، فهو يرتبط بشكل وثيق بقطاعات أخرى كقطاع السفر، السياحة، التجارة والأعمال...وغيرها، كما أنه يحفز الاقتصاد العالمي من خلال ربط مختلف مكوناته و ضمان حركته، و الشكل رقم 6 يوضح تطور عدد المسافرين المستخدمين للنقل الجوي خلال الفترة 1945-2020:

الشكل رقم 6 يوضح تطور عدد المسافرين المستخدمين للنقل الجوي خلال الفترة 1945-2020

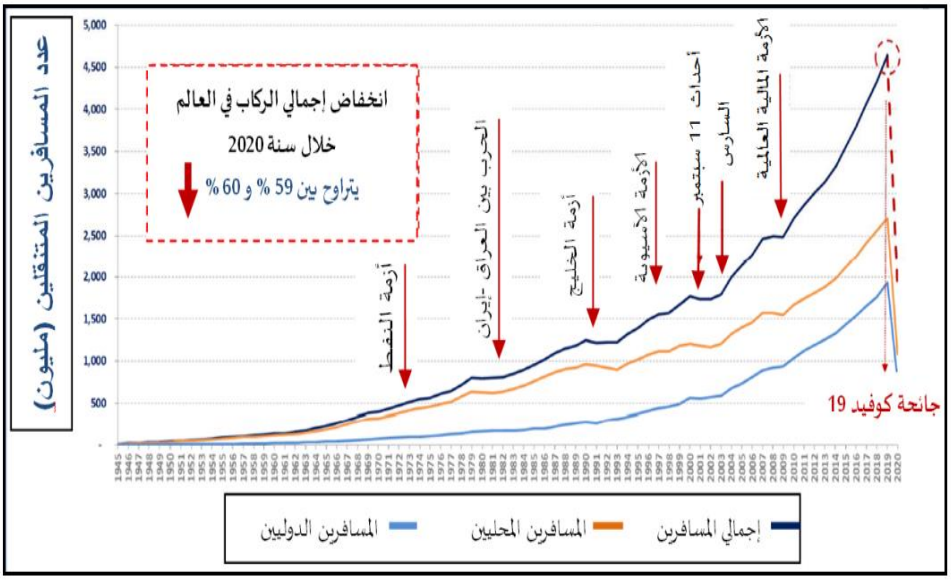

المصـــــــدر/ تقرير منظمة توحيد الطيران ICAO2020،ص6.

نلاحظ من خلال الشكل رقم (6) أن عدد المسافرين المستخدمين للنقل الجوي في تزايد مستمر منذ سنة 1945على الرغم من مرور العالم بعدة أزمات (أزمة النفط لسنة 1973 ،الحرب بين إيران والعراق، أحداث الحادي عشر من سبتمبر، الأزمة المالية العالمية 2008 غير أن أزمة كورونا تسببت في انهيار حاد وغير مسبوق في عدد المسافرين نتيجة غلق الحدود الدولية وتعليق الرحلات الجوية المحلية، حيث من المتوقع تسجيل انخفاض عام في عدد الركاب الجويين)الدوليين والمحليين (يتراوح بين 59 %إلى 60 %في عام 2020 مقارنة بعام 2019) ،وعليه ستتأثر شركات الطيران بشدة

وستتحمل خسائر جد معتبرة كما سيمر قطاع السياحة العالمية بأزمة عنيفة بسبب الأزمة الصحية العالمية والتدابير الوقائية التي أعاقت عملية الحركة السياحية والسفر.

حيث تكبدت شركات الطيران خسائر معتبرة وتراجعت عائدات السياحة بنسب كبيرة، والشكل التالي يبين تأثيرات جائحة كورونا على حركة النقل الجوي الدولية:

الشكل رقم 7 يوضح توقعات أثر كورونا على قطاع النقل الجوي

المصـــــــدر/ تقرير منظمة توحيد الطيران ICAO2020،ص4.

نلاحظ من خلال الشكل رقم (7) أن شركات الطيران المدني قد ستمنى بخسائر معتبرة بسبب وقف مختلف رحلات طيران الركاب حول العالم، وتتوقع منظمة الطيران المدني في النصف الأول من عام 2021: انخفاض إجمالي يتراوح بين 30 %إلى 37 %من المقاعد التي تقدمها شركات الطيران- انخفاض إجمالي بين 903 إلى 1264 مليون مسافر- تكبد خسارة في إجمالي الإيرادات التشغيلية لشركات الطيران بحوالي 135 إلى 183 مليار دولار أمريكي[1].

وتسببت جائحة كورونا في انخفاض حاد في عدد المسافرين بسبب القيود المفروضة على حركة التنقل، ووفقا لتقديرات الأمم المتحدة ستترجم القيود المرتبطة بكوفيد 19 في الأشهر المقبلة إلى خسائر ضخمة لقطاع السياحة والقطاعات ذات الصلة، وحسب الدراسة التي أجراها مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية فإن قطاع السياحة هو أحد القطاعات الأكثر تضررا من الأزمة (هذا القطاع الذي وفر حوالي 300 مليون وظيفة في جميع أنحاء العالم خلال سنة 2019) ويتوقع أن ينخفض الطلب على السفر الدولي من 850 مليون إلى 1.1 مليار سائح دولي، وحجم خسائر يتراوح بين 1200 و 3300 مليار

(21) https://www.francetvinfo.fr/2020/

دولار للسياحة والقطاعات ذات الصلة مثل الفنادق والمطاعم والشكل رقم 8 يبين نسب انخفاض عدد السياح الدوليين إلى غاية أغسطس 2020.

الشكل رقم 8 يوضح نسب انخفاض عدد السياح الدوليين

من يناير 2020الى غاية أكتوبر 2020

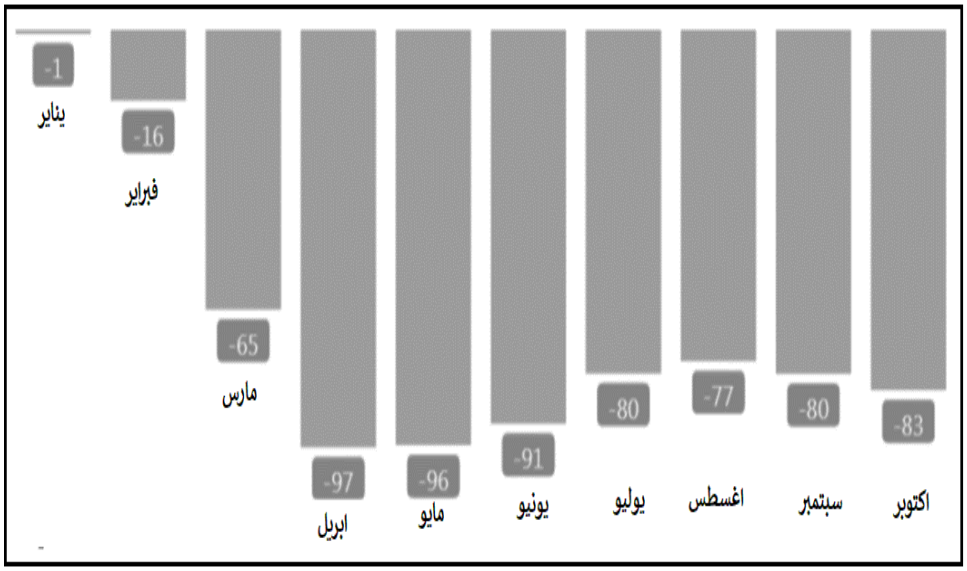

المصدر : تقرير منظمة السياحة العالمية 2020

وتستمر قيود السفر التي تم فرضها استجابة لجائحة كورونا في التأثير على السياحة العالمية بشدة، وحسب معطيات الشكل رقم (8) يتبين أن عدد السياح الوافدين الدوليين بدأ بالانخفاض بشكل تدريجي بداية من شهر يناير بالتزامن مع بداية ظهور الفيروس، حيث بلغ الانخفاض أعلى مستوياته خلال شهري أبريل 97%ومايو 96% بسبب تشديد القيود على حركة السفر الدولي، ليتم تسجيل تحسن طفيف بداية من شهر يونيو نتيجة لبداية رفع الحظر على حركة النقل الجوي بشكل تدريجي.

ولقد انخفض عدد السياح الدوليين بنسبة 80% في شهر يوليو و 77 % في شهر أغسطس، وهما أكثر الشهور ازدحاما في السنة (موسم الصيف في نصف الكرة الشمالي)، ويبلغ الانخفاض في عدد السياح حتى شهر أكتوبر قرابة 700 مليون سائح (مقارنة بالفترة نفسها من عام 2019) ويترجم ذلك إلى خسارة تقدر بـ 730 مليار دولار في الإيرادات صادرات السياحة الدولية، وهو ما يمثل أكثر من ثمانية أضعاف الخسائر التي تكبدها قطاع السياحة خلال الأزمة الاقتصادية والمالية العالمية لعام 2008 ،ولا يزال الطلب على السفر ضعيفا إلى حد كبير بسبب عدم اليقين المستمر بشأن الوباء

وانعدام الثقة، فلقد تم تسجيل انخفاض قدره 83 % في عدد السياح الوافدين خلال شهر أكتوبر، ووفق احدث الاتجاهات تتوقع منظمة السياحة العالمية انخفاضا إجماليا بنسبة 70% تقريبا لكامل عام 2020، وتتوقع مجموعة خبراء منظمة السياحة العالمية انتعاش السياحة الدولية في عام 2021، لاسيما في الربع الثالث، وبالنسبة لـ 20 %من الخبراء يمكن أن يحدث هذا الانتعاش فقط في عام 2022 ،وينظر إلى قيود السفر على أنها العقبة الرئيسية أمام تعافي السياحة الدولية، وكذلك الاختفاء البطيء للفيروس وعدم وجود ثقة لدى المسافرين، كما لاحظ الخبراء عقبات رئيسية أخرى أمام الانتعاش كعدم وجود استجابة متكاملة بين البلدان لضمان بروتوكولات منسقة، وتدهور البيئة الاقتصادية[1] .

(1) تقرير منظمة السياحة العالمية 2020.

الخاتمة

فتح فيروس كورونا المستجد الباب أمام أزمة صحية واقتصادية عالمية لم يسبق لها مثيل من حيث النطاق والحجم، فالعالم يواجه حاليا ركودا حادا لم يشهده منذ أزمة الكساد الكبير بسبب الإجراءات الوقائية والتي يطلق عليها الأغلاق الكبير، حيث تأثرت العديد من القطاعات الاقتصادية وبدرجات متفاوتة، ولقد تم التوصل من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- تمثل الأوبئة تهديدا خطيرا للبشرية على مر التاريخ، وبالرغم من التقدم التكنولوجي والطبي الذي وصل إليه الإنسان في العصر الحديث فسيبقى هذا التهديد قائما مستقبلا، حيث كشفت أزمة كوفيد-19 -على هشاشة المنظومة الصحية حتى في الدول المتقدمة، فلقد تسببت هذه الجائحة في فقدان حياة أكثر من مليون شخص على المستوى العالمي ، وقد بلغ عدد حالات الإصابة المؤكدة حوالي 87 مليون حالة، وتم تسجيل أكثر من 8.1 مليون حالة وفاة إلى غاية 07 يناير 2021.
- بالإضافة إلى الآثار الصحية التي تخلفها الجوائح فإن تداعياتها تمتد إلى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، حيث تسببت جائحة كوفيد 19 في دخول العالم في أزمة صحية امتدت تداعياتها لتصبح أزمة اقتصادية بامتياز، وذلك عبر قنوات الترابط المالي وتشابك التبادل التجاري، بالإضافة الى حركة تنقل الأشخاص عبر الحدود.
- خلفت جائحة كوفيد-19 – ضررا كبيرا على مستويات التجارة الدولية وتدفق الواردات ، وهو ما عمق من اتجاهات الركود التي يشهدها العالم، حيث تسببت إجراءات الأغلاق المؤقت مواقع الإنتاج وتخفيض ساعات العمل خاصة في الصين والدول الكبرى في تعليق الصادرات للمدخلات الصناعية لدول أخرى بالأخص ما تعلق منها بصناعة السيارات والإلكترونيات، كما شهد الطلب على المنتجات الغذائية والصيدلانية ومعدات الحماية الشخصية انتعاشا ملحوظا، ولقد شهدت التجارة الإلكترونية إقبال كبيرا من طرف المستهلكين حول العالم، حيث عرفت شركات التجارة الإلكترونية نموا معتبرا في المبيعات مما انعكس على زيادة ثروات هذه الشركات وارتفاع قيم أسهمها على غرار شركة أمازون.
- شهدت الأسواق المالية اضطرابا حادا بسبب تداعيات جائحة كورونا، حيث انهارت أهم المؤشرات في الأسواق المالية لتصل إلى أدنى المستويات بسبب عدم اليقين والخوف الذي ينتاب المستثمرين بشأن المستقبل، كما أن الشركات تواجه ارتفاعا في تكاليف التمويل عند اللجوء إلى أسواق الأسهم والسندات، وهذا التشديد الحاد والمفاجئ في الأوضاع المالية يشكل عبئا ثقيلا على النشاط الاقتصادي.

- يعتبر قطاع النقل من بين القطاعات الأكثر تضررا بعواقب تفشي الجائحة، فلقد تأثرت شركات الطيران العالمي بشدة مسجلة خسائر جد معتبرة تقدر بحوالي 390 مليار دولار، وعليه انتقلت الأزمة لتمس قطاع السياحة بسبب إجراءات غلق الحدود ومن المتوقع تسجيل خسائر تقدر بحوالي 1200 إلى 3300 مليار دولار في قطاع السياحة والقطاعات الأخرى المرتبطة بها.

قائمة المراجع

التقارير

- الاونكتاد ،عدد الخاص بتحديات كوفيد19 على الامن الاقتصاي ، 2020.
- تقرير اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية والكاريبي 2020.
- تقرير منظمة السياحة العالمية 2020.
- صندوق النقد الدولي ،آفاق الاقتصاد العالمي :الإغلاق العام الكبير واشنطن، صندوق النقد الدولي ، أبريل 2020.
- صندوق النقد العربي، تقرير آفاق الاقتصاد العربي. تاريخ الاسترداد 28 اغسطس، 2020
- صندوق النقد العربي، دور التمويل الإسلامي في حالات الجوائح، عبدالكريم أحمد قندوز، ابوظبي ، يونيو 2020.
- مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، صدفة محمد محمود، إدارة أعمال الأوبئة (مداخل غير تقليدية لتكيف القطاع الخاص مع جائحة كورونا) . أبوظبي، مايو2020 .
- مركز المستقبل للدراسات والأبحاث المتقدمة، إيهاب خليفة، كيف تغير التكنولوجيا إدارة الحياة اليومية خلال أزمة كورونا، أبوظبي، أبريل 2020 .
- منظمة الصحة العالمية. 11 مارس، 2020 ، الملاحظات الافتتاحية التي أدلى بها المدير العام لمنظمة الصحة العالمية في الإحاطة الإعلامية بشأن مرض كوفيد-19 في 11 مارس 2020 .تاريخ الاسترداد 10 ديسمبر، 2020 ،من منظمة الصحة العالمية.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جائحة كورونا كوفيد 19 وتداعياتها على أهداف التنمية المستدامة 2030، عيسى حنان ملكاوي ، الأردن ، يوليو 2020 .

الدوريات

- مجلة اتحاد المصارف العرب ، سيناريوهات تأثير جائحة كورونا على نمو الاقتصاد العالمي والعربي، اتحاد المصارف العربية، ابريل 2020 .
- أحمد غبولي، و الطاهر توايتية، دراسة تحليلية وفق نظرة شاملة لأهم آثار جائحة كورونا (كوفيد 19) الاقتصاد العالمي – الأزمة العالمية 2020 ،مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، ، العدد الخاص ،سبتمبر 2020.

- جلال عزيز، ، قراءة في تداعيات الأزمة الصحية العالمية ، تأثير 19 covid على قطاع السياحة والسفر. مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، ، المجلد 20 ، العدد الخاص سبتمبر، 2020.
- حريد رامي ، تامين عبدالكريم ، مجلة افاق للدراسات الاقتصادية ، العدد 1 سنة 2021

شبكة المعلومات الدولية

- https://www.who.int/ar/dg/speeches/detail/who-director-general- :. s-opening-remarks-at-the-media-briefing-oncovi
- https://www.amf.org.ae/sites/default/files/aeo/2020/AEO_August_2 020_v_1.pdf
- أدريان توبياس، الاستقرار النقدي والمالي أثناء تفشي فيروس كورونا، تاريخ الاسترداد، 12 ديسمبر، 2020 ، https://www.imf.org/ar/News/Articles/2020/03/11/blog030920- stability-during-the- monetary-and-financial- :الدولي النقد صندوق coronavirus-outbreak
- تقرير أونروا، فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) تاريخ الاسترداد 10 مايو، 2020 ، 5 مارس 2020. www.unrwa.org//health_awareness_on_coronavirus_civid-19- _public_-_ arabic.pdf
- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أبريل، 2020 ، وباء كورونا المستجد – نماذج من استجابات الدول للوباء وتداعياته على https://www.dohainstitute.org/ar/Lists/ACRPS- من، 2020 ، PDFDocumentLibrary/ACRPS-Report-on-COVID-19-Pandemic- . April2020.pdf

دراسة أصناف الزيتون الموجودة في وادي بني وليد والآفات المنتشرة والعوامل البيئية المؤثرة على زراعة الزيتون بمنطقة بنى وليد – ليبيا

أ.عائشة ميلاد أبومهارة – كلية الزراعة– جامعة بني وليد
د. أسامة السنوسي لامة– كلية الزراعة– جامعة بني وليد

الملخص:

أجريت هذه الدراسة بوادي الزيتون في مدينة بني وليد، ليبيا على شجرة الزيتون *Olea Europaea. L* خلال الموسم الزراعي (2020 و2021)م، حيث تم دراسة الأصناف المحلية والأجنبية المزروعة، والإصابات الناتجة عن المسببات المرضية والآفات الحشرية المنتشرة، إضافةً إلى دراسة العوامل المناخية والبيئية المؤثرة على زراعة أشجار الزيتون بالمنطقة. أوضحت البيانات المتحصل عليها من خلال هذه الدراسة أن عدد أشجار الزيتون المزروعة بمنطقة الدراسة تبلغ 35 ألف شجرة، وأن الزراعة فيها غير متماثلة. وأوضحت نتائج التصنيفات أنه يوجد أربعة أصناف محلية لأشجار الزيتون تضم صنف راسلي، قرقاشي، قرطومي، (مراري أو شملالي) تتراوح أعمارها من 250 – 350 سنة، و ثلاثة أصناف أجنبية وهي (الزيتون اربكينا الاسباني، صنف كوراتينا الايطالي، كالاماتا اليوناني) تتراوح أعمارها من 5–12 سنة. وكانت أهم الآفات الحشرية والفطرية التي سجلتها هذه الدراسة بوادي بني وليد تتمثل في: ذبابة ثمار الزيتون، حشرة المن القطني، سوسة أفرع الزيتون، مرض ذبول الفيوزاريوم، إضافةً إلى بعض الأمراض الفسيولوجية كنقص عنصر الحديد في بعض أشجار الزيتون المغروسة. حيث تسببت هذه الآفات الحشرية أضراراً بالغة بالمحصول خاصةً عندما أهملت عمليات المكافحة، فقد شهدت منطقة الدراسة أضرار كبيرة وقلة في الإنتاجية خلال الخمس سنوات الماضية. كما خلصت الدراسة إلي أهم الأضرار الناتجة لأشجار الزيتون من عدة عوامل زراعية تتلخص أهمها في الأضرار الناتجة عن العمليات المختلفة لقطف وجني ثمار الزيتون، الأضرار الناتجة عن الحرائق، الأضرار الناتجة عن أعمال تجريف وحفر التربة بوادي بني وليد، إضافةً إلى الأضرار الناتجة عن الانجرافات الطبيعية وعوامل التعرية. وتوصي الدراسة بالاهتمام بأشجار الزيتون خاصةً الأشجار المحلية، والعمليات الزراعية قبل وبعد جني ثمار الزيتون، ومكافحة الأمراض المنتشرة للتقليل من الضرر الناتج للمحاصيل وتوفير مستلزمات الإنتاج للرفع من الإنتاجية.

كلمات مفتاحيه: أفات وأمراض الزيتون، أصناف الزيتون، الزراعة البعلية، وادي بني وليد.

Abstract– This study was conducted in Wadi Al-Zaytoun in Bani Walid, Libya, on the olive tree *Olea Europaea. L* during the agricultural season (2020 and 2021), to study the following objectives: local and foreign cultivated varieties of olive tree, the common olive tree diseases which caused by pathogens and common insect pests, and the climatic and environmental factors affecting the cultivation of olive trees in the study area. The data obtained through this study showed that the number of olive trees planted in the study area is 35 thousand trees, and that the cultivation of olives is not symmetrical. The results of the classifications showed that there are four local varieties of olive trees, including the Rasli, Qarqashi, Kartoumi, (Marari or Shamlali) aged from 250-350 years, and three foreign varieties (Spanish Arbequina, Italian Coratina, and Greek Kalamata), aged From 5-12 years old. The common pests recorded by this study was: olive fruit fly (*Bactrocera Oleae*), cotton aphid (*Euphyllura Olivina*), olive branch weevil (*Hylesinus Oleiperda*), fusarium wilt disease caused by fungus (*Fusarium oxysporum f. sp. Cucumerinum)*, in addition to some physiological diseases such as iron deficiency in some planted olive trees. As these insect pests caused severe damage to the crops, especially when control operations were neglected during the past five years in the study area. The study was also reported the most important damages caused to olive trees resulting from several agricultural factors, such as: damages resulting from olive picking and harvesting methods dredging and excavating the soil in the study area, natural erosion and other factors. Thus, the study recommends paying attention to olive trees, especially local trees, and agricultural operations before and after harvesting olive fruits, and combating common diseases to reduce the damage caused to crops and providing production requirements to increase productivity.

Keywords: Olive trees, Pests and diseases of olive trees, olive varieties, rain feed agriculture.

المقدمة:

تعتبر شجرة الزيتون *Olea europaea.* L من الأشجار دائمة الخضرة والتي تزرع في المناطق شبه الاستوائية والتي لها القدرة الكبيرة على تحمل الجفاف وقلة المياه. وتحظى منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط بنسبة عالية تصل إلى 98 % من أشجار الزيتون في العالم (أبو عرقوب، 1998).

ازدادت أعداد أشجار الزيتون بليبيا في السنوات الأخيرة نظرا للاهتمام الكبير بهذه الشجرة فبحسب بيان سابق لوزارة الزراعة الليبية، فإن أعداد أشجار الزيتون بليبيا وصلت إلى (8,000,000) ثمانية ملايين شجرة تتركز 90 % منها في المناطق الساحلية وسلسلة جبال نفوسه. حيث تنتج ليبيا التي تتبوأ المركز الحادي عشر بإنتاج الزيتون على مستوى العالم، حوالي 150 ألف طن من المحصول سنوياً، و الإنتاج المحلى لزيت الزيتون ينتج ما يقارب 30 ألف طن من الزيتون وفقاً لبيانات منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (FAO)، حيث قدر الإنتاج لأشجار الزيتون في ليبيا للسنوات الأخيرة بحوالي (188975)، (189425)، (190340) طن من الزيتون للسنوات المتتالية، 2018، 2019، 2020، ينتج منها (51538.6)، (51661.4)، (51910.9) طن من زيت الزيتون لنفس السنوات على التوالي ،حسب بيانات خاصة من وزارة الزراعة بطرابلس. تعتبر أشجار الزيتون في ليبيا الأكثر تعميراً حيث يوجد في بني وليد أشجار يزيد عمرها فوق 300 سنة، وتشكل الأشجار التي يزيد عمرها عن 100 سنة حوالي 80% من مساحة الزيتون في وادي بني وليد. تعرف بني وليد بكثافة أشجار الزيتون وبالجودة العالية لزيت الزيتون منذ القدم، فيوجد عدد من معاصر الزيتون القديمة الأثرية بكثرة في المدينة.

تستهلك ثمار الزيتون عادةً كغذاء، كما يستخدم الزيت الناتج منها كدواء إضافةً إلى استخدامها كمصدر للطاقة سواء بالحرق المباشر للحطب أو بتحويله إلى فحم أو في استخدام زيته للإنارة. تحتوى ثمار الزيتون الناضجة على حوالي (50–55 %) من وزنها ماء وحوالي (22–25%) زيت ، (1.51 %) أملاح معدنية ، (19%) كربوهيدرات، (1.65%) بروتين ، (5.84%) سليلوز، كما أن لكل 100جرام من ثمار الزيتون تحتوى على حوالي (300–500) وحدة دوليه من فيتامين A وحوالي (144–200) سعر حراري بالإضافة إلى فيتامينات B ,E Kiritsakis ;2009 ,.Gulfraz et al). (1998 ,.et al ومن ناحية أخرى وجد أن ثمرة الزيتون لأحد الأصناف اليونانية تحتوى على (386) كالسيوم ، (14) حديد، (192) ماغنسيوم، (2) منجنيز، (683) كلور مقاسه بالجزء في المليون(ppm) (Conte et al., 2020 ;Gutfinger, 1981).

يحتل زيت الزيتون أهمية كبيرة من بين الزيوت النباتية نظراً لأهميته التغذوية ، فهو أفضل أنواع الزيوت والدهون هضماً وهو غنى بالفيتامينات والأملاح المعدنية والأحماض الدهنية الغير مشبعة اللازمة للمحافظة على صحة وسلامة جسم الإنسان (Mailer, 2005; Mele et al., 2018)، كما أنة مصدر متميز للطاقة الحرارية، هذا فضلا عن فوائدة الطبية والتي تجعله يلعب دور هاماً في علاج ارتفاع ضغط الدم والوقاية من ارتفاع الكولسترول وكذلك علاج العديد من الأمراض السرطانية والجلدية (Gulfraz et al., 2009; Visioli & Galli, 1998).

يمتلك زيت الزيتون قدرة عالية علي مقاومة الأكسدة بالمقارنة بالزيوت المأكولة الأخرى لانخفاض محتواه من الأحماض الدهنية الغير مشبعة بالإضافة إلي محتواه من المواد الغير متصبنة مثل التوكوفيرولات والمركبات الفينولية (Baldioli; Ismail, 1998 ;Clodoveo et al., 2005). et al., 1996

ذكر (حسن، 1995 ;عبد الفتاح، 2003) أن زيت الزيتون مثل باقي الزيوت النباتية حيث يتركب من المواد المتصبنة (ثلاثي الجليسريدات) والتي تمثل 99% من تركيب الزيت والمواد الغير متصبنة تمثل (1%)، ويعتبر حمض الاوليك هو الحمض السائد في زيت الزيتون حيث يمثل نحو (85%) ، وحمض البالميتك (6–9%)، وحمض اللينوليك (4%) أما باقي الأحماض مثل البالميتوليك وحمض الاستياريك وحمض اللينولينيك فهي تمثل نسبة منخفضة (فرج، 1995). كما وجد أن زيت الزيتون المستخلص من البذرة غنى بحمض اللينوليك في حين أن زيت الزيتون المستخلص من لب الثمرة غنى بحمض الاوليك، ويحتوى زيت الزيتون أيضا على إنزيمات Lipases ومواد ملونة مثل الكلوروفيل والزانثوفيل مواد عطرية تكسبه رائحة وطعم خاص ومميز (Tsimidou, 1999; Vinha et al., 2005)

تشكل أشجار الزيتون المثمرة الدخل الرئيسي للقطاع الزراعي الليبي حيث تعتبر زراعة الزيتون من أهم الزراعات التقليدية البعلية في مدينة بني وليد و تشكل الأشجار المثمرة مصدراً رئيساً من مصادر الإنتاج الزراعي في ليبيا، وتحتل مكانة هامة بين عناصر الإنتاج الغذائي من خلال تلبيتها لجزء من المتطلبات الاستهلاكية الغذائية للسكان، إضافةً إلى ذلك الدخل الزراعي الجيد، وللدلالة على أهمية أشجار الزيتون يكفي الإشارة إلى أن نسبة مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون تعادل (% 80) من المساحة الإجمالية المزروعة بالأشجار المثمرة التي تعتمد على مياه الأمطار في الري.

وقد ذكر Alazragh et al., (2021) من خلال دراسة بعض المؤشرات لإنتاج الزيتون لعينة مختارة من مزارعي مدينة ترهونة، أن ارتفاع نسبة إنتاج الزيتون في فترات وانخفاضه في فترات أخرى تعتمد علي معدلات تساقط الأمطار، وأن إنتاج الزيتون يعتمد بنسبة قد تصل إلى ما يفوق 80% على الزراعة البعلية. يساهم الاهتمام بزراعة وتحسين إنتاجية أشجار الزيتون وخاصة في المناطق الزراعية، وبالتحديد مدينة بني وليد التي تمثل حالة هذه الدراسة، حيث تشغل أشجار الزيتون مساحات شائعة من الأراضي الزراعية بالمدينة وخاصةً منطقة الدراسة (وادي بني وليد). ومن هذا المنطلق فان هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على العوامل البيئة التي تؤثر على زراعة أشجار الزيتون بمنطقة الدراسة، التعرف على الأصناف الموجودة ومعرفة الأمراض والآفات المنتشرة التي تصيب أشجار الزيتون وأسباب الإصابة. كما تهدف هذه الدراسة أيضاً إلى زيادة توعية المزارعين لتفادى بعض المعاملات التي تجرى على ثمار الزيتون خلال موسم الحصاد وتؤثر سلبا على جودة الزيت الناتج.

المواد وطرق العمل :

منطقة الدراسة:

تعتبر مدينة بني وليد إحدى المدن الليبية المعاصرة والتي تتميز بمساحتها الشاسعة وطبيعتها الجبلية، وجغرافياً تقع المدينة في شمال غرب ليبيا بين دائرتي عرض 31 – 32.8 شمالاً، 13.5 – 15 شرقاً، وتبلغ مساحتها حوالي 19710 كيلومتراً مربعاً، أما بالنسبة للحدود الجغرافية للمدينة فيحدها من الشمال مدينتي ترهونة ومسلاته، ومن الجنوب تحدها مدينة نسمة ومن الشرق مدينة سرت، ومن الغرب الجبل الغربي، أما من الشمال الشرقي فتحدها مدينة مصراتة.

تناولت الدراسة منطقة وادي الزيتون بمدينة بني وليد الذي يقسم المدينة إلى نصفين مساحته 18.86 كيلومتراً مربعاً، يمتد وادي بني وليد بداية من منطقة القرجومة غرب المدينة نهايةً بمنطقة الفطمان شرقها. كما يحيط بالوادي سفوح جبلية وهي المصدر الرئيسي للاستفادة من المياه أثناء موسم الأمطار حيث يعتمد الوادي على التغذية البعلية التي تأتي على هيئة سيول من أعالي الجبال وخاصة من مرتفعات الجبال من مدينة غريان والعربان.

صورة توضيحية لمنطقة الدراسة

مشكلة الدراســة

الأهمية الاقتصادية لأشجار الزيتون ومدى تأثرها بالآفات والأمراض المنتشرة.

تتمثل مشكلة الدراسة في:

1- التذبذب الحاد في إنتاجية الزيتون في المنطقة.

2- تركز زراعة أشجار الزيتون في المنطقة بشكل غير متماثل.

أهمية الدراسة:

تعريف بالأصناف المحلية والأجنبية الموجودة في وادي بني وليد ومدى ملائمتها للظروف المناخية، ومعرفة المسببات المرضية والأمراض الفسيولوجية والآفات الحشرية التي تصيب أشجار الزيتون بمنطقة الدراسة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز تأثير العوامل البيئية على زراعة أشجار الزيتون في مدينة بني وليد، وبعض المتغيرات الخاصة بشجرة الزيتون (أصناف الأشجار المغروسة – طبيعة الأرض المزروعة – نوع التربة). تحديد أهم الآفات الحشرية والفطرية إضافةً إلى الأمراض الفسيولوجية التي تؤثر على زراعة أشجار الزيتون بمنطقة الدراسة.

حدود الدراسة:

نظراً لصعوبة تأمين البيانات التفصيلية لكل مزارع أشجار الزيتون بالمدينة، فقد اقتصرت الدراسة على وادي بني وليد باعتبارها منطقة غير مدروسة.

الحدود الزمانية: 2021/2020

طرق العمـــــل:

تم جمع البيانات الخاصة بأعداد وأصناف أشجار الزيتون من خلال الزيارات الميدانية إلى منطقة الدراسة (وادي الزيتون)، إضافةً إلى البيانات المتحصل عليها من قطاع الزراعة بمدينة بني وليد.

ولمعرفة أهم الآفات الحشرية والأمراض التي تصيب أشجار الزيتون بمنطقة الدراسة، قام الباحثون بجمع عينات من الأشجار المصابة للكشف والفحص لمعرفة المسببات المرضية للأمراض المنتشرة بمنطقة الدراسة.

كما تم أيضاً الاستعانة بالمعاصر الموجودة بمدينة بني وليد لمعرفة كمية الإنتاج لزيت الزيتون المعصور من الأصناف المختلفة بالاعتماد على الزيارة الميدانية.

النتائج والمناقشات :

أجريت هذه الدراسة على محصول الزيتون للموسم الزراعي 2020–2021 م بمنطقة وادي الزيتون بمدينة بني وليد، حيث أن الزراعة في منطقة الدراسة غير متماثلة، وتبلغ عدد الأشجار المغروسة بمنطقة الدراسة فقط (وادي بني وليد) حوالي 35 ألف شجرة حسب مقابلة مع العاملين بمكتب قطاع الزراعة ببني وليد.

أصناف أشجار الزيتون المحلية والأجنبية الموجودة بوادي بني وليد

من خلال الزيارات الميدانية والتصنيفات التي أجريت بمنطقة الدراسة على أشجار الزيتون المغروسة إضافةً إلى الإحصائيات المتحصل عليها من قطاع الزراعة بمدينة بني وليد، تبين أنه يوجد أربعة أصناف محلية لأشجار الزيتون وهي راسلي، قرقاشي، قرطومي، مراري (شملالي)، إضافةً إلى

الأصناف الأجنبية ومنها الزيتون اربكينا الاسباني، صنف كوراتينا الايطالي، كالاماتا اليوناني. حيث تتراوح أعمار الأصناف المحلية ما بين 250 – 350 سنة، وتشكل الأشجار التي يزيد عمرها عن 100 سنة حوالي 80% من مساحة أشجار الزيتون في وادي بني وليد، بينما الأصناف الأجنبية فتتراوح أعمارها من 5–12 سنة. يبدأ موسم جمع ثمار الزيتون في وادي بني وليد من شهر نوفمبر حتى يناير.

أولاً: الأصنـــــاف المحلية–:

1– الصنف المحــلي راسـلي *Olea Europaea*

موطنه الأصلي مدينة بني وليد وهو الصنف الرئيسي والأكثر انتشارًا في مدينة بني وليد حيث يشغل 80 % من المساحة المزروعة بوادي بني وليد، ويتميز هذا الصنف بأن ثماره صغيرة الحجم ومتوسط وزن الثمرة 1.95 غرام (صورة 1). متوسط نسبة الزيت لصنف راسلي 24.78%، ومتوسط إنتاج الشجرة 48.6 كغم. حيث سجلت الإحصائيات بعدد من المعاصر بمدينة بني وليد أن متوسط الزيت المعصور من ثمار زيتون صنف راسلي تقدر بحوالي 2.5 لتر زيت لكل 25 كجم زيتون.

2– الصنف المحــلي قرقــاشي *Olea Europaea*

موطنه الأصلي طرابلس ويعرف بالمناطق المختلفة بعدة أسماء مثل جبوجبي و كروزي ، متوسط وزن الثمرة 0.89 غم (صورة 2). وتصل نسبة الزيت إلى 22% ومتوسط الإنتاج إلى 42 كغم، في مدينة بني وليد يقدر متوسط الزيت المعصور من ثمار زيتون هذا الصنف إلى حوالي 3.5 لتر زيت لكل 25 كجم زيتون.

3– الصنف المحــلي القرطــومي *Olea Europaea*

ينتشر بمدينة بني وليد ومسلاته وتتميز ثماره بأنها طويلة الشكل (صورة 3). متوسط الزيت المعصور قدر بنسبة 2 لتر زيت لكل 25 كجم زيتون بحسب بيانات من معاصر مدينة بني وليد.

4– الصنف المحــلي الشمــلالي *Olea Europaea*

ينتشر بمدينة بني وليد وغريان ويتميز بأن ثماره صغيرة الحجم مستطيلة ومتوسط وزن الثمرة 2 غرام ، ومتوسط نسبة الزيت 24.78%، ومتوسط إنتاج الشجرة 48.6 كغم. (صورة 4)

أصنـــاف الزيتون المحلية المغـــروسة بوادي بني ولـــيد

صورة (1) الصنف المحـلي راسلي

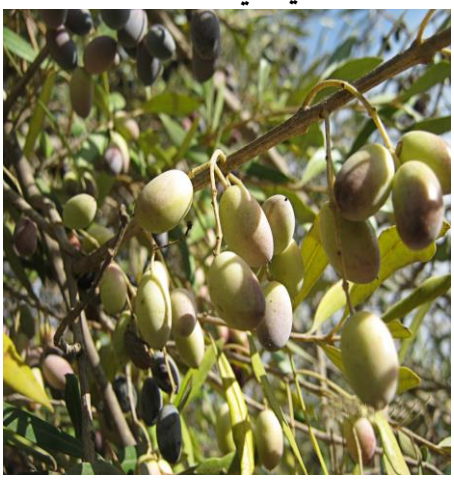

صورة (2) الصنف المحـلي قرقـاشي

صورة (3) الصنف المحـلي قرطـومي

صورة (4) الصنف المحـلي شمـلالي

ثانياً: أصنـــاف الزيتون الأجنبية المغـــروسة بوادي بني ولـــيد

1- أربكيـــنا

أربكينا بالإنجليزية (Arbequina) وهو أحد أنواع أشجار الزيتون التي تنتشر زراعتها في إسبانيا أيضًا، ويتميّز هذا النوع بقدرته الكبيرة على تحمّل درجات الحرارة المنخفضة جدًا والأجواء الباردة، أمّا ثماره فتتميّز بأنّها صغيرة الحجم وبنيّة اللون (صورة 5)، مع طعم معتدل فاكهي نوعًا ما وقوام متين، السبب الذي يجعل مذاق زيت الزيتون المُنتج منها فاكهي، ويتراوح طول أشجارها ما بين 4.5- 9 مترًا.

2- كوراتيـنا

تتميّز أشجار زيتون كوراتينا بالإنجليزية (Coratina) بانتشارها على مساحات واسعة في إيطاليا، صنف الثمرة صغيرة الحجم تميل على الاستطالة (صورة 6)، تزن من 3-4 جم وتتراوح نسبة الزيت من 18-22 %.

كما أنّ زيت الزيتون المستخرج منها من أفضل أنواع زيوت الزيتون المنتشرة، والذي يتميّز بمذاقه المر قليلًا وفوائده المغذيّة العديدة، ويختلف موسم قطف ثمارها باختلاف المناخ؛ إذ قد يتراوح ما بين أوائل أكتوبر إلى أواخر يناير.

3- كالامـــاتا

كالاماتا بالإنجليزية (Kalamata) يتميّز شجر هذا الصنف بأنّه دائم الخضرة، ويُمكن أن يزرع مباشرةً في التربة في الهواء الطلق أو داخل حاويات للنمو أولًا، وعادةً ما تُطعم أشجارها يدويًّا، وبالتالي فإنّ طريقة تكاثرها تُعد الأصعب بالنسبة لأصحاب المزارع، ويتراوح طول هذا النوع ما بين 5.5 إلى 6 متر، كما أنّها تتحمل ظروف الطقس الباردة والجافة. (صورة 7)

صورة (6) الصنف كوراتيـنا الإيطالي

صورة (7) الصنف كالامــاتا اليوناني

العــوامل الجوية والبيئيــة المـؤثرة على زراعة أشجار الــزيتون بمدينة بني وليد

ترتبط الأعمال الزراعية ارتباطًا وثيقًا بالعناصر المناخية، فالأمطار كميتها وتوزيعها الشهري، الرطوبة الجوية، درجة الحرارة، الرياح، الإشعاع الشمسي، الصقيع، الندى، لها تأثير على نمو النباتات والأشجار المثمرة بما فيها الزيتون أثناء مراحل نموها.

وتخضع ليبيا في جملتها للمناخ شبه الصحراوي الذي يسوده القسم الشمالي من قارة أفريقيا ويدخل مناخ بني وليد ضمن منطقة المناخ شبه الصحراوي، حيث يتأثر مناخ المدينة بعدة عوامل لعل أهمها الابتعاد عن الساحل الذي يبعده بحوالي 180 كجم، الواقع ضمن المنطقة الصحراوية التي لها انعكاس على كميات الأمطار المتساقطة ودرجات الحرارة في فصلي الصيف والشتاء. وتتمثل العناصر المناخية الرئيسية التي تلعب دورًا هامًا في الزراعة، هي الأمطار، درجة الحرارة، الرياح الرطوبة النسبية، ونوع التربة حيث يتطلب النبات لنموه نسبًا ملائمة من هذه العناصر في بيئته التي ينمو فيها وإلاّ تعذر نموه.

1- الأمطــار

تعتبر الأمطار من أهم العناصر المناخية في تأثيرها على إنتاجية الزيتون ، فالمهم في سقوط الأمطار هي مكان توزيعها وليس كميتها، حيث تلعب دورًا هامًا في إثمار الزيتون (عمار & محمد، 2018). تنتمي ليبيا إلى مناخ حوض البحر المتوسط المتميز بمناخ معتدل ماطر في الشتاء، حار

جاف في الصيف، يتركز المطر في فصل الشتاء الذي يهطل خلاله 60- 70 % من مجموع الأمطار السنوية، وتقل هذه النسبة في فصلي الربيع والخريف، وتنعدم في فصل الصيف ويعتبر هذا العامل الأكثر تأثيرًا على إنتاجية الزيتون في ليبيا؛ ففي السنوات التي تزيد فيها كميات الأمطار ينعكس هذا الأمر إيجابياً على كمية ونوعية الإنتاج؛ حيث يختلف معدل إنتاج الزيتون السنوي في مدينة بني وليد من سنة إلى أخرى والسبب الرئيسي في ذلك هو الاعتماد على مياه الأمطار لأن الري في وادي بني وليد بعلي. ورغم أن الأمطار تسقط كلها تقريباً في نصف السنة الشتوي، فإنها تتباين تبايناً كبيراً من سنة لأخرى سواء في كميتها أو في توزيعها خلال أشهر السنة، حيث يتناقص المطر تناقصاً سريعاً كلما اتجهنا جهة الجنوب، بحيث ينخفض معدله إلى 59 ملليمتراً في السنة بمدينة بني وليد، إذ لا يزيد فيها معدل تساقط مياه الأمطار السنوي عن 110 ملليمترات كحد أقصى. فيبدأ موسم تساقط الأمطار في شهر سبتمبر ويستمر حتى شهر أبريل ويبلغ أعلى معدل لتساقط الأمطار في شهري ديسمبر ويناير، أما الفترة الصيفية من شهر مايو حتى أغسطس فهي فترات جافة تماماً تنعدم فيها سقوط الأمطار (عمار & محمد، 2018).

2- درجة الحـرارة

تعتبر أشجار الزيتون من أشجار حوض البحر الأبيض المتوسط التي تفضل المناخ المعتدل حيث أن متوسط الحرارة في المناطق التي يزرع فيها الزيتون تتراوح بين (15- 20°C) دون حدوث أي ضرر على أن لا تنخفض درجة زراعته عن (5-7) تحت الصفر. تختلف حاجة النباتات للحرارة فمنها ما يحتاج إلى درجة حرارة عالية ومنها لا ينمو ولا يثمر بحالة جيدة إلا إذا تعرض لدرجة حرارة منخفضة أثناء فصل الشتاء، تتحمل أشجار الزيتون درجة حرارة منخفضة وعالية أكثر من الأشجار دائمة الخضرة الأخرى ولكنها لا تتحمل انخفاض درجة الحرارة إلى أكثر من 10 درجة مئوية تحت الصفر، فمعظم الأصناف يحدث لها ضرر عند درجة حرارة (- 9.4) درجة مئوية حتى يحدث نمو جيد للمادة الجافة في الثمار وزيادة كمية الزيت فيها تحتاج أشجار الزيتون لصيف طويل مرتفع الحرارة حيث تتأثر نسبة الزيت في الثمار تبعًا لدرجة الحرارة؛ حيث أن نسبة الزيت في الثمار تقل بانخفاض درجة الحرارة وعدم توفر أشعة الشمس. وعلى العكس من ذلك فإن الصيف الطويل المشمس يؤدي إلى زيادة نسبة الزيت في الثمار وكذلك فإن الحرارة الصيفية العالية 35 درجة مئوية فما فوق تساعد في تجميع الزيت في الثمار وتبكير نضجها وتحويل المواد إلى زيت داخلها إلاّ أن الحرارة العالية أثناء عقد الثمار تؤدي إلى تساقطها خاصة إذا كانت مصحوبة برياح جافة ورطوبة منخفضة، كما تؤثر الحرارة العالية خلال فصل الربيع والصيف والخريف على زيادة فقد الأشجار للماء وبطء نمو الثمار وكذلك بطء النمو الخضري.

وتحتاج أشجار الزيتون لدرجات حرارة منخفضة من أجل البراعم المتواجدة في آباط الأوراق لتتخلق إلى براعم زهرية وكلما انخفضت درجات الحرارة كلما تخلق عدد أكبر من البراعم الزهرية. ويشترط أن تكون درجات الحرارة الليلية أقل من 12 درجة مئوية وأن لا تزيد درجات الحرارة النهارية عن 18 درجة مئوية. ففي السنوات قليلة البرد نجد أن عدد البراعم الزهرية على الأفرع قليلة، ومتواجدة قريبًا من قواعد هذه الأفرع، حيث تبين أن البراعم السفلية تحتاج إلى كمية أقل من البرد بالمقارنة مع البراعم العلوية.

إن أفضل مناطق النمو بالنسبة للزيتون هي ذات المناخ شديد الحرارة صيفًا والباردة شتاءً، فالحرارة ضرورية لتجميع الزيت في الثمار ونضجها .أما برد الشتاء فضروري لضمان إنتاج منتظم، فالزيتون بحاجة إلى 1600 – 2000 ساعة من البرد وهذه مطلوبة في فترة تخلق البراعم (عمار & محمد، 2018).

تتأثر درجات الحرارة في مدينة بني وليد بعدة عوامل منها موقعها الجغرافي بالنسبة لدوائر العرض والبعد عن المسطحات المائية، وكذلك تضاريس المنطقة حيث أكسبت المنطقة الظروف شبه الصحراوية للمناخ، ارتفاع في درجات الحرارة صيفاً خاصةً في شهري يونيو ويوليو وانخفاضها في شهور فصل الشتاء وأبردها في شهري ديسمبر ويناير.

3- الريـــاح

تتمثل احتياجات أشجار الزيتون للرياح في نقل حبوب اللقاح لمسافات طويلة مما يعمل على إحداث التلقيح الخلطي) حبوب لقاح من صنف تلقح أزهار صنف آخر (بين أنواع الزيتون المختلفة). ومن الأمور الغير مناسبة والتي تمنع التزهير وعقد الثمار هو وجود الرياح الشديدة خلال فترة التزهير والتلقيح.

4- الـرطـوبة النســبية

تعمل الرطوبة النسبية في المناطق الجافة على تلطيف درجة الهواء، فيظهر أثرها واضحاً في المناطق التي تقل فيها الأمطار فتصبح رطوبة الجو هي الممول المساعد النبات عن طريق امتصاصها بواسطة رطوبة أوراقها، وذلك عوضاً عن النقص في مياه الري.

5- التـــربة

تنمو شجرة الزيتون في مختلف أنواع الترب بنجاح بشرط توفر الصرف الجيد، ولكنها تجود في تربة حسنة التهوية وتنجح في الترب الطينية الخفيفة والمتوسطة والكلسية (والتي تبلغ نسبة الكلس فيها 70%) ويجب أن يكون عمق التربة كافياً لاستيعاب جميع كميات الأمطار. ويتأثر نمو الزيتون

ويقل عن معدله في التربة الطينية والرطبة الثقيلة ذات المستوى المائي المرتفع فهي لا تناسب أشجار الزيتون .

أظهرت نتائج الدراسة الميدانية بين الإنتاجية ونوع التربة في أراضي وادي بني وليد أن الزراعة غير متماثلة، وأما التربة الموجودة بالوادي فهي عبارة عن تربة رسوبية، حيث يعتمد الوادي على التغذية البعلية، وتعتبر الترب الرسوبية من الترب الخصبة الناتجة عن عوامل التعرية للصخور، فهي محملة بالعناصر الغذائية التي تأتي مع مياه سيول الأمطار من أعالي الجبال وخاصة من مرتفعات جبال مدينتي غريان والعربان فتستجمع في وادي بني وليد.

مساحة الأراضي المزروعة بأشجار الزيتون في وادي مدينة بني وليد بالنسبة لإجمالي الأرض المزروعة في المدينة تنتشر زراعة الزيتون في ليبيا على نطاق واسع، ويساعد على ذلك قدرة هذه الشجرة على تحمل ظروف طبيعية متباينة، سواء من حيث درجات الحرارة أو كمية الأمطار أو نوع وخصوبة التربة في المناطق المزروعة معظمها أراضي جبلية تعتمد على الأمطار باستثناء الأراضي والمشاريع الخاصة فهي تحت الري الكامل أو الجزئي، يزرع الزيتون في مدينة بني وليد على نطاق واسع، حيث تبلغ عدد أشجار الزيتون المثمرة المغروسة بوادي بني وليد فقط حوالي 35 – 40 ألف شجرة. إضافةً إلى المناطق الزراعية الأخرى الموجودة داخل المدينة أو بالقرب منها كمنطقة مريش، شميخ، تينيناي، سيح اللبن والتي تضم مساحات زراعية شاسعة مغروسة بأشجار الزيتون المثمرة.

الآفات والأمراض التي تصيب أشجار الزيتون بمدينة بني وليد

تعتبر الآفات الزراعية في كافة أنحاء العالم سواء في البلدان النامية أو المتقدمة من أهم معوقات الإنتاج الزراعي وذلك نظراً لما تحدثه من أضرار وخسائر في الإنتاج الزراعي، ومن أهم الآفات الحشرية التي تصيب أشجار الزيتون في وادي بني وليد تتمثل في ذبابة ثمار الزيتون، حشرة المن القطني، سوسة أفرع الزيتون، إضافةً إلى مرض ذبول الفيوزاريوم الذي يسببه فطر الفيوزاريوم، كما تعاني أشجار الزيتون بمنطقة الدراسة من نقص عنصر الحديد.

1. ذبابة ثمار الزيتون *Bactrocera Oleae*

توجد هذه الحشرة في جميع مناطق زراعة أشجار الزيتون، وتصيب معظم أصناف الزيتون وهي أكثر الحشرات ضررا، إذ أنها تسبب فقدان بحوالي 25 % من المحصول بسبب تساقط الثمار و بالرغم من مكافحتها، إلا أنها تعتبر هي الحشرة الأكثر خطورة على أشجار الزيتون في ليبيا (قيلة & فارس، 2010)، و أيضاً تعتبر منطقة البحر المتوسط الأشد إصابة بها، وتتلخص أضرار هذه

الحشرة في انخفاض نسبة الزيت المستخرج من الثمار و زيادة نسبة الحموضة في الزيت إضافةً إلى تساقط الثمار أو قلة جودتها.

تقوم أنثى حشرة ذبابة الزيتون التي تتميز باللون الكستنائي الأصفر وأجنحتها الشفافة (صورة 10) التي توجد عليها بقع سوداء على الزاوية الخارجية للجناح بغرز آلة البيض تحت بشرة ثمرة الزيتون لعمل تجويف مائل بعمق 1 مم، ووضع بيضة واحدة مستطيلة الشكل، فيفقس هذا البيض ليخرج منه يرقات اسطوانية الشكل (صورة 9) مدببة من الطرف الأمامي وعريضة من الخلف، ليست لها أرجل لونها ابيض مصفر طولها حوالي 7–8 مم، تتغذى على لب الثمار وتحدث أنفاقاً متعرجة تنتهي بغرف صغيرة، تتحول اليرقات بعد ذلك إلى عذارى برملية الشكل ذات لون بني مصفر، طولها 4 مم، وعرضها 2 مم، إما داخل الثمرة تحت البشرة أو تخرج اليرقات لتكون العذارى في التربة، وبعد ذلك تخرج الحشرات الكاملة للتزاوج، وتعيد وضع بيضها داخل ثمار الزيتون لتتكرر دورة الحياة.

يبدأ نشاط الحشرة مع نهاية شهر مايو ويستمر حتى أكتوبر ونوفمبر، فدرجات الحرارة المثلى لنشاط حشرة ثمار الزيتون هي ما بين 20–30 درجة، فالرطوبة الجوية العالية تساعد في نشاط الحشرة بينما الجفاف يقلل من نشاطه، ففي المناطق الساحلية وشبه الساحلية ذات الرطوبة العالية يكون عدد أجيال الحشرة أكبر من المناطق الحارة والجافة نتيجة الإصابة بهذه الذبابة تصاب الثمار بأنواع مختلفة من الفطريات والعفن (صورة 9). تعتبر ذبابة ثمار الزيتون من اخطر الآفات التي تصيب الزيتون والتي تقدر خسائرها سنويا ب % 30 من الإنتاج وقد تصل في بعض السنوات كما حصل في بني وليد في أعوام سابقة إلى إصابة المحصول كاملاً (قطاع الزراعة بني وليد).

صورة (8) آثار الإصابة بذبابة ثمار الزيتون
*** .المصدر : الجابي ، فارس.(2007). ص128**

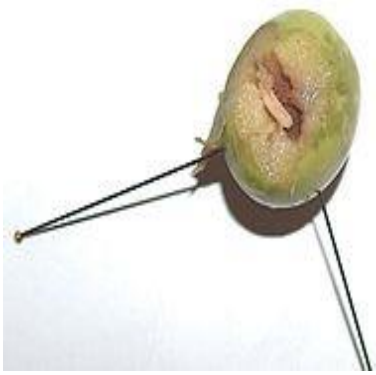

صورة (9) الطور الثالث ليرقة ذبابة ثمار الزيتون

الأضـــرار النـــاجمة عن الإصـــابة

تبين الصورة (8) وجود بقع مسودة على الثمار نتيجة الوخز بآلة وضع البيض، تفقد الثمار قيمتها التسويقية .تعفن الثمار نتيجة لتلوث الأنفاق التي حفرتها اليرقات في لب الثمار أثناء التغذية، كما تصبح مناطق الإصابة على الثمار أسفنجية طرية لتجول اليرقات فيها .سقوط الثمار في أغلب الأحيان نتيجة للإصابة. كما تؤدي الإصابة بذبابة الزيتون إلى ارتفاع الحموضة وقيم البيروكسيد (وهو كمية الهيدروبيروكسيد الموجود في الزيت نتيجة تأكسد الزيت عند تعرضه لأكسجين الهواء)، بالإضافة إلى تأثير الإصابة بذبابة ثمار الزيتون على خواص الزيت وجودته ونوعيته، وتصل نسبة الحموضة في الزيت المصاب بذبابة الثمار إلى 10 أضعاف نسبة حموضة الزيتون السليمة، كما تزداد نسبة الكولسترول بسبب عمليات التخمر لثمار الزيتون.

يمكن مكافحة الحشرة باستعمال المصائد اللونية بمعدل مصيدة لكل شجرة، مصائد خضراء بمعدل مصيدة /خمسة هكتارات وتوضع في بداية شهر يونيو ويتم مراقبتها كل ثلاثة أيام فإذا كان عدد الذباب الموجود على المصيدة يزيد عن خمسة ذبابات /مصيدة، فإنه يتم التدخل بالطعوم السامة أو المواد الكيمائية.

ثم إجراء عمليات التقليم لأشجار الزيتون بوادي بني وليد في سنة 2013 وذلك للحد من الإصابة الحشرية لهذه الآفة حيث كانت الإصابة شديدة على الأشجار المثمرة مما أدى إلى خسائر بالمحصول الناتج، حيث تم تقسيم المنطقة إلى عدة مواقع لكي يسهل عملية التقليم وتم الانتهاء من التقليم 15-2-2013 (قطاع الزراعة- بني وليد)، ولم تجرى أي عمليات تقليم أخرى.

2. حشرة المن القطني *Euphyllura Olivina*

يطلق عليها أيضاً اسم حشرة الزيتون القطنية طول الحشرة البالغة حوالي 0.25 سم، لونها بني مخضر ولها أجنحة (صورة 11). وهي من الحشرات التي تصيب أشجار الزيتون في الربيع وأوائل الصيف وتسبب خسائر فادحة في المحصول لأنها تهلك الأزهار. تبيت الحشرة الكاملة في الشتاء في قواعد أنصال وبراعم الأوراق، وفي الربيع عند بدء ارتفاع درجة الحرارة تنشط الحشرة وتضع الأنثى البيض على الأغصان القريبة من الأزهار. تتغذى الحوريات والحشرات الكاملة بامتصاص العصارة النباتية، وتفرز الندوة العسلية وإفرازات شمعية شبيه بالكتل القطنية البيضاء من البراعم والأزهار وحوامل الأزهار تسبب سقوط الإزهار وفشل في عقد الثمار وانخفاض الإنتاج. بداية دخول هذه الآفة إلى بني وليد في سنة 1997 و سنة 1998 وذلك بسبب انتشار نباتات الزينة بالمدينة (قطاع الزراعة بني وليد).

صورة (10) ذبابة ثمار الزيتون المرجع: https://ar.m.wikipedia.org/wiki/

صورة (11) حشرة الزيتون القطنية المرجع: https://ar.m.wikipedia.org/wiki

3. سوسة أفــرع الزيتون *Hylesinus Oleiperda*

يطلق عليها أيضاً سوسة أغصان الزيتون وهي عبارة عن خنفساء ذات لون أسود باهث أو أخضر داكن ويتميز ظهرها بوجود شعيرات صفراء وقرون استشعار برتقالية اللون، تصيب أغصان الزيتون الغضة وتسبب جفافها، وإذا كانت الإصابة شديدة تموت الشجرة بكاملها مما يسبب خسائر اقتصادية، وتظهر الإصابة في صورة جفاف للأغصان (صور 12،13) حيث تخرج نشارة الخشب من الشجر، تبيض الحشرة من 50 إلي 150 بيضة داخل النفق ويكتمل نمو الحشرة بعد 21 يوم من بقائها داخل أغصان الزيتون. تحفر أنفاق وتثقبها، حيث تحفر النفق من الغصن الرئيسي بشكل عمودي متوازي تقتل الأنسجة الوعائية وتمنع وصول المياه والغذاء لأجزاء الشجرة تؤدي إلي جفاف الشجرة وسقوط الثمار.

أعــراض الإصــابة بسوسة أفــرع الزيتون على أشجــار الزيتــون

(صورة 13)

صورة توضيحية لأعراض الإصابة بسوسة أفرع الزيتون

(صورة 12)

أعراض الإصابة بسوسة أفرع الزيتون

4. الأمـــراض الفسيولوجية:

نقص عنصر الحديد في أشجـــار الزيتون

أوضحت نتائج الدراسة الميدانية بوادي بني وليد أن أشجار الزيتون تعاني من نقص عنصر الحديد في كل الأصناف المحلية والأصناف الدخيلة من 5 إلى 12 عمر الشجرة، وتتلخص أعراض هذا النقص في اصفرار الأوراق الغضة حديثة النمو والقمم النامية، حيث يسبب هذا النقص إلى تحول كامل الأوراق إلى اللون الأصفر وقد تصبح الأوراق شبه بيضاء وخاصة في النموات الحديثة. تحترق أطراف الأوراق وتصبح بنية اللون في حالات النقص الشديد للحديد، وفي النموات الحديثة يؤدي النقص الشديد إلى احتراق كامل الورقة.

إضافةً إلى منطقة الدراسة فان هناك مناطق أخرى سجلت أعراض الإصابة بنقص عنصر الحديد على أشجار الزيتون بمدينة بني وليد كوادي غبين ووادي سيح اللبن.

ولعل من أبرز الأسباب لنقص عنصر الحديد في النبات تتلخص في قلة استخدام الأسمدة العضوية المتخمرة جيداً لعدم توفرها من جهة وارتفاع أسعارها من جهة أخرى، مما يؤدي إلى حرمان التربة من جزء هام من العناصر الغذائية ومن بينها الحديد إضافة للتأثير الإيجابي للمادة العضوية على الصفات الفيزيائية للتربة في حال إضافتها ولما له من تأثير على توفر وامتصاص الحديد. كما أن الأحماض العضوية تشكل مع الحديد أملاح ذوابة. الأمر الأخر وراء نقص عنصر الحديد في النبات هو وجود نسبة عالية من كربونات الكالسيوم في التربة، حيث أن وجود هذه الكميات الكبيرة من الكلس في التربة تؤدي إلى تثبيت الحديد بها على شكل مركبات معقدة غير ذائبة كما وجد أن زيادة الكالسيوم تزاحم الحديد على الامتصاص من قبل الجذور في التربة وترسب الحديد أو تثبته ضمن النبات.

درجة حموضة التربة أيضاً تؤثر على امتصاص الحديد، إذ كلما زادت قلوية التربة أي ارتفع رقم الـ pH درجة التفاعل فيها كلما قلت نسبة الحديد الممتص من قبل الجذور نظراً لانخفاض نسبة مركبات الحديد القابلة للانحلال.

زيادة الفوسفور في التربة حول جذور النباتات تؤدي إلى تعطيل حركة الحديد وانتقاله من الجذور إلى الأوراق. كمية البيكربونات في مياه الري: إن وجود نسبة عالية من البيكربونات في محلول التربة المحيط بالجذور يضعف قدرة الجذور على امتصاص الحديد. وقد يكون التفسير لذلك بأن وجود نسبة عالية من البيكربونات في محلول التربة المحيط بالجذور يزيد من نسبة فوسفات التربة الذائبة وبالتالي يضعف من قابلية الحديد للامتصاص وخاصة في الأراضي الكلسية أو أن البيكربونات الممتصة من قبل الجذور تؤيد أيضاً إلى رفع رقم الـ PHعصارة الخلايا وبالتالي ترسيب الحديد ضمن

النبات على شكل معقدات قليلة الحركة وقليلة الفائدة في تلبية حاجات النبات الفيزيولوجية لهذا العنصر الغذائي.

كمية البوتاسيوم في التربة: إذ أنه في حال توفر عنصر البوتاسيوم في التربة بكميات كافية يؤدي إلى امتصاصه من النبات وبالتالي إلى طرح الهيدروجين الذي يساعد على ذوبان مركبات الحديد كما أن وجود البوتاسيوم يساعد على حركة الحديد داخل النبات نتيجة لتشجيع البوتاسيوم على تشكل حمص الستريك والذي يساعد عل حركة عنصر الحديد (الشيخ ، 1995).

نظام الري والصرف في الحقل له تأثير كبير على امتصاص الحديد من التربة، فزيادة مياه الري أو ارتفاع مستوى الماء الأرضي يؤدي لسوء تهوية التربة وخاصة إذا كان الصرف سيئاً مما يؤثر على ظروف الأكسدة والإرجاع في التربة فيتحول الحديد من الشكل القابل للامتصاص إلى الشكل غير القابل للامتصاص، إضافةً إلى أن سوء التهوية يؤثر على نشاط كثير من أنواع البكتيريا وفعاليتها في تحليل المادة العضوية.

تعتمد منطقة الدراسة على الري البعلي المغذي من سيول الوديان فعند غزارة الأمطار يرتفع مستوى الماء إلى أكثر من متر وتأخذ التربة وقت طويل حتى تجف من مياه السيول فيودي ذلك إلى سوء التهوية حول جذور الأشجار.

5. ذبول الفيوزاريوم Fusarium wilt

يسببه الفطر *Fusarium oxysporum f. sp. cucumerinum*

الأعــراض و الأضــرار:

يمكن للفطريات أن تصيب الأنواع المضيفة في أي مرحلة من مراحل تطور النبات فيحدث تعفن ما قبل ظهور البادرات والتخميد عندما تكون درجة الحرارة باردة 18–20 °C ومع ذلك فان عدوى النباتات القديمة هي الأكثر شيوعا. في بداية الأعراض يذبل واحد أو أكثر من السوق ثم يذبل النبات بأكمله، وفي بعض الحالات يحدث الانهيار (الذبول) المفاجئ دون أي اخضرار على الأوراق. تعتبر النباتات الناضجة المصابة والمثمرة عرضة لانهيار النبات. قد يكون نمو الميسيليوم mycelial الأبيض مرئيًا على الساق عند القاعدة من النباتات المصابة ويمكن رؤية تغير لون الأوعية إلى اللون البني في كل من الجذور والسيقان (صورة 14)، وتبدأ الأعراض في المراحل المتقدمة الجذور بالتحلل مما قد يؤدي إلى موت النباتات. يفضل فطر الفيوزاريوم درجات حرارة التربة الدافئة. يحدث المرض انهيار للأوراق السفلية في درجات حرارة دافئة [25–28 °C (77–82 درجة فهرنهايت)] والأوراق تتعافى تحت

درجات حرارة باردة. تبقى الفطريات على قيد الحياة كما الجراثيم الكلاميدية chlamydospores في التربة وفي بقايا النبات. يتم تنتشر الجراثيم الكلاميدية chlamydospores في التربة وبقايا النباتات خلال زراعة الحقول، و في مياه الري ، وبواسطة التربة والعمال. وأوضحت نتائج الفحص الميداني لهذه الدراسة أن السبب الرئيسي وراء إصابة أشجار الزيتون بهذا المرض هو زراعة القرعيات والمحاصيل البينية المجاورة لأشجار الزيتون إذ أن هذا المرض يهاجم القرعيات بصورة رئيسية.

(صورة 14) أعـراض الإصابة بمرض ذبول الفيـوزاريوم على أشجار الزيتون

أضـــرار أخرى ناتجة لأشجـــار الزيتون بوادي بني وليد من عوامل مختلفة

1- الأضرار الناتجة عن عمليات قطف وجني ثمار الزيتون:

ومنها القطف باستعمال العصا حيث تعتبر أسوأ طريقة لقطف ثمار الزيتون، حيث تسبب هذه الطريقة الأضرار الجسيمة للأشجار نتيجة تكسير الأفرع الصغيرة التي ستحمل المحصول في المواسم القادمة، إضافةُ إلى سقوط نسبة عالية من الأوراق، فكل هذه الأضرار تؤدي إلى تعرض الأشجار للإصابة بالحشرات والأمراض من جراء الجروح والكسور التي تحدثها. كما تؤدي إلى ارتفاع الحموضة % بالزيت نتيجة إحداث جروح في الثمار. أظهرت نتائج الدراسة في وادي بني وليد إلى أن25 % من المزارعين يقطفون ثمار الزيتون بالعصا، كما أن ضرب الشجرة بالعصا يلحق أضرار فادحة بالثمار ويقلل من فرص المنتوج الجيد في الموسم القادم بنسبة 20%.

2- الأضرار الناتجة من الحرائق:

تعاني مدينة بني وليد من حرائق سنوية في منطقة الفقهاء إلى جسر وادي بني وليد بسبب السلوك السيئ للتخلص من الحشائش بهذه المناطق، فأذى هذا السلوك الغير مسئول إلى اندلاع الحرائق بوادي

الزيتون نظراً لقربه من هذه المناطق وتسبب في حرق الكثير من أشجار الزيتون المثمرة وفي أخطر الحالات التي سجلت هي موت الأشجار نتيجة الحرائق.

3- الأضرار الناتجة عن الانجرافات الطبيعية وعوامل التعرية:

هطول الأمطار بشكل غزير خلال فترة قصيرة بوادي بني وليد يسبب انجراف التربة وفقدها لجزء من خصوبتها المتركزة في الطبقات السطحية مما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالأشجار وجذورها.

4- الأضرار الناتجة عن أعمال التجريف وحفر التربة:

تتسبب عمليات التجريف في إزالة الطبقة السطحية من التربة سواء بهدف صناعة الطوب الأحمر أو لنقل هذه التربة لتربة رملية بغرض رفع محتواها من العناصر الغذائية. ومن أعمال الحفر بوادي بني وليد مسالك عبور السيارات بين الأشجار وبناء الطرق الفرعية، حيث تتسبب في رفع الغبار على الأشجار وإزالة الطبقة السطحية الخصبة من التربة الغنية بالمواد اللازمة لنمو النبات مما يترتب عليه إلحاق الضرر بالأشجار ونقص إنتاجيتها من المحاصيل.

5- الأضرار الناتجة عن انهيار السدود القديمة:

تسببت انهيار عدد من السدود القديمة بوادي بني وليد إلى عدة أضرار تمثلت في حدوث انجرافات للتربة بسبب جريان الماء وبالتالي عدم احتفاظ أشجار الزيتون المغروسة بكميات الماء الكافية لحاجة النبات.

6- مشكلة إهمال عمليات التقليم لأشجار الزيتون بوادي بني وليد:

من الأمور المناخية الغير مناسبة والتي تسبب في عدم التزهير وعقد الثمار لأشجار الزيتون هي عدم تعريض الأشجار لضوء الشمس وتواجدها في الظل، فمن الملاحظ أن ثمار الزيتون تكون على الجزء الخارجي من الأغصان المعرضة للشمس، فإذا لم تتعرض شجرة الزيتون إلى الشمس فلن تحمل ثمار أيضاً. فعندما تهمل عمليات التقليم لأشجار الزيتون تزداد مشكلة التضليل، فلا تصل أشعة الشمس إلى كامل الأشجار وبالتالي تتأخر أشجار الزيتون في الحمل وعقد الثمار. ومن المشاكل الأخرى الناتجة عن عدم تقليم أشجار الزيتون بمنطقة الدراسة هي زيادة الرطوبة حول الأشجار لعدم تعرضها لضوء الشمس.

ولعل من الأمور التي تواجه أشجار الزيتون في وادي بني وليد هي مشكلة العطش والجفاف، فالمنطقة تعتمد على مياه الأمطار فالري بعلي، حيث تواجه الأشجار مشكلة الجفاف في فصل الصيف والربيع لعدم توفر مياه الري، فبالتالي قد يكون هذا الأمر له علاقة بتأخر التزهير وعقد الثمار للأشجار. وقد تكون مشكلة الجفاف الناتجة لأشجار الزيتون لها علاقته بنسبة الإصابات بالآفات الحشرية التي تصيب الأشجار، فمن خلال ملاحظات سجلت خلال الزيارات الميدانية لمنطقة الدراسة أثناء الفحص

الدوري لأشجار الزيتون المصابة، تبين أن هناك تفاوت في حجم الإصابات بين الأشجار، فعلى سبيل المثال الأشجار التي كانت تعاني من الجفاف نظراً لقلة مياه الري لوحظ أنها أكثر عرضة للإصابة بالآفات الحشرية مقارنةً بالأشجار المروية. ولعل الأمر وراء ذلك هو دخول الماء في الأنفاق التي سببتها الآفات الحشرية وبالتالي موت اليرقات والحشرات البالغة.

الاستنتاج والتوصيات:

من خلال هذه الدراسة التي أجريت على أشجار الزيتون بوادي بني وليد، خلصت هذه الدراسة إلى وجود أربعة أصناف زيتون محلية مزروعة تتراوح أعمارها ما بين 250 – 350 سنة، وإلى وجود ثلاثة أصناف أجنبية تتراوح أعمارها من 5–12 سنة. كما خلصت إلى أن زراعة الزيتون يعتبر من أهم الزراعات التقليدية البعلية في وادي بني وليد، حيث تشكل الأشجار المثمرة مصدراً رئيساً من مصادر الإنتاج الزراعي في مدينة بني وليد، كما تحتل مكانة هامة بين عناصر الإنتاج الغذائي من خلال تلبيتها لجزء من المتطلبات الاستهلاكية الغذائية للسكان، وأن عدد أشجار الزيتون بمنطقة الدراسة فقط تبلغ 35 ألف شجرة زيتون تكون زراعتها غير متماثلة.

إن معدل الإنتاج في محصول الزيتون كان متدني في الخمس سنوات الماضية نتيجة لتعرض أشجار الزيتون لظروف مناخية وبيئية متباينة، ونتيجة لتدبدب الري بمنطقة الدراسة وذلك لأن زراعتها تعتمد على الري البعلي، إضافةً إلى انتشار الآفات والأمراض التي أصابت أشجار الزيتون والتي تركت أثراً سلبياً على الإنتاج كماً ونوعاً خاصةً عندما أهملت عمليات المكافحة خلال السنوات الماضية. وجود عوامل أخرى تسببت في قلة الإنتاجية كعدم الاهتمام بالعمليات الزراعية كالتقليم والتسميد والأضرار الناتجة من والانجرافات الطبيعية وعوامل التعرية والحرائق وأعمال تجريف وحفر التربة بوادي بني وليد.

من خلال الزيارات الميدانية لوادي الزيتون خلصت هده الدراسة إلى أن عدد كبير من المزارعين يقومون بعمليات قطف ثمار الزيتون بالطرق التقليدية وعدم وجود أي تقنيات حديثة نتيجة لارتفاع أسعارها. من الطرق التقليدية الشائعة لجني ثمار الزيتون في منطقة الدراسة هي استعمال العصا حيث تعتبر أسوأ طريقة لقطف الثمار، حيث تسبب هذه الطريقة الأضرار الجسيمة للأشجار نتيجة تكسير الأفرع الصغيرة التي ستحمل المحصول خلال السنوات القادمة.

من خلال الزيارات الميدانية إلى المعاصر بمدينة بني وليد تبين أن المزارعين يقومون بترك المحصول مدة طويلة قبل عملية استخلاص الزيت مما يتسبب في تدني جودة الزيت المعصور نتيجة لارتفاع نسب الحموضة به، والسبب في ارتفاع نسب الحموضة بالزيت يعود إلى بعض الفطريات التي تنمو في درجة رطوبة عالية داخل أكياس الزيتون قبل عملية استخلاص الزيت.

وبناءً على دراسة الحالة بوادي الزيتون وعلى كل ما تقدم فان هذه الدراسة توصي بالاتي:

أولاً: الاهتمام بأشجار الزيتون المحلية بشكل خاص من حيث التقليم والري والتسميد قبل وبعد جني ثمار الزيتون، والعمل على تحسين البيئة الزراعية من خلال تطوير أساليب العناية واستخدام الأسمدة ومكافحة الأمراض المنتشرة في أشجار الزيتون بوادي بني وليد، حيث أتجه الكثير من المزارعين إلى زراعة الأصناف الأجنبية باعتبارها تشغل حيزاً أقل من حيث المساحة وتجاهل الاهتمام بالأصناف المحلية وهذا يشكل تهديداً على الإنتاج المحلي.

ثانياً: عقد دورات تدريبية وورش عمل ومؤتمرات توعوية للمزارعين على مستوى الوقاية من الآفات والأمراض وإعداد البرامج والدراسات الفاعلة لتنمية وتطوير مزارع أشجار الزيتون.

ثالثاً: لمكافحة سوسة أغصان الزيتون يوصي بعمل مكافحة بيولوجية عن طريق تربية الدبابير لتتغذى على حشرات سوسة أغصان الزيتون .الرش بالمبيدات الحشرية مثل الدايميثوات ويوصي باستخدامها قبل خروج الحشرات من الخشب وتكون المكافحة في شهري مارس وإبريل. كما نوصي بمجموعة من الإجراءات الوقائية كمتابعة أغصان الشجر والأفرع لأشجار الزيتون للتأكد من عدم وجود الآفات الحشرية، أيضا التوازن في عمليات التسميد والتخلص من الأفرع المصابة بالحرق.

رابعاً: لمعالجة أعراض نقص الحديد نوصي بإجراء العمليات الزراعية كتهوية التربة بشكل جيد عن طريق تقليب التربة حول جذور النباتات، إضافة المادة العضوية المتخمرة بشكل جيد مرة كل سنتين وبمعدل 1.5– 3 م^3 للهكتار وخلطها جيداً في التربة، إجراء التسميد الكيميائي المتوازن بالمعدلات اللازمة. دهن مكان التقليم وخاصة للفروع الكبيرة بالمركبات الحديدية.

خامساً: إلغاء الزراعة بين أشجار الزيتون وخاصةً النباتات القرعية والبينية وذلك لتفادي انتقال المسببات المرضية كفطر الفيوزاريوم، حيث تعتبر هذه النباتات السبب الرئيسي في انتقاله إلى أشجار الزيتون.

سادساً: تسوية التربة بمنطقة الدراسة وترميم وصيانة السدود القديمة (الرباط).

سابعاً: مكافحة الحشائش ومتابعة عمليات التقليم لأشجار الزيتون.

ثامناً: باعتبار أن منطقة الدراسة تعتمد على الري البعلي، فنوصي بصيانة الآبار الموجودة بوادي بني وليد والمنطقة المحيطة بها وعددها 30 بئر للاستفادة منها في عمليات الري خلال فصل الصيف في حالة عدم توفر مياه الأمطار.

الشكر والتقدير Acknowledgment

يتوجه الباحثان بجزيل الشكر والتقدير إلي جميع الزملاء العاملين بقطاع الزراعة بمدينة بني وليد على رحابة صدورهم والمساعدة في الحصول على بعض المعلومات اللازمة عن منطقة الدراسة (وادي الزيتون– بني وليد).

المراجع:

ابوعرقوب ، محمود موسى (1998). آفات وأمراض الزيتون ، الطبعة الأولى، المكتبة الأكاديمية للنشر – القاهرة– مصر.

العكيدى ، حسن خالد حسن (2000). الزيتون وزيت الزيتون (تكنولوجيا الزراعة والتصنيع) ، دار زهران للنشر والتوزيع– عمان– الاردن.

حسن ، طه الشيخ (1995). الزيتون (زراعتة – خدمتة – تصنيعة – آفاتة) ، الطبعة الاولى ، منشورات دار علاء الدين.

عبد الفتاح ، شحاته احمد (2003). زيت الزيتون ، الصحفية الزراعية، وزارة الزراعة، القاهرة – مصر.

عمار، آ. م.، & محمد، آ. (2018). العوامل الطبيعية المؤثرة في زراعة الاشجار المثمرة بليبيا دراسة جغرافية. مجلة البحث العلمي في الآداب، 19(العدد التاسع عشر الجزء السادس)، 1-24.

فرج ، رضوان صدقى (1995). التحاليل الطبيعية والكيماوية للزيوت والدهون ، الطبعة الأولى ، المكتبة الأكاديمية للنش – القاهرة– مصر.

قاعدة بيانات منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة FAOSTAT بتاريخ 2019/7/4

قيلة، ع. أ. ص. أ.، & فارس، ع. م. (2010). دراسة مرجعية أولية حول الخسائر الاقتصادية الناتجة عن إصابة الزيتون في ليبيا Dacus oleae Cmel بذبابة ثمار الزيتون.

Alazragh, A. A., Geheder, M. A., Omar, A. B., & Faraj, F. A. (2021) دراسة بعض المؤشرات لإنتاج الزيتون لعينة مختارة من مزارعي مدينة ترهونة. *Journal of Pure & Applied Sciences, 20(2)*, 41-48.

المراجع الأجنبية English References

Baldioli, M., Servili, M., Perretti, G., & Montedoro, G. (1996). Antioxidant activity of tocopherols and phenolic compounds of virgin olive oil. *Journal of the American Oil Chemists' Society,* 73(11), 1589-1593.

Clodoveo Connor, D. J., & Fereres, E. (2005). The physiology of adaptation and yield expression in olive. *Horticultural reviews, 31*, 155-229.

Conte, L., Milani, A., Calligaris, S., Rovellini, P., Lucci, P., & Nicoli, M. C. (2020). Temperature dependence of oxidation kinetics of extra virgin olive oil (EVOO) and shelf-life prediction. *Foods, 9*(3), 295.

Gulfraz, M., Kasuar, R., Arshad, G., Mehmood, S., Minhas, N., Asad, M. J., . . . Siddique, F. (2009). Isolation and characterization of edible oil from wild olive. *African Journal of Biotechnology, 8*(16), 3734-3738.

Gutfinger, T.(1981). Polyphenols in olive oil . J. Am. Oil Chem. Soc., 58: 966-968.

Ismail, A. (1998). Studies on the production and quality of pure olive oil. *Egyptian Journal of Agricultural Research (Egypt).*,76 (2):825.

Kiritsakis, A. (1998). Flavor components of olive oil—A review. *Journal of the American Oil Chemists' Society, 75*(6), 673-681.

Mailer, R. (2005). Variation in oil quality and fatty acid composition in Australian olive oil. *Australian Journal of Experimental Agriculture, 45*(1), 115-119.

Mele, M. A., Islam, M. Z., Kang, H.-M., & Giuffrè, A. M. (2018). Pre-and post-harvest factors and their impact on oil composition and quality of olive fruit. *Emirates Journal of Food and Agriculture,* 592-603.

Tsimidou, M. (1999). *Analysis of virgin olive oil polyphenols*. Paper presented at the Seminars in food analysis.

Visioli, F., & Galli, C. (1998). The effect of minor constituents of olive oil on cardiovascular disease: new findings. *Nutrition reviews*, 56(5), 142-147.

Vinha, A. F., Ferreres, F., Silva, B. M., Valentao, P., Gonçalves, A., Pereira, J. A., . . . Andrade, P. B. (2005). Phenolic profiles of Portuguese olive fruits (Olea europaea L.): Influences of cultivar and geographical origin. *Food chemistry*, *89*(4), 561-568.

دراسة مختبرية لتقييم كفاءة عامل المكافحة الأحيائية الترايكوديرما ضد مرض الذبول وتعفن الجذور الفيوزاريومي على أشجار الزيتون

د. فاتح عمر عجاج زيدان –كلية الزراعة –جامعة بني وليد
د. محمد نافع السطيل –كلية الزراعة –جامعة بني وليد

الملخص:

أجريت سلسلة من التجارب المختبرية لدراسة كفاءة عزلة فطر التضاد *Trichoderma longibrachiatum* ضد فطر الفيوزاريومي المسبب مرض الذبول وتعفن الجذور لأشجار الزيتون. أظهرت النتائج المختبرية أن عامل المكافحة الأحيائية الترايكوديرما يمتلك العديد من الآليات أتجاه الفطر الممرض والقدرة التطفلية العالية المتمثلة في الغزو والتبوغ على مستعمرة الفطر الممرض، إضافة إلى إنتاج مركبات محللة لخيوط الفطر ومواد متطايرة مضادة لها قدرة على تثبيط فطر الذبول وتعفن الجذور الفيوزاريومي *Fusarium solani*، كما أوضحت نتائج الفحص المُجَهري نمو هيفا الفطر المُضاد بموازاة هيفا المُمْرض والتفافها بشكل حلزوني حولها مُسببةً انكماشها وتحللها، بالإضافة إلى اختلاف قطر هالة التحلل في ميسليوم الفطر المُمْرض عند التلامس المُباشر مع ميسليوم الفطر المُضاد في وسط الزرع، كما بينت النتائج قدرة الفطر المُضاد على إنتاج مواد طيارة يمكنها تثبيط نمو الفطر الممرض،

الكلمات المفتاحية: المكافحة الأحيائية، الزيتون ، التطفل، *Trichoderma* spp.

Abstract:

Laboratory Study to Evaluate Efficacy of control agent Trichoderma against wilt and root rot disease on olive tree

A series of laboratory experiments were conducted to study the efficiency of isolates of *Trichoderma longobrachtium* against the fungus Fusarium that causes wilt and root rot disease of olive trees. In addition to the production of fungus filament-dissolving compounds and ant-volatile substances that

have the ability to inhibit wilt and Fusarium root rot, The results of the microscopic examination showed the growth of anti-fungus hypha in parallel with the pathogenic hypha and spirally wrapped around it, causing its shrinkage and decomposition, in addition to the difference in the diameter of the decomposition halo in the mycelium. Upon direct contact with the antifungal mycelium in the culture medium, the results also showed the ability of the antifungal to produce volatile substances that can inhibits the fungus.

Key Words: Biological control, Olive, Parasite, *Trichoderma* spp

المقدمة

زاد الاهتمام كثيراً في السنوات الأخيرة بالبحث عن طرائق مكافحة آمنة بيئياً باستخدام الجراثيم والفطريات كعوامل مكافحة حيوية للممرضات النباتية، حيث يعتمد نجاح المكافحة الأحيائية للممرضات النباتية على الفهم الدقيق للعلاقات البيئية لمختلف المجتمعات الإحيائية المشتملة على الممرضات النباتية وعوامل المكافحة الأحيائية وأصبحت العديد من الكائنات الحية من العوامل الحيوية في صورة مبيدات إحيائية ضد العديد من الممرضات القاطنة في التربة وتمثل المبيدات الفطرية الأحيائية 50% من باقي المبيدات الأحيائية المستخدمة على نطاق تجاري في المجال الزراعي ومن أبرز عوامل المكافحة أنواع من جنس .Trichoderma spp على العديد من الفطريات الممرضة للنبات وخصوصاً قاطنات التربة، لما تمتاز به من قدرة تضادية عالية وآليات متنوعة كإفراز العديد من الإنزيمات، بتطفلها على أنواع فطرية أخرى، التغلب على المواد المثبطة المنتجة من قبل أنواع حية أخرى بما فيها النباتات، تحفيز الوسائل الدفاعية لدى النبات ضد المسببات الممرضة للنبات، وبقدرتها على تفكيك المواد الكيميائية التي تلوث التربة كالسيانيد الناتج عن الصرف الصحي، بالإضافة إلى سهولة عزلها وسرعة نموها وتكاثرها .(Mustafa., 2009: Harman., 2004) مع تنامي الوعى البيئي والصحي والتعرف على المخاطر الناجمة عن استعمال المبيدات الكيماوية وما لها من أضرار بالغة الخطورة على الكائنات النافعة غير المستهدفة في عمليات المكافحة كالمفترسات والطفيليات، واكتساب الآفات والأمراض مقاومة لفعل المبيدات جراء الاستخدام المستمر والمكثف لها، ظهور آفات رئيسية بعد أن كانت آفات ثانوية غير مهمة اقتصاديا وزيادة كلفة الإنتاج من خلال زيادة أسعار المبيدات (Aktar., et al., 2009) ، خلال الخمسين السنة الماضية تم تصنيع حوالي 75.000 مادة كيميائية جديدة أدخلت إلى بيئتنا، كما تعد مصدر تلوث الماء والهواء والتربة،

بالإضافة إلى التأثير السيء على صحة الإنسان من خلال المتبقيات السامة على الأوراق والثمار (سحر.، 2010). ونتيجة للأضرار الكبيرة التي يحدثها فطر الذبول وتعفن الجذور الفيوزاريومي *Fusarium solani* لأشجار الزيتون *Olea europaea* L. ، لما يتميز به الفطر من تحمله للظروف البيئية القاسية، والمدى العائلي الواسع، وإفرازه إنزيمات ومواد سامة مثل حمض الفيوزاريك Fusaric acid، إضافة إلى النمو السريع للفطر ويستطيع أيضاً إنتاج أعداد كبيرة من الأبواغ الفعالة في إحداث الإصابة وخصوصاً الأبواغ الكلاميدية التي تبقى حية في تربة الحقل مترممة إلى الأبد تقريباً وهذا يجعل المقاومة عن طريق الدورة الزراعية أو العمليات الزراعية الأخرى غير عملية بما أن طبيعة فطر الذبول وتعفن الجذور تكون داخل الأوعية الخشبية للنبات، جعلت المبيدات الكيميائية غير مجدية في مكافحة المرض، والتأثيرات الرئيسية لهذه المسببات المرضية الوعائية هي تعطيل مرور الماء خلال الساق، ويمكن أن يعزى هذا إلى وجود مسيليوم الكائن الممرض، وتكوين التيلوزات Tyloseses التي تسد الخشب، وإلى التصمغ الذي يتكون بداخل الأوعية الناقلة، إن هذه الميكانيكيات يعتقد أنها تؤدي إلى فشل جزء من الأوعية الخشبية في نقل كميات مناسبة من الماء إلى أعضاء هوائية أخرى. وأن الذبول يتسبب في الاختلال الوظيفي في نفاذية الخلية الناتج من التوكسينات (شريف.، 2012). لأهمية أشجار الزيتون بليبيا أجرينا هذه الدراسة بغية التحقق من كفاءة فطر الترايكوديرما في مكافحة مرض الذبول وتعفن الجذور على أشجار الزيتون .

المواد وطرائق العمل:

عزل وتنقية الفطرين: الفطر الممرض *Fusarium solani* وفطر المكافحة الأحيائية *Trichoderma longibrachiatum*

تم إعادة تنمية عزل الفطر الممرض *Fusarium solani* المسبب مرض الذبول وتعفن الجذور الفيوزاريومي في أشجار الزيتون، سبق أن سجلت الإصابة من قبل الباحثين (زيدان.، وآخرون.، 2017) محفوظة في أنابيب حفظ العينات الفطرية تحوي على المستنبت الزراعي بطاطس سكروز آجار PSA بمختبر قسم وقاية النبات كلية الزراعة، جامعة بني وليد وأخذت جزء من عزلة الفطر على المستنبت الزراعي بطاطس سكروز آجار PSA ، في أطباق بتري وأضيف إليه قبل تصلبه المضاد الحيوي كلورامفينيكول Chloramphenicol بمعدل 0.5 ملغم/لتر، واستخدمت ثلاث مكررات لكل معاملة وتلاث أطباق بدون المضاد الحيوي، شرائح زجاجية من النموات الفطرية الهوائية

من المستنبت الزراعي بعد 7 أيام من عملية تحصين الأطباق على درجة حرارة 25 ± 2 °م، وعرف الفطر إلى مستوى النوع وذلك اعتماداً على المراجع المتخصصة متضمنة الخصائص المظهرية (لون وشكل المستعمرات الفطرية) والمجهرية) الأبواغ الكونيدية الصغيرة Microconidia ، والأبواغ الكبيرة Microconidia, والأبواغ الكلاميدية .(Chlamdospora والتأكد من عدم حصول تلوث للعينة بكائنات دقيقة أخرى، وتم تأكيد إعادة عزل الفطر وتعريفه استنادا إلى الصفات التشخيصية المذكورة من قبل .(Summerell., et al., 2003; Leslie., et al., 2006) بعد ذلك كررت تنمية الفطر بدون إضافة المضاد الحيوي وسجلت النتائج بعد أسبوع من إجراء التحضين للأطباق بتري قطر 9 سم. أما عزلة فطر المكافحة الأحيائية تم الحصول على مستعمرة فطرية نقية من فطر *Trichoderma longibrachiatum* من مختبر أمراض النبات بقسم وقاية النبات – كلية الزراعة– جامعة طرابلس/ ليبيا، عزلة محلية مجربة على بعض ممرضات النخيل والزيتون، شخصت بالمعهد الدولي للفطريات (International Mycological Institute) في بريطانيا .

مرحلة تصبيغ العينات:

الدراسة المجهرية تمت بتجهيز شريحة زجاجية نظيفة وجافة توضع عليها عينة من الفطر مصبوغة بكاشف اللأكتوفينول (lactophenol) المحضر كما يلي : تذاب 40 جم من بلورات الفنينول phenel.في 20 مل ماء مقطر وعلى لهب هادئ يضاف اليها خليط من 20غم جليسرين مع 20 مل من حمض اللاكتيك. باستعمال العدسات القياسية Ocular lenses بقوة تكبير 100× للمجهر الضوئي وفحصت الخيوط الهوائية، الأبواغ الكونيدية الصغيرة والكبيرة والأبواغ الكلاميدية. أخذت صور للشرائح الزجاجية باستعمال آلة تصوير بالمجهر الضوئي.

آليات تأثير عامل المقاومة الأحيائية *T. longibrachiatum* على الفطر الممرض *F. Solani* مختبرياً:

اختبار الكفاءة التنافسية لعامل المكافحة الأحيائية ضد الفطر الممرض الفيوزاريومي :

اختبرت الكفاءة التنافسية لعزلة محلية من عامل المكافحة الترايكوديرما *Trichoderma longibrachiatum*، ضد الفطر الممرض الذبول وتعفن الجذور في أشجار الزيتون وباستخدام المستنبت الغذائي PSA بطاطا سكروز آجار، والتحضين على درجة حرارة 25 ± 2 °م، نفذت

التجربة باعتماد طريقة الزرع المزدوج لاختبار قدرة الفطر الترايكوديرما بعزلة ضد الفطر الممرض، إذ قسم طبق بتري حاوي على المستنبت الزراعي PSA إلى قسمين متساويين، ولقح مركز القسم الأول بقرص قطرة 0.5 سم من المستنبت الزراعي النامي علية فطر عامل المكافحة الإحيائية الترايكوديرما أما مركز القسم الثاني فقد لقح بقرص مماثل من نمو الفطر. *F. solani*، مع تنفيذ معاملة مقارنة وذلك بتلقيح مركز القسم الأول من الطبق بالفطر الممرض فقط وكررت كل معاملة أربعة مرات، وضعت الأطباق في الحاضنة في درجة حرارة 25 ± 2° م ، وبعد وصول نمو الفطر *F. solani* في معاملة المقارنة إلى حافة الطبق تم قياس معدل أقطار نمو الفطر الممرض في معاملات التجربة، وتم تحديد درجة التضاد حسب الطريقة الموصوفة من قبل. (Bell, 1982)

1- الفطر المضاد يغطي الطبق بكامله.

2- الفطر المضاد يغطي ثلثي مساحة الطبق.

3- الفطر المضاد والفطر الممرض يغطي لكل منهما نصف مساحة الطبق.

4- الفطر الممرض يغطي ثلثي من مساحة الطبق.

5- الفطر الممرض يغطي الطبق بكامله .

ويعد الفطر الذي يظهر درجة تنافسية 2 أو أقل له قدرة تنافسية عالية.

2-3-2-1 دراسة تأثير راشح مستعمرات فطر المكافحة الحيوية في نمو الفطر الممرض:

حضر المستنبت الزراعي .PS ووزع في دوارق زجاجية مخروطية حجم 250مل بمعدل 100مل/دورق، وعقم بجهاز التعقيم البخاري عند حرارة 121 °م وضغط 15 رطل/بوصة لمدة 20 دقيقة، وأضيف له المضاد الحيوي Chloramphenicol 250ملغم/لتر، تركت لكي تبرد ولقحت الدوارق بأقراص الفطر الممرض *F. solani* ، حيت وضع 5 مل و10مل من راشح الفطر *T. Longibrachiatum*، للدوارق بواقع ثلاث مكررات لكل معاملة وتركت معاملة الشاهد بدون إضافة. أضيف مقدار من الراشح إلى 90 مل من المستنبت الزراعي PSA المعقم وخلط جيدا لكي يتجانس الوسط. وتم صب الوسط الزراعي في الأطباق وترك ليتصلب بعدها تم تلقيح الأطباق بالفطر الممرض وحضنت عند درجة حرارة 25 °م وأخذت النتائج بعد أن غطى الفطر الممرض كامل مساحة الطبق 9سم في معاملة المقارنة. تم قياس معدل النمو الفطري بأخذ معدل قطرين متعامدين يمران بمركز

الطبق بعد وصول نمو الفطر في معاملة الشاهد إلى حافة الطبق وحسبت النسبة المئوية لتثبيط النمو الفطري حسب المعادلة التالية:

$$\% \text{ لتثبيط النمو} = \frac{\text{معدل النمو الشعاعي في المقارنة} - \text{معدل النمو الشعاعي في المعاملة}}{\text{معدل النمو الشعاعي في المقارنة}} \times 100$$

دراسة التضاد الحيوي بواسطة إفراز المواد المتطايرة:

أجريت هذه الدراسة لمعرفة قدرة فطر المكافحة الأحيائية *T. Longibrachiatum* على إفراز المواد المتطايرة وتأثيرها على تثبيط فطر الذبول وتعفن الجذور الفيوزاريومي *F. solani* ، زرعت قطعة 5 ملم من طرف مستعمرة فطر الترايكوديرما بعمر ثلاثة أيام في مركز طبق بتري يحتوي المستنبت الزراعي PSA، وحضنت لمدة ثلاثة أيام في حرارة 25 ±°م، ثم أزيل غطاء طبق بتري المحتوي عل مستعمرة فطر التريكوديرما وأطبق على قاعدته بقاعدة طبق بتري آخر يحتوي P.D.A وضع في مركزه قطعة 5 ملم من طرف مستعمرة الفطر للمرض الفيوزاريومي بعمر ستة أيام ثم الصقت القاعدتان المتقابلتان بشريط لاصق، أما معاملة الشاهد فقد وضع قاعدة طبق بتري آخر احدهما يحتوي المستنبت المغذي PSA فقط . وتم قياس نصف قطر مستعمرة الفيوزاريوم في معاملة الترايكوديرما ونصف قطر مستعمرة الفيوزاريوم في معاملة الشاهد وتم تطبيق معامل التثبيط حسب معامل التثبيط .

قدر معامل التثبيط باستخدام المعادلة:

حيث:

$$\text{معامل التثبيط \%} = \frac{\text{نق1} - \text{نق2}}{\text{نق1}} \times 100$$

نق1 = متوسط نصف قطر مستعمرة الفطر الممرض في معاملة الشاهد مم (عرضاً من متوسط نصف القطر الأكبر لمستعمرة الفطر الممرض في بيئة التفاعل والذي يتأثر بها الفطر الممرض طول المستعمرة وعرضها " بمنتجات استقلاب فطر المكافحة الحيوية ومقدرته التنافسية على النمو في المستنبت الغذائي وقدرته على التطفل).

نق2 = متوسط نصف القطر مستعمرة الفطر الممرض في بيئة التفاعل بوجود فطر المكافحة الحيوية مم، وللمدة نفسها.

حللت النتائج إحصائيا وفق برنامج SPSS واختبار ANOVA وحسبت قيمة أقل فرق معنوي LSD. 0.5.

دراسة التضاد لعامل المكافحة الأحيائية ضد الفطر الممرض الفيوزاريومي مجهرياً:

دراسة العلاقة المجهرية:

ولدراسة العلاقة المجهرية بين الفطرين حضرت ثلاثة أطباق بتري زجاجية يحتوي كل طبق شريحة زجاجية. عقمت الأطباق بعد تغليفها بورق الألمنيوم في المعقام. تركت الأطباق لتبرد ثم وضعت في غرفة العز ل وصب فيها طبقة رقيقة جداً من المعقم بحيث تغطي الشريحة بطبقة رقيقة جداً من الوسط الزرعي PSA . وضع قرص من النمو لعامل المكافحة الأحيائية الترايكوديرما والفطر الممرض الفيوزاريومي على بعد 1 سم من حافتي الشريحة بحيث تواجهه احدهما الأخرى. وضعت الأطباق في الحاضنة عند درجة حرارة25 ± 2°م، فحصت منطقة التقاء عامل المكافحة الأحيائية مع الفطر الممرض لدراسة العلاقة المجهرية بعد 5، 7، 14 يوم من الزراعة.

النتائج والمناقشة:

عزل مزرعة نقية من الفطر الفيواراريومي:

أوضحت نتائج العزل والتنقية في الشكل (1) للفطر *F. solani* صفاته المظهرية والتشخصية على المستنبت الزراعي PSA والحاوية على المضاد الحيوي كلورامفينيكول Chloramphenicol ظهور نمو الخيوط الفطرية الهوائية بلون أبيض قطني على السطح العلوي للأطباق يلامس غطاء الطبق بعد سبعة أيام من إجراء التجربة على درجة حرارة 25 °م ± 2 بينما كان السطح السفلي ذو مظهر كريمي الشكل لون كريمي بدون تكون صبغات زرقاء، وعندما تمت إضافة المضاد الحيوي كلورامفينيكول Chloramphenicol بمعدل 0.5 ملغم/لتر، لمنع نمو المستعمرات البكتيرية للمستنبت الزراعي PSA لوحظ تكون صبغات زرقاء على السطح السفلي للأطباق، وتتفق هذه النتائج مع ما ذكره (Barreto, *et al.*, 2003). وربما يعزى إلى أن المضاد الحيوي له دور في التعطيل الجيني في الفطر عن إفراز إنزيم محلل Degratative enzyme هو المسؤول عن إنتاج الصبغات

الزرقاء، ويشير المرجع العلمي (شريف.، 2012) بأن خلايا جميع الأحياء ومنها الممرضات الفطرية تمتلك بطارية من الأنزيمات التي تعجل معظم التفاعلات في الخلية، وأن عملية تعطيل عمل الإنزيم أو تثبيطه بواسطة مواد كيميائية تسمى المثبطات يؤدي على توقف التفاعل الذي يعجله الإنزيم.

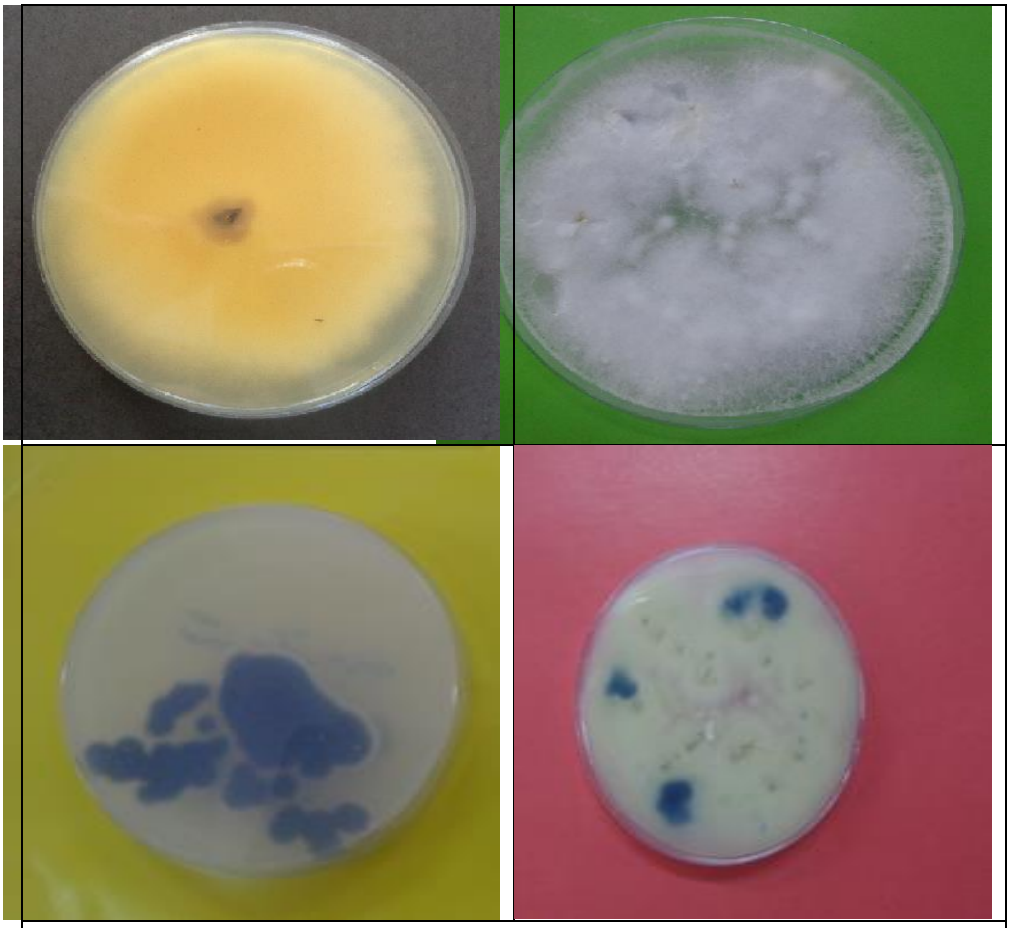

شكل (1): مستعمرة الفطر (يمين) الجهة العلوية نمو ابيض قطني، (يسار) الجهة السفلية لون كريمي، الجهة السفلية. ولون كريمي مع وجود صبغات زرقاء اللون للفطر *Fusarium solani*، المسبب مرض عفن الجذور لأشجار الزيتون على التوالي.

الفحص المجهري:

كما أظهر الفحص المجهري الشكل (2) للمسبب المرضي *F. solani* وجود ثلاثة أنواع من الأبواغ، أبواغ كونيدية صغيرة (Microconidia) بيضاوية أو كلوية الشكل ذات خلية واحدة أو خليتين، أما الأبواغ الكونيدية الكبيرة (Macroconidia) فكانت هلالية الشكل، الخلية القاعدية تكون قدمية أو أسطوانية أما الخلية القمية تكون غير حادة ومدوراه، مقسمة إلى 3 حواجز عرضية تنتج على حوامل مفردة (Monophailides) طويلة. أما الأبواغ الكلاميدية فلوحظت بشكل مفرد أو في سلسلة قصيرة طرفية وبينية وأحياناً داخل الأبواغ الكونيدية الكبيرة. هذه الصفات تطابق الصفات المزرعية والمجهرية للفطر *Fusarium saloni* المسبب لمرض عفن الجذور.

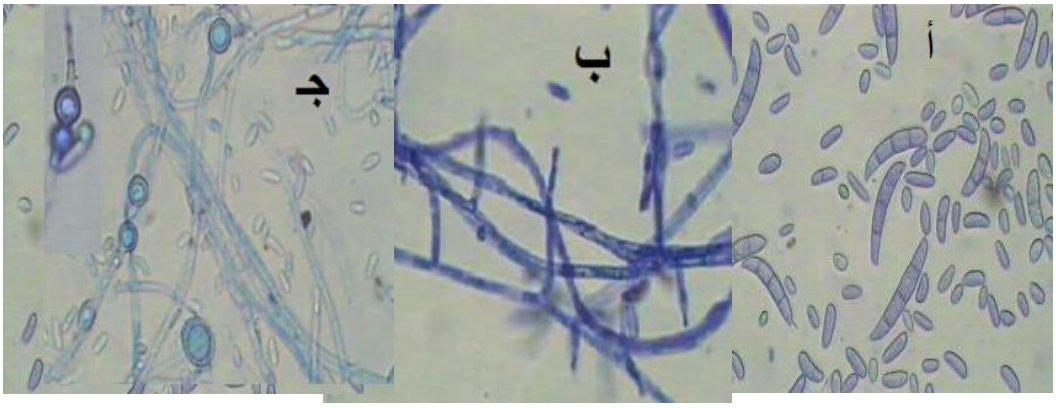

شكل (2) : (أ). الأبواغ الكونيدية الصغيرة وحيدة الخلية وثنائية الخلية، الأبواغ الكونيدية الكبيرة هلالية الشكل. (ب). حوامل مفردة Monophailides طويلة. (جـ). الأبواغ الكلاميدية، للفطر *Fusarium solani*، المسبب مرض عفن الجذور لأشجار الزيتون. تحت قوة تكبير 100×.

آليات تأثير فطر المقاومة الأحيائية في الفطر الممرض مختبرياً:

اختبار الكفاءة التنافسية لعامل المكافحة الأحيائية ضد الفطر الممرض الفيوزاريومي:

بينت النتائج الشكل (3) باستعمال تقانة الزرع المزدوج مقدرة الفطر الترايكوديرما في كبح نمو فطر تعفن الجذور الفيوزاريومي تحت ظروف المختبر عند درجة حرارة 25 ± 2°م، حيث تميز عامل المكافحة الأحيائية بسرعة نمو سريعة مقارنة مع الفطر الممرض، فكان في اليوم السابع من المواجهة يغطي ثلثي مساحة الطبق أي مقدرة تضادية عالي تمثلت بدرجة 2 بمعدل مقياس (Bell., 1982)

بينما لم تحتل عزلة الفطر الممرض سوى مساحة الثلث من الطبق، كما لوحظ بعد أسبوعين من الزرع قد غزت ونمت عزلة عامل المكافحة الأحيائية كافة أطباق بتري في المعاملة وتبوغت على مستعمرات الفطر الممرض الفيوزاريومي وتثبيط نمو وانتشار الغزل Mycelium الفطري للمُسبب المرضي، وأثبت الفحص المجهري أن هناك تلامس مباشراً بين مستعمرات فطر المكافحة الحيوية الترايكوديرما ومستعمرات الفطر الممرض الفيوزاريومي، تلاه نمو مستعمرة عامل المكافحة فوق سطوح مستعمرات الفطر الممرض والتفاف الغزل الفطري للمكافحة على الغزل الفطري للممرض مما يدلل على أن عامل المكافحة الأحيائية يحصل على غذائه من الفطر الممرض عن طريق إرسال تراكيب تتغلل داخل خلايا الفطر الممرض أو يلتف حول الغزل الفطري للمرض مكوناً لولب Coila أو تركيب ضاغطة Apprisoria تخترق خلايا الغزل الفطري للمرض ويمتص غذائه منه، هذا ما تؤكده الدراسات السابقة (الجراح، وآخرون.، 2015) التي أجريت على تقييم كفاءة عزلة محلية لعامل المكافحة الأحيائية *Trichoderma virida* ضد الفطر *Macrophomina phaseolina* المسبب المرضي للعفن الفحمي على بعض نباتات العائلة البقولية. كما تتفق هذه النتائج مع (العيداني، وآخرون.، 2005) على قدرة أنواع من الترايكوديرما في تثبيط وكبح نمو الفطر الممرض . *Fusarium graminearium* المسبب مرض التعفن التاجي في القمح.

تأثير راشح مستعمرات فطر المكافحة الحيوية في نمو الفطر الممرض

بينت النتائج الموضحة في الجدول (1) إن إضافة راشح المستنبت الزراعي لعامل المكافحة الأحيائية الترايكوديرما إلى الوسط PSA بمقدار 5 مل و 10 مل عمل على تقليص نمر الفطر الممرض الفيوزاريومي وبفروق معنوية عالية مقارنة بمعاملة المقارنة حيث بلغ معدل قطر النمو الشعاعي للفطر الممرض الفيوزاريومي 5.21 سم عند إضافة 5 مل من راشح عامل المكافحة الأحيائية، بينما عند إضافة 10 مل من الراشح كان معدل قطر النمو الشعاعي للفطر الممرض 2.97 سم، ونسبة التثبيط بلغت 53.23% و 67.56% على التوالي، مما يؤكد أن راشح عامل المكافحة الترايكوديرما يلعب دور فعال في تثبيط الفطر الممرض وزيادة كمية الراشح كان أكثر تأثير في كبح نمو الفطر الممرض. مما يشير إلى قدرة عامل المكافحة الأحيائية الترايكوديرما على إفراز مواد سامة وانزيمات تعمل على إعاقة النمو الشعاعي للفطر الممرض، واتفقت هذه النتائج مع الدراسة التي أجريت من قبل (Datnoff., et.al., 1995) على تقييم كفاءة راشح عامل المكافحة الأحيائية الترايكوديرما

ضد الفطر الممرض .Fusarium وأكدت أن راشح عامل المكافحة الأحيائية له دور فعال في كبح النمو الفطري للممرض. يتضح من هذه النتائج أن عامل المكافحة الأحيائية يمتلك عدة آليات من خلالها يستطيع كبح النمو الشعاعي للخيوط الفطرية والتكاثر للمسببات المرضية للنباتات، مثل إنتاجه لإنزيمات المحللة للسيللوز والبكتين وكذلك التطفل والتنافس على المكان والغذاء.

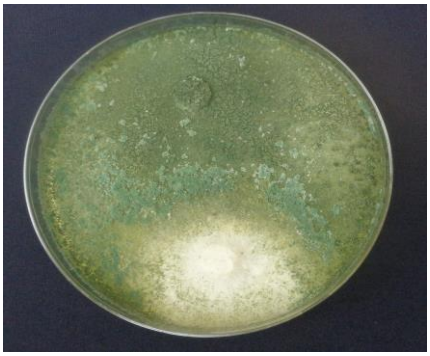

شكل (3). تأثير الكفاءة التنافسية لعامل المكافحة الأحيائية *T. longibrachiatum* في كبح نمو فطر فطر الذبول وتعفن الجذور *F. solani* بعد 7، 15 يوم على التوالي من الزرع المزدوج في أطباق بتري 9سم.

جدول (1). تأثير إضافة راشح المستنبت الزراعي لعامل المكافحة الأحيائية الترايكوديرما على قطر مستعمرة الفطر الممرض الفيوزاريومي.

عامل المكافحة الأحيائية	*معدل قطر نمو المستعمرات (سم)	% لتثبيط النمو الفطر الممرض الفيوزاريومي
الشاهد	9	0
تركيز 5%	5.21	53.23
تركيز 10%	2.97	67.56

*كل رقم يمثل ثلاث مكررات لكل معاملة.

تأثير المواد الطيارة المنتجة من الفطر المقاومة الحيوية ضد الفطر الممرض:

وجد من التجربة كما هو موضح في الجدول (2) مقدرة الفطر الترايكوديرما على اختزال واضح لنمو الغزل الفطري الهوائي للمسبب المرضي، حيث وصلت النسبة المئوية لتثبيط الفطر الممرض في اليوم السابع 32.40% ووصلت في اليوم التاسع إلى 51.00% بينما وصلت في اليوم الثالث عشر 66.8%، مما يشير إلى قابلية فطر الترايكوديرما على إنتاج مواد طيارة تؤدي إلى حدوث تأثيرات سلبية على الفطر مما تسبب في كبح أو إعاقة نمو الخيوط الفطرية الهوائية للفطر الممرض مقارنة بمعاملة الشاهد (نمو الفطر الممرض على الوسط الزراعي فقط) على الرغم من عدم حدوث أتصال مباشر بين عزلة الفطر المقاومة مع الفطر الممرض، ولوحظ بعد أسبوعين من إجراء التجربة تلويت فطر المقاومة كافة أطباق معاملة الشاهد. واتفقت هذه النتائج مع (الصايغ.، 2017) التي أظهرت أن عوامل المكافحة الأحيائية لترايكوديرما تفرز مواد متطايرة لها تأثير مثبط للفطر المسبب مرض الذبول على الفراولة. كما أثبتت الدراسات العلمية (Karsa, *et al.*, 2010: Harman., 2000) إلى مقدرة العديد من أنواع وسلالات الفطر *Trichoderma* spp. على إنبعات مركبات عضوية متطايرة Volatile organic إنتاج مادة 6-pentyl-α-pyrone PP المضادة لنمو الفطريات أو ربما يعزى إلى مركبات طيارة أخرى أسهمت في تثبيط نمو الفطر الممرض. وقد تنتقل بعض أبواغ أو أجزاء نتيجة التفتت من الخيوط الفطرية أثناء انبعاث بعض المركبات الطيارة لفطر الترايكوديرما مما أدى إلى انتشار الفطر في أطباق معاملة الشاهد، مما يؤكد بأن عامل المكافحة الأحيائية له القدرة على إنتاج إنزيمات ومضادات حيوية تعمل على تثبيط فطر الذبول وتعفن الجذور الفيوزاريومي. هذا ما تؤكده الدراسات من قبل (El-Katanany., *et al.*, 2000) أن بعض أنواع عامل المكافحة الأحيائية الترايكوديرما لها القابلية على إنتاج العديد من المضادات الحيوية مثل: Alkylpyrones, Diketopiperazine, Steroid, Acetaldehyde وغيرها ضد الفطر الممرض *Sclerotium rolfsii*. ، كما وجد أن عامل المكافحة الأحيائية له القدر على إفراز السيليلوز وكذلك إنزيم β-1,3 glucanase التي تؤدي إلى تحليل جدران الخلايا الفطرية الممرضة للنبات.

جدول (2). تأثير المواد الطيارة المنتجة من عامل المكافحة الأحيائية ضد الفطر الممرض الفيوزاريومي:

	T. longibrachiatum. *F. solani.*	*F. solani.*	
اليوم	% التثبيط	المقارنة (مم)	LSD
7	32.40	22	23.21
10	51.00	16	14.65
13	66.8	29	35.17

%النسبة المئوية للتثبيط.

دراسة العلاقة المجهرية:

وقد أظهر الفحص المجهري الشكل (4) لمنطقة التضاد التصاق والتفاف خيوط الفطر الترايكوديرما على الغزل الفطري للممرض *Fusariun solani* مع تشوه في الشكل الخارجي وتحبب (Granlation) داخل الخيوط Mycelium لفطر الذبول وتعفن الجذور، ولكن لم يلاحظ عملية الاختراق للخيوط الفطرية للفطر كما لوحظ تضخم في الأبواغ الخلايا الفطرية وتتحول الأبواغ الكونيدية الكبيرة Macroconidia من الشكل الهلالي إلى الشكل المستقيم وحدوث التغليظ في الحواجز العرضية وانفصال وتفتت (Disintegration) الخلايا عن بعضها البعض وفي الأبواغ الكونيدية الصغيرة المتكونة من خليتين. كما في الشكل ولم تشاهد هده الظاهرة في حالة تنمية فطر الفيوزاريومي على الوسط الغذائي بدون فطر التريكوديرما. كما لوحظ زيادة تكوّن عدد الحواجز العرضية في بعض الأبواغ الكونيدية الكبيرة وحدوث عملية الانفصال للخلايا. واتفقت نتائج الدراسة مع (عابد.، وآخرون، 2013) عند دراسة التضاد الحيوي لبعض عزلات من الترايكوديرما ضد فطر الرايزكتونيا المسبب مرض القشرة السوداء على البطاطس حيت أوضحت الصور المجهرية لمنطقة التضاد حدوث التفاف خيوط عامل المكافحة على الفطر الممرض وكذلك حدوث تشوه وتحبب في الشكل الخارجي للخيوط الفطرية للفطر الممرض. وقد يرجع ذلك لقدرة عامل المكافحة على إفراز أنزيمات تؤدي إلى حدوث عملية البلزمة

بمجرد التقاء الخيوط الفطرية وكذلك تؤدي إفرازات الخيوط الفطرية إلى كبح النمو للخيوط الفطرية لمرض تعفن الجذور الفيوزاريومي كما لوحظ تكون في الأبواغ الحواجز العرضية غائرة وواضحة في الأبواغ وقد يرجع التأثير التثبيطي إلى التأثير على مادة اللجنين. أن أمثلاك الفطر *Trichoderma* spp لهذه الخاصية قد يعود لعدة أسباب جعلت من هذا الفطر عامل مكافحة أحيائية ضد العديد من الفطريات الممرضة للنبات ومن ضمنها الفطر *F. solani* ومن هده الأسباب التطفل المباشر على الغزل الفطري للممرض عن طريق الالتفاف حول خيوطه وتحليل جدرانه بواسطة الأنزيمات التي يفرزها وإنتاج المضادات الحيوية والتي تؤثر بشكل سلبي على نمو الفطر الممرض ومثلاك الفطر الترايكوديرما قدرة تنافسه عالية على المكان والغذاء بسرعة نمو وامتلاكه لطاقة لقاحية عالية. كما تؤكد البحوث التي أجريت (الشعبي ولينا.، 2000) عن عدة أنواع من فطر *Trichoderma* spp. له العديد من الآليات للمكافحة الأحيائية كالتطفل المباشر وإنتاج مضادات حيوية ومواد طيارة يستطيع من خلالها السيطرة على المسببات المرضية. كما أوضحت الدراسة مقدرة الفطر من خلال جداره الخلوي ادمصاص عدة سموم فطرية، وهي المسئولة عن صلابة الجدران الخلوية للفطريات. وقد أشارت الدراسة من قبل (Harman., 2000 :Howell., 2003) أن أنواع من عامل المكافحة الأحيائية *Trichoderma* spp. لها القدرة على إنتاج أنزيمات مثل انزيم Chitinases وانزيم Glucanases هي أحدى وسائل المكافحة الأحيائية تعمل على ايقاف نمو المسببات الممرضة النباتية وذلك عن طريق تحطيم Polysaccharides, Chitin, β–Glycan's تعتبر هي المسئولة عن صلابة جدران الخلايا الفطرية.

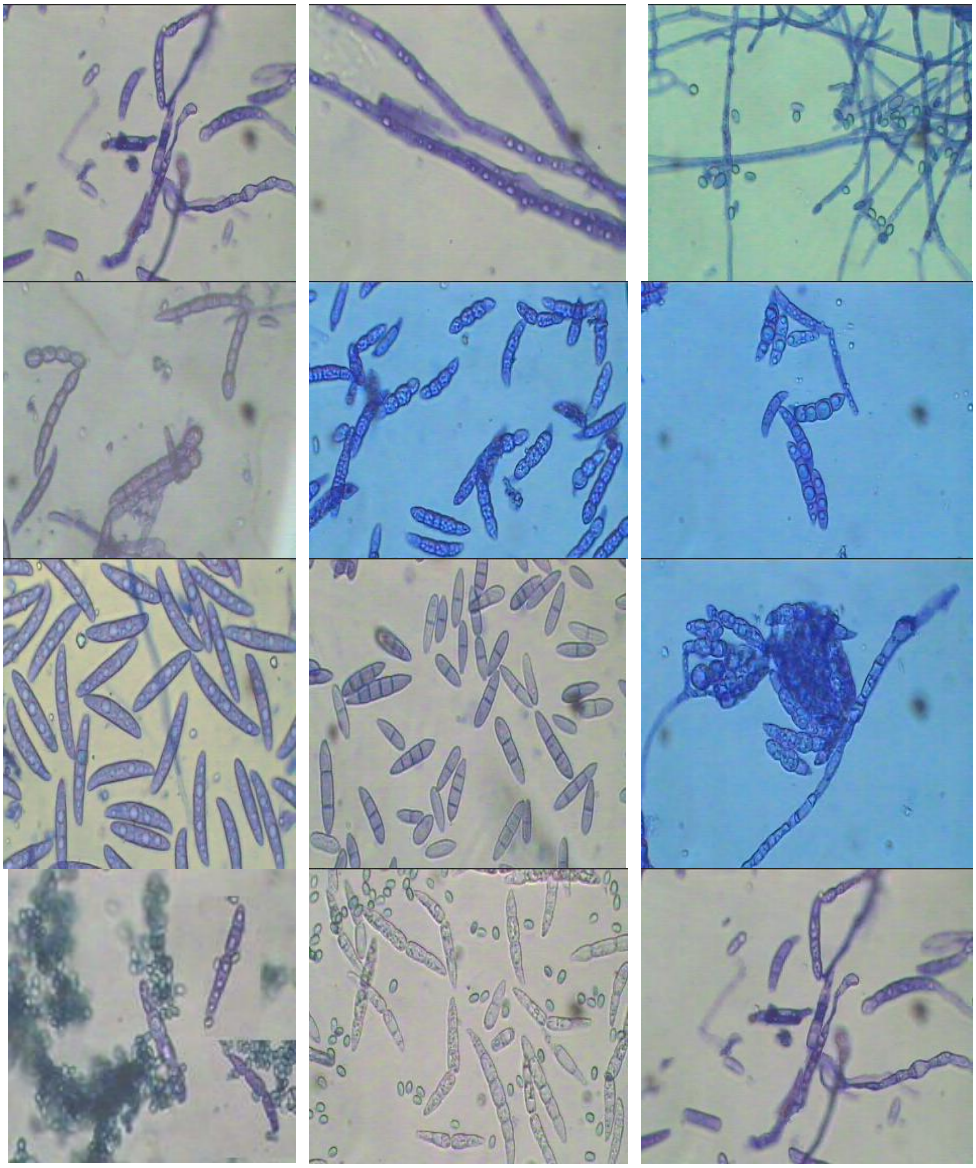

شكل. 3 النشاط التضادي لعامل المكافحة الأحيائية *Trichoderma longibrachatum* ضد الفطر *Fusarium solani* المُسبب مرض الذبول وتعفن جذور الزيتون. التفاف خيوط الفطر الترايكوديرما على الغزل الفطري للممرض . تشوه في الشكل الخارجي وتحبب للخيوط الفطرية الهوائية والأبواغ للفطر الممرض. حدوت بلزمة في الأبواغ، تضخم في الأبواغ الخلايا الفطرية وتتحول الأبواغ الكونيدية الكبيرة من الشكل الهلالي إلى الشكل المستقيم وحدوث التغليظ في الحواجز العرضية، زيادة عدد الحواجز العرضية وحدوث انفصال الخلايا للأبواغ. انتفاخ الأبواغ الكونيدية الكبيرة وزيادة عدد الحواجز العرضية على التوالي.

الاستنتاج:

تؤكد هذه الدراسة المختبرية، بناءً على ما تقدم فاعلية العزلة المحلية لفطر الترايكوديرما، ضد فطر *Fusarium solani* المسبب لمرض الذبول وتعفن الجذور لأشجار الزيتون تحت الظروف المختبرية، مما يجعلها طريقة واعدة في مكافحة هذا الممرض. ليتم اختبار أدائها في تجارب موسعة، ولتأكيد كفاءاتها تحت الظروف الحقلية، واعتمادها مستقبلاً في المكافحة الحيوية بديلاً عن المبيدات الكيميائية. ومن أهم الخصائص والمميزات التي يمتلكها عامل المكافحة الأحيائية ضد فطر الفيوازاريومي:

- إنتاج مضادات حيوية ومواد طيارة تلعب دور كبير في تثبيط فطر الذبول وتعفن الجذور، والتي يستطيع من خلالها السيطرة على المسبب المرضي لمرض الذبول.

- له القدرة على إنتاج مركبات تؤدي إلى حدوث تشوهات في الابواغ الكونيدية وخصوصاً الابواغ الكونيدية الكبيرة مما يؤدي إلي انفصال الخلايا عن بعضها البعض.

المراجع

1- **إسماعيل، عدي نجم ومحمد حمود خليفة. (2015).** مكافحة الأحيائية لمرض التعفن التاجي في القمح المتسبب عن *Fusarium graminearium* في العراق. مجلة العلوم الزراعية العراقية، 46 (6): 984 – 997.

2- عابد، ساهر حافظ، صديق محمد الحسن وطارق السيد علي الشريف. (2013). التضاد الحيوي بين فطر الترايكوديرما *Trichoderma* spp. وفطر الرايزوكتونيا *Rhizoctonia solani*. المسبب لمرض القشرة السوداء في البطاطس معملياً. Yemeni Journal of Agriculture & Veterinary Sciences, 1(1) :64-75)

3- **زيدان، فاتح عمر عجاج، محمد نافع السطيل، وإسماعيل مصباح الفار. (2017).** أول تسجيل لمرض الذبول الفيوزارمي على أشجار الزيتون بمنطقة بني وليد. وليد – ليبيا. مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية. 2 (5): 222 – 231.

4- **سحر أمين حسين. (2010).** موسوعة التلوث البيئي، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، 249 ص.

5- **شريف، فياض محمد. (2012).** علم أمراض النبات والأسس الجزيئية للإصابة والمقاومة، دار الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد – العراق. 686 صفحة.

6- **الجراح، نبران سالم، مينا مهند ونبراس حسن. (2015).** تقييم القابلية الأمراضية والمدى العائلي للفطر *Macrophomina phaseolina* ومكافحته احيائيا بواسطة الفطر *Trichoderma viride*. Iraqi Journal of *Biotechnology*، 14 (2): 325 – 338.

7- **الشعبي، صلاح ولينا مطرود. (2002).** دراسة مختبرية لتقويم فاعلية عزلات مختلفة من أنواع فطور الترايكوديرما تجاه بعض الفطور الممرضة المنقولة بالتربة. مجلة وقاية النبات العربية. 20: 77- 83.

8- **الصايغ، غادة. (2017).** دراسة تأثير أنواع *Trichoderma* في تثبيط الفطر *Fusarium oxysporium* fragariae. مجلة جامعة البعث، 39 (8).

9- **العيداني، عبد العظيم كاظم عبد الكريم ومحمد عامر فياض. (2005).** مسح مرض تعفن القمة النامية في النخيل المتسبب عن الفطر *Thielaviopsis paradoxa* في البصرة ومكافحته أحيائياً وكيميائياً. جامعة البصرة، كلية الزراعة- قسم وقاية النبات (رسالة الماجستير). ص:30.

10- **Aktar, M.W., D. Sengupta and A. Chowdhury. (2009).** Impact of pesticides use in agriculture their benefits and hazards .Interdisc. *Toxicology*.2: 1- 12.

11- **Barreto., D. Babbitt S., Gally M., and Perez, B. A. (2003).** *Nectria haematococca* causing Root Rot in Olive Greenhouse Plants. INTA, Argentina, RIA, 32 (1): 49-55.

12- **Bell, D. K., H. D. Wells, and C.R. Markham. (1982).** In vitro antagonism of *Trichoderma* specics against six fungal plant pathogen. *Phytopathology*. 72: 379 -382.

13- **Datnoff, L. E., Nemec. S. and Pernezny (1995).** Biological control of Fusarium crown and Root Rot of Tomato in Florida using *Trichoderma harzianum* and *Glomus intrardices. Biological* control. 5. 427- 431.

14- **El-Katanany, M.H., W. Somitsch, K.H. Robra, M.S. ElKatatny and G.M. Gübitz. (2000).** Production of chitinase and β-1,3-glucanase by *Trichoderma harizanum* for control of the *phytopathogenic* fungus *Sclerotium rolfsii*. Food *Technology* and *Biotechnology*, 38: 173-180.

15- **Harman, G.E.; Viterbo، A.; Chet،I. and Lorito، M.(2004)** *Trichoderma* species opportunistic، a virulent plant symbionts. Nature reviews Microbiology. 2:43-56.

16- **Harman, G.E. (2000).** Myths and dogmas of biocontrol changes in perception derived from research on *Trichoderma harzianum* T22. Plant Disease. 84(4): 377-393.

17- **Howell, C. R. (2003).** Mechanisms employed by *Trichoderma* species in the biological control of plant diseases: the history and evolution of current concepts, Plant Disease, 87(1): 1 – 10.

18- **Karsa, E. Mostafa, R. Z. Mohammad and H. S. Halel. (2010).** Transformation of Potato (*Solanum tuberosum* CV-savalon) by chitinese and β-1.3-glucanase-genes of mycoparasitic fungi towards improving resistance to *Rhizoctonia solani* AG-3-Iran Journal of *Biotechnology*, 8: 73 – 81.

19- **Leslie, J.F., Summerell, B. A. and Bullock S. (2006).** The *Fusarium* Laboratory Manual. 387 Pages.

20- **Mustafa Azher, M. Aslam Khan, M. Inam-ul-Haq, M. Aslam Pervez and Ummad-ud-Din Umar. (2009).** Usefulness of different culture media for in-vitro evalution of *Trichoderma* spp. Against seed-borne fungi of economic importance, Pak. J. *Phytopathol*.,. 21(1): 83-88.

21- **Summerell, B. A., B. Salleh, and J. F. Leslie. (2003).** A utilitarian approach to *Fusarium* identification. Plant Disease 87: 117-128.

التقييم الحسي للزبادي المصنّع من حليب الماعز المدعوم بالحليب المجفف ومعرفة الخواص الفيزيوكيميائية للزبادي

أ.عيسى مسعود علي الفرعوني – المعهد العالي للتقنيات الزراعية بالخضراء –ترهونة
أ. نوري محمد حسين ميلاد – المعهد العالي للتقنيات الزراعية بالخضراء –ترهونة
أ. احمد عطايا الله عبد الله عثمان –كلية الزراعة –جامعة بني وليد

المستخلص

استهدفت الدراسة تصنيع زبادي طبيعي من حليب الماعز لسلالتين إحداهما محلية والأخرى مستوردة (الألبين)، ودراسة تأثير السلالة وإضافة حليب الفرز المجفف بنسب 3، 4 و5% على الخواص الفيزيوكيميائية والتقييم الحسي للزبادي المنتج .

بلغ متوسط نسبة البروتين في الزبادي المصنّع من حليب الماعز والمضاف له 0، 3، 4 و5% حليب فرز مجفف 3.22، 3.89، 5.19 و5.72% للسلالة المحلية. و2.75 ، 3.54، 3.65 و4.14% للسلالة المستوردة على التوالي، أما متوسط نسبة الدهن فبلغ 4.12 ، 5.22، 5.07 و5.17 % للسلالة المحلية و4.46، 5.34، 4.54 و4.66 % للسلالة المستوردة على التوالي، كما لوحظ ارتفاع نسبة المواد الصلبة في الزبادي المصنّع باستخدام السلالة المحلية مقارنة بالزبادي المصنّع باستخدام السلالة المستوردة حيث بلغ متوسط نسبة المواد الصلبة الكلية 16.0، 17.8، 18.66 و19.9% على التوالي للسلالة المحلية، في حين بلغت هذه النسبة 13.6، 15.9، 17.6 و18.5% للسلالة المستوردة على التوالي.

أظهرت النتائج ارتفاع نسبة الحموضة في الزبادي المنتج بزيادة نسبة المواد الصلبة المضافة، حيث بلغت 0.68 إلى1.02% للسلالة المحلية و0.71 إلى1.04% للسلالة المستوردة في الزبادي المحضر بدون إضافة والمحضر بإضافة 5% حليب فرز مجفف على التوالي. كما أوضحت النتائج وجود فروق معنوية ($P< 0.01$) في نسبة الحموضة بين الزبادي المحضر بدون إضافة والزبادي المحضر بإضافة 3، 4 و5% حليب فرز مجفف للسلالتين ، وعدم وجود فروق معنوية بين الزبادي المحضر بإضافة 4، 5 % حليب فرز مجفف للسلالتين.

رافق ارتفاع نسبة الحموضة انخفاض قيمة الأس الهيدروجيني في الزبادي المنتج ، حيث بلغت 4.41 إلى4.51 للسلالة المحلية، و4.43 إلى4.57 للسلالة المستوردة. وأوضحت النتائج عدم وجود فروق معنوية ($P< 0.01$) لمتوسط قيم الأس الهيدروجيني بين الزبادي المصنع من حليب ماعز السلالتين.

أظهرت نتائج التقييم الحسي باستخدام اختبار سلم الترقيم قبول جيد للزبادي المصنّع من حليب ماعز السلالتين، حيث بلغت أعلى قيمة 15.17 عند إضافة 5% حليب فرز مجفف للسلالة المحلية، في حين بلغت للسلالة المستوردة 14.57 عند إضافة 4% حليب فرز مجفف للسلالة المستوردة مقارنة بقيمة 15.1 عند إضافة 4% للسلالة المحلية، كذلك بينت نتائج التقييم الحسي باستخدام اختبار سلم التفضيل أن زبادي حليب ماعز السلالة المحلية المحضّر بإضافة 5% حليب فرز مجفف و زبادي حليب ماعز السلالة المستوردة المحضّر بإضافة 4% حليب فرز مجفف تحصلا على أعلى درجة تقييم بلغت 6.89 أي أن المقيمين كانوا يفضلونه كثيراً. أشارت نتائج التقييم الحسي كذلك إلى وجود فروق معنوية ($P< 0.05$) بين الزبادي المحضّر بدون إضافة حليب فرز مجفف والزبادي المحضّر بإضافة 3، 4 و5% حليب فرز مجفف للسلالتين المحلية والمستوردة، كما تبين أن زيادة نسبة المواد الصلبة حسنت من الخواص الحسية للزبادي المصنّع من كلا سلالتي الماعز.

1- المقدمة

يتميز حليب الماعز بقيمة غذائية عالية وفوائد صحية منفردة، ولقد أجريت العديد من الدراسات المقارنة بين حليب الماعز وحليب الأبقار في تغذية الإنسان، وأثبتت هذه الدراسات أن تناول حليب الماعز بدلاً من حليب الأبقار أدى إلى قابلية هضم وامتصاص أعلى للحديد والنحاس وبالتالي منع حدوث فقر الدم، وكذلك إلى حدوث تحسن في الزيادة الوزنية، والطول، ومحتويات مصل الدم من الفيتامينات والكالسيوم والهيموجلوبين، وكذلك انخفاض مستويات الكولسترول وزيادة معنوية في معدلات امتصاص الدهون في الأمعاء (Haenlein، 2004).

كما أجريت العديد من الدراسات على مرضى بحساسية حليب الأبقار، وكان الاستنتاج أن استبدال حليب الماعز بدلاً من حليب الأبقار له نتائج ايجابية، وبالتالي أوصت العديد من الدراسات باستخدام حليب الماعز في تغذية الإنسان بسبب الحساسية الأقل وقابلية الهضم الأفضل من حليب الأبقار (Martin-Diana وآخرون، 2003 وHaenlein، 2004). بالنظر إلى القيمة الغذائية للمنتجات المتخمرة المصنّعة من حليب الماعز فإنه يمكن القول أن هذه المنتجات يمكن أن تحل محل تلك المنتجات المصنّعة من حليب الأبقار وخاصة للأشخاص الذين لديهم حساسية ضد حليب الأبقار (إسماعيل والهايشة، 2005).

إلا أن الدراسات تشير إلى أن قوام الزبادي المنتج من حليب الماعز يكون أقل خثره وتماسك، ويميل إلى أن يكون شراب، وهذا في حد ذاته يعتبر أحد عيوب إنتاج الزبادي من حليب الماعز ويعود ذلك إلى انخفاض نسبة المواد الصلبة غير الدهنية (Martin-Diana وآخرون، 2003).

للحصول على قوام جيد وخصائص حسية مقبولة مع المحافظة على القيمة الغذائية والصحية للزبادي المنتج من حليب الماعز بأقل تكاليف ممكنة فإنه من الضروري تعديل تركيبته وخصائصه أو تعديل ظروف التصنيع المتمثلة في دعمه بحليب أبقار مجفف منزوع الدهن الأمر الذي يزيد من نسبة المواد الصلبة اللادهنية فيه، وبالتالي يمكن أن يسهم في بلوغ الخثرة المرجوة في الزبادي والمحافظة على القيمة التغذوية والصحية للمنتج النهائي مع إضفاء نكهة حليب الأبقار المقبولة على المنتج النهائي مما يزيد من الإقبال على استهلاكه (Tamime و Robinson، 1999 وDomagala، 2008).

2- المواد وطرق الدراسة :

تضمنت الدراسة إجراء اختبارات فيزيوكيميائية وميكروبيولوجية على حليب ماعز لسلالتين إحداهما محلية والأخرى مستوردة (الألبين) ومن ثم تصنيع زبادي طبيعي ، وكذلك دراسة تأثير السلالة وإضافة حليب الفرز المجفف بنسب 3، 4 و5% على الخواص الفيزيوكيميائية والتقييم الحسي للزبادي المنتج.

1.2- حليب الماعز الخام :

استخدم حليب ماعز خام من سلالتين محلية ومستوردة، حيث تم الحصول عليه من مركز بحوث التقنيات الحيوية بتاجوراء، وتم نقله في صورة مبردة، وأجريت عليه التحاليل الكيميائية والميكروبيولوجية بمجرد وصوله للمختبر (بمعدل عينة شهرياً وبثلاث مكررات لكل عينة خلال فترة الدراسة).

2.2-التحاليل الفيزيوكيميائية للحليب:

1.2.2- تقدير الأس الهيدروجيني:

تم قياس الأس الهيدروجيني (pH) لعينات الحليب باستخدام جهاز pH Meter موديل 3505 pH من شركة (JENWAY) الإنجليزية .

2.2.2- تقدير نسبة الحموضة:

تم تقدير نسبة الحموضة على أساس حامض اللاكتيك عن طريق المعايرة وتم حساب نسبة الحموضة وفقاً للمعادلة التالية:

$$\text{نسبة الحموضة} = \frac{\text{(مل NaOH)} \times 0.1 \times \text{(N NaOH)} \times 9}{\text{وزن العينة}}$$

(Bradly وآخرون، 1992 و Salvador وFiszman، 2004).

3.2.2- التحاليل الكيميائية للحليب :

تم تقدير نسبة الدهن، نسبة البروتين، نسبة اللاكتوز، نسبة المواد الصلبة اللادهنية، نسبة الرماد ونقطة التجمد باستخدام جهاز Lacto Star (item No. 3510) المتحصل عليه من شركة (FUNKE GERBER) الألمانية، وذلك بعد معايرة الجهاز للتأكد من دقة النتائج.

3.2- التحاليل الميكروبيولوجية للحليب :

أجريت التحاليل الميكروبيولوجية على عينات حليب الماعز الخام للسلالتين المحلية والمستوردة، وحسبت على أساس وحدة تكوين مستعمرة لكل مل (Houghtby وآخرون 1992).

1.3.2- تقدير العدد الكلي:

تم تقدير الأعداد الكلية للبكتيريا باستخدام بيئة Standard Plate Count Agar (Oxoid) والتحضين عند درجة 32 ±1°م لمدة 48±2 ساعة (Houghtby وآخرون 1992) .

2.3.2- تقدير عدد بكتيريا القولون:

تم تقدير أعداد بكتيريا القولون باستخدام بيئة Violet Red Bile Agar (Oxoid)، بطريقة الصب في الأطباق، والتحضين عند درجة 32 ±1°م لمدة 24 ± 2 ساعة (Christen وآخرون 1992) .

4.2- حليب الفرز المجفف:

تم الحصول على حليب أبقار فرز مجفف من شركة (Frischli Milchwerke G M B H) الألمانية .

5.2- بادئ الزبادي:

استخدم في تحضير الزبادي بادئ مجفد نوع YO– MIX 495 من شركة(DANISCO) الفرنسية جاهز للتلقيح المباشر يحتوي على بكتيريا *Lactobacillus delbrueckii subsp. bulgaricus* و *Streptococcus thermophilus* الكمية المحضرة (0.05 جرام/ لتر) أضيفت بمعدل 1 مل/ لتر وذلك حسب حسب توصيات الشركة المصنّعة.

6.2- تصنيع الزبادي من حليب الماعز :

اتبعت الخطوات المبينة في شكل (1) لتصنيع الزبادي حيث استعمل 2 لتر من حليب الماعز الطازج، تم إضافة حليب فرز مجفف بنسب 3، 4 و5 % (60، 80 و100 جرام على التوالي)، وتم تحريك العينات بأداة تحريك يدوية للمساعدة في ذوبان حليب الفرز المجفف عند درجة حرارة 45°م لمدة 15 دقيقة، كما استخدمت عينة مراقبة (بدون إضافة)، سخنت عينات الحليب في حمام مائي عند درجة 85°م لمدة 15 دقيقة، تبعها تبريد إلى درجة حرارة 40– 45°م وهي درجة التخمر باستخدام حمام ثلجي مع الاستمرار في عملية التحريك ببطء باستعمال قلاب يدوي، ثم أضيف البادئ لعينات الحليب بتركيز (1 مل / لتر)، تبعها خلط وتعبئة في عبوات زجاجية سعتها 120 مل في ظروف معقمة ، حضنت العينات على درجة حرارة 42±1°م لمدة 6 ساعات، وبعد الانتهاء من عملية التحضين بردت العينات إلى درجة حرارة 5 °م في أسرع وقت ممكن. تضمنت التجربة 4 معاملات

مختلفة من نسبة المواد الصلبة للسلالتين، أي 8 معاملات وبمعدل ثلاث مكررات (Tamime و Robinson، 1999 و Robinson وآخرون 2006).

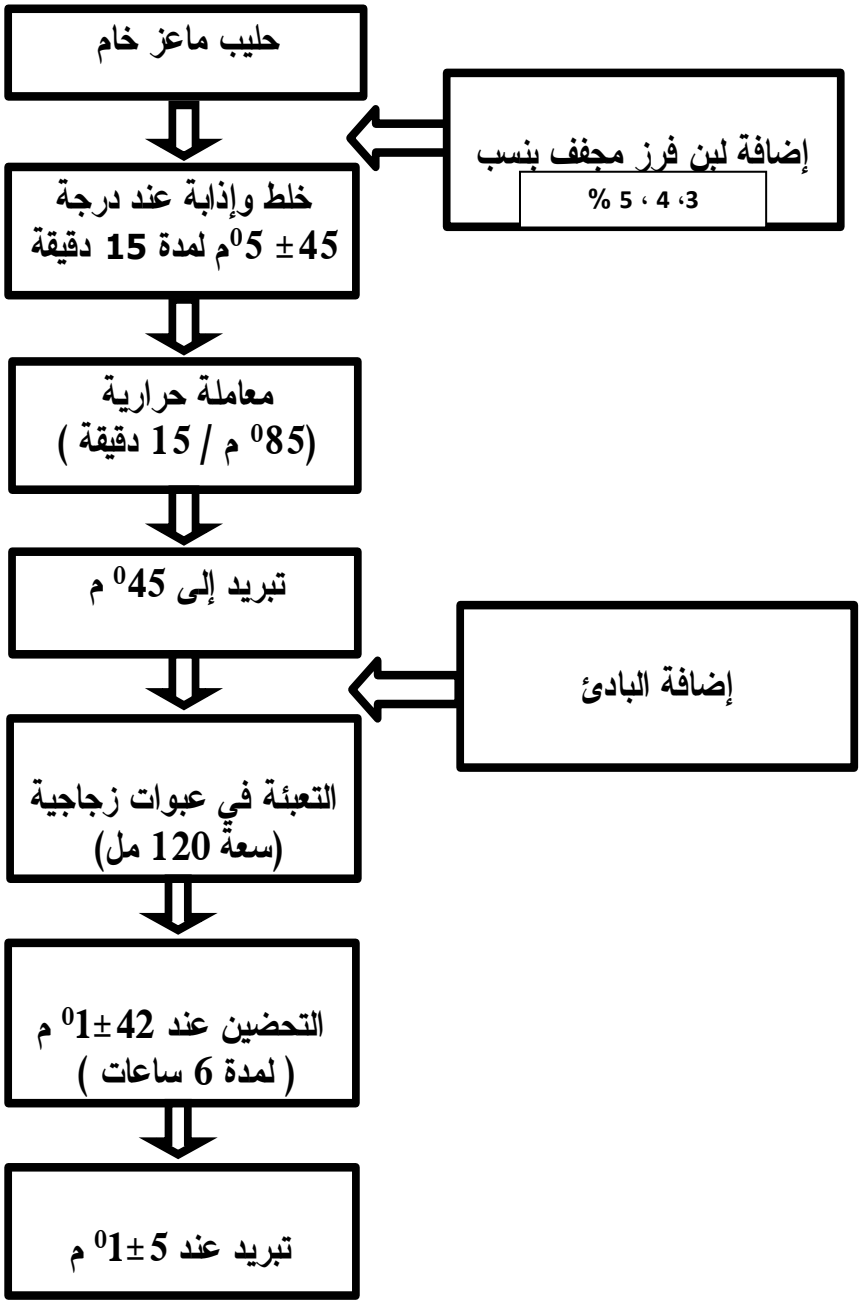

شكل 1. خطوات تصنيع الزبادي من حليب الماعز

7.2- التحاليل الفيزيوكيميائية للزبادي:

1.7.2- تقدير نسبة الحموضة:

تم تقدير نسبة الحموضة كما سبق ذكره، حيث حسبت كجرام واحد لحامض اللاكتيك لكل 100 جرام من المنتج (Bradley وآخرون 1992 ؛ Salvador و Fiszman ، 2004) .

2.7.2- قياس الأس الهيدروجيني (pH):

تم قياس الأس الهيدروجيني لعينات الزبادي باستخدام جهاز pH Meter، موديل 3505 pH من شركة (JENWAY) الإنجليزية. حيث تم استعمال كأس زجاجي نظيف يضاف إليه 20-30 مل من العينة بعد رجها جيداً.

3.7.2- تقدير نسبة البروتين :

استخدمت طريقة كلداهل Kjeldahl method لتقدير النيتروجين الكلي في الزبادي المنتج (A .O .A .C , 1995). قدر محتوى البروتين الخام في الحليب ومنتجاته على أساس (النيتروجين الكلي × 6.38) .

4.7.2- تقدير نسبة الدهن:

اتبعت طريقة جربر لتقدير نسبة الدهن في الزبادي المنتج (Bradly وآخرون، 1992).

5.7.2- تقدير نسبة المواد الصلبة الكلية :

تم تقدير نسبة المواد الصلبة الكلية في الزبادي المنتج باستخدام طريقة التبخير في فرن التجفيف على درجة حرارة 100 ±2°م لمدة 3 إلى 4 ساعات وفقاً للمعادلات التالية:

$$\text{نسبة الرطوبة} = \frac{\text{الفاقد في الوزن}}{\text{وزن العينة}} \times 100$$

نسبة المواد الصلبة = 100- نسبة الرطوبة (Bradly وآخرون، 1992).

8.2- التقيم الحسي للزبادي المنتج :

تم إجراء تقييم حسي لعينات الزبادي المصنّعة من حليب ماعز باستخدام سلالتين محلية ومستوردة، بدون إضافة أو بإضافة نسب مختلفة من حليب الأبقار الفرز المجفف. أجري هذا التقييم بعد تخزين العينات على درجة حرارة 5°م لمدة 24 ساعة .

استخدام سلم الترقيم لإجراء التقييم ، بلغ عدد المقيمين غير المتدربين 70 شخص تراوحت أعمارهم ما بين 15 إلى 69 عاماً ذكوراً وإناثاً، قدمت عينات الزبادي على درجة حرارة ما بين (7 إلى 10°م) في أكواب بلاستيكية بيضاء سعتها 30 مل، وعلمت عشوائياً بعدد مكون من ثلاث أرقام، وأعطي كل مقيم نموذجي التقييم مرفقاً بالإرشادات الخاصة بالتقييم الحسي الواجب إتباعها أجري التقييم بمعدل 4 عينات زبادي مختلفة لكل سلالة على حدا في وجود إضاءة وتهوية جيدة وعند درجة حرارة الغرفة.

تم اختيار عينة الزبادي المصنّعة من حليب ماعز السلالة المحلية التي تحصلت على أفضل درجة تقييم، وكذلك أفضل عينة زبادي مصنّعة من حليب ماعز السلالة المستوردة من خلال نتائج التقييم الحسي السابق، وتم إجراء تقييم حسي بينهما باستخدام اختبار سلم التفضيل شكل لعدد 118 شخص غير متدرب، تراوحت أعمارهم ما بين 15 إلى 65 عاماً ذكوراً وإناثاً في نفس الظروف سابقة الذكر (Ellis، 1961 و الجديلي وحميدة، 2002 و Vargas وآخرون، 2008).

9.2- التحليل الإحصائي:

تم تحليل البيانات المتحصل عليها بواسطة حساب المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري وتحليل التباين ANOVA لتجربة عاملية مصممة بالتصميم العشوائي الكامل CRD (Completely Randomized Design)، واستخدم اختبار دنكن لعزل المتوسطات في حالة وجود فروق معنوية في جدول تحليل التباين وذلك عند مستوى احتمالية 1% (Snedecor و Cochran، 1980).

3- النتائج والمناقشة:

1.3- التركيب الفيزيوكيميائي لحليب الماعز المنتج من السلالة المحلية والمستوردة:

شكل (2) يوضح أن حليب ماعز السلالة المحلية أعطى أعلى قيمة لمتوسط نسبة البروتين، نسبة اللاكتوز ونسبة المواد الصلبة اللادهنية مقارنة بحليب الماعز المنتج من قبل السلالة المستوردة، مع تقارب متوسط نسبة الرماد ونسبة الحموضة في حليب الماعز للسلالتين ، والجدير بالملاحظة أن نسب بعض المكونات مثل البروتين والدهن واللاكتوز تختلف خلال موسم الحلب. نتائج التحليل الإحصائي توضح وجود فروق معنوية عند مستوى احتمالية1% في نسبة البروتين ونسبة اللاكتوز ونسبة المواد الصلبة اللادهنية والأس الهيدروجيني بين السلالتين، وعدم وجود فروق معنوية في نسبة الحموضة ونسبة الرماد ونسبة الدهن بين السلالتين.

تتقارب هذه النتائج إلى حد كبير مع نتائج الدراسات الأخرى كما هو مبين في جدول (1)، وخاصة في حليب ماعز السلالة المستوردة، مع ارتفاع بسيط في نسبة البروتين ونسبة اللاكتوز ونسبة المواد الصلبة الكلية في حليب ماعز السلالة المحلية. هذا الاختلاف قد يرجع إلى الإنتاجية القليلة لحليب الماعز المحلي، والتي تبلغ في المتوسط 0.700 لتر في اليوم مقارنة مع السلالات المستوردة مثل الألبين والسانين التي يبلغ إنتاجها من الحليب في المتوسط 3 و 3.2 لتر على التوالي. حيث كما ذكر Zygoyiannis (1987) أن نسبة المواد الصلبة الكلية تكون منخفضة في الحيوانات عالية الإدرار، وتختلف مع نتائج Gnan وآخرون (1985) التي كانت فيها نسب مكونات حليب الماعز المحلي كالأتي: الدهن 4.00%، البروتين 3.76%، اللاكتوز4.46%، الرماد 0.88% والمواد الصلبة الكلية 12.94%.

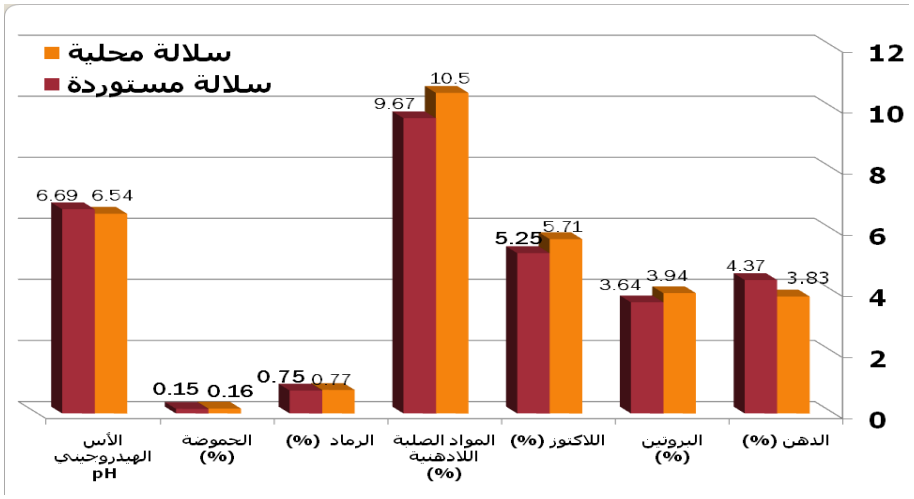

شكل 2. مقارنة التركيب الفيزيوكيميائي لحليب الماعز المحلي والمستورد.

3. 2- التحاليل الميكروبية لحليب الماعز الخام:

يتضح من جدول (2) أن الحليب المستخدم في هذه الدراسة كان ذو جودة بكتريولوجية عالية، وهذه الأعداد كانت متقاربة مع الدراسة التي قام بها Anifantakis (1993) التي تراوح فيها متوسط العدد الكلي البكتيري في حليب الماعز الخام المعد للتصنيع 7×10^2 إلى 5×10^3 و.ت.م/مل ومتوسط أعداد بكتيريا القولون 0 إلى 5 و.ت.م /مل.

جدول 1. مقارنة بين متوسط التركيب الكيميائي لحليب الماعز الطازج المستخدم في الدراسة الحالية مع دراسات أخرى.

التحليل	الدراسة الحالية		Vargasوآخرون. 2008	Gnan وآخرون. (1985)
	السلالة المحلية	السلالة المستوردة		
البروتين (%)	0.22 ± 3.94	0.19 ± 3.64	0.03 ± 3.62	3.76
الدهن(%)	1.08 ± 3.83	0.57 ± 4.37	0.02 ± 4.82	4
اللاكتوز(%)	0.30 ± 5.71	0.27 ± 5.25	0.02 ± 5.02	4.46
الرماد(%)	0.17 ± 0.77	0.16 ± 0.75	0.03 ± 0.76	0.88
المواد الصلبة الكلية(%)	1.41 ± 14.33	0.84 ± 14.05	0.08 ± 14.22	12.94

جدول 2. متوسط العدد البكتيري الكلي وعدد بكتيريا القولون (وحدة تكوين مستعمرة/ مل) لحليب الماعز الطازج المستخدم في تصنيع الزبادي.

التحليل	السلالة المحلية	السلالة المستوردة
العدد الكلي البكتيري	10×5^{2}	10×11^{3}
عدد بكتيريا القولون	** 2	** 3

القيم متوسط ثمانية عينات.

** تقديري.

3.3- الخواص الكيميائية لزبادي حليب الماعز:

1.3.3- نسبة البروتين:

يتضح من شكل (3) أن زبادي حليب ماعز السلالة المحلية المحضّر بإضافة 5% حليب فرز مجفف أعطى أعلى قيمة لمتوسط نسبة البروتين، حيث بلغت 5.72% وأعطى الزبادي المحضّر بدون إضافة أقل قيمة بلغت 3.22%. بينما بلغ متوسط نسبة البروتين في الزبادي المحضّر بإضافة 3 و4% حليب فرز مجفف 3.89 و5.19% على التوالي. أما الزبادي المصنّع من حليب ماعز السلالة المستوردة المضاف له 5% حليب فرز مجفف أعطى أعلى قيمة لمتوسط نسبة البروتين التي بلغت 4.14 %. وأقل قيمة لمتوسط نسبة البروتين كانت في الزبادي المحضّر بدون إضافة بلغت 2.75%، في حين بلغ متوسط نسبة البروتين في الزبادي المحضّر بإضافة 3 و4% حليب فرز مجفف 3.54 و3.65% على التوالي .

لوحظ من خلال النتائج حدوث ارتفاع في نسبة البروتين بزيادة نسبة المواد الصلبة المضافة لكلا السلالتين. كذلك زيادة نسبة البروتين في زبادي حليب ماعز السلالة المحلية عن زبادي حليب ماعز السلالة المستوردة لجميع التركيزات المضافة من حليب الفرز المجفف، والذي يرجع إلى زيادة نسبة البروتين في حليب الماعز الطازج للسلالة المحلية مقارنة بحليب ماعز السلالة المستوردة، وهذا يتفق مع ما ذكره بلقاسم وآخرون (2007) أن نسبة البروتين في حليب ماعز السلالة المحلية أكبر منها في حليب ماعز السلالة المستوردة(الألبين). وبالنظر لنتائج التحليل الإحصائي اتضح وجود فروق معنوية في نسبة البروتين بين الزبادي المصنّع من حليب ماعز السلالة المحلية والمستوردة، كذلك وجود فروق معنوية بين الزبادي المحضّر بإضافة 0، 3، 4 و5% حليب فرز مجفف للسلالتين عند مستوى احتمالية 1% .

2.3.3- نسبة الدهن:

يتضح من خلال الشكل (4) أن متوسط نسبة الدهن في الزبادي المصنع من حليب ماعز السلالة المحلية بلغ 4.12 إلى 5.22 %، بينما بلغ من 4.46 إلى 5.34 % في الزبادي المصنّع من حليب ماعز السلالة المستوردة، وهذا ناتج من تغير نسبة الدهن في حليب الماعز خلال موسم الحلب. من خلال النتائج تم ملاحظة تقارب نسبة الدهن في الزبادي المصنّع من حليب الماعز لجميع التركيزات المضافة من حليب الفرز المجفف في كلا السلالتين وذلك نتيجة لأن الحليب المجفف المضاف منزوع الدهن، وهذا ما أوضحته نتائج التحليل الإحصائي التي أكدت عدم وجود فروق معنوية عند مستوى احتمالية 1% في نسبة الدهن بين زبادي حليب ماعز السلالة المحلية والمستوردة، وكذلك عدم وجود فروق معنوية بين الزبادي المحضّر بإضافة 3، 4 و5% حليب فرز مجفف للسلالتين.

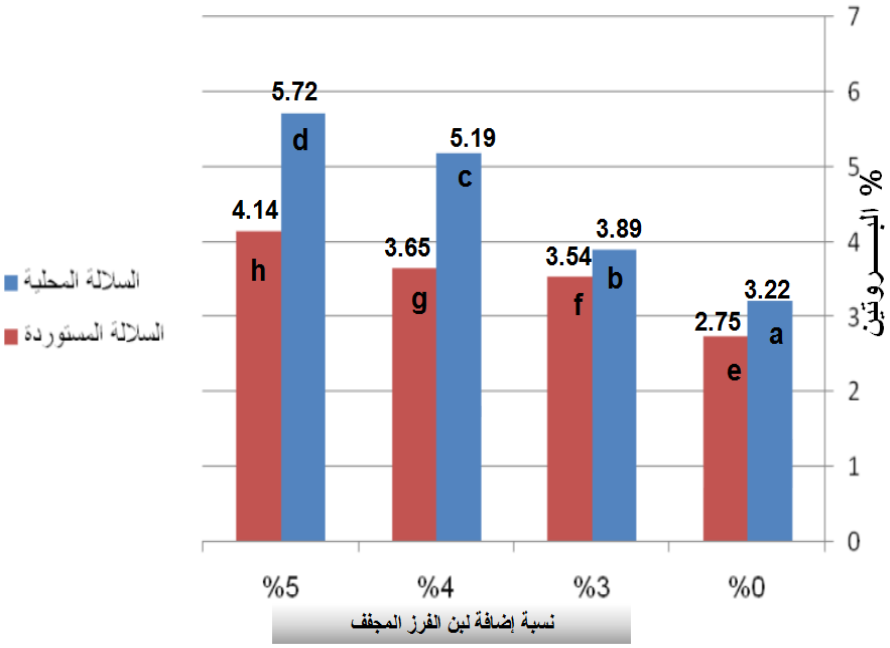

● الأعمدة التي تحمل حروفاً متشابهة لا يوجد بينها فروق معنوية عند مستوى احتمال 1%

شكل 3. متوسط نسبة البروتين في الزبادي المصّنع من حليب الماعز.

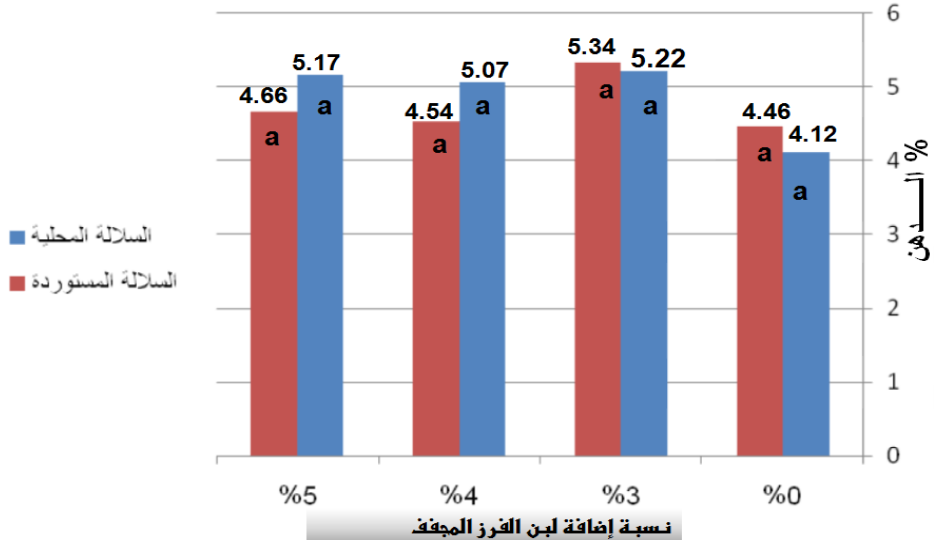

- الأعمدة التي تحمل حروفاً متشابهة لا يوجد بينها فروق معنوية عند مستوى احتمال 1%

شكل 4. متوسط نسبة الدهن في الزبادي المصّنع من حليب الماعز.

3.3.3- نسبة المواد الصلبة الكلية:

يوضح الشكل (5) حدوث ارتفاع في نسبة المواد الصلبة الكلية للزبادي بزيادة نسبة المواد الصلبة المضافة وأن الزبادي المصنّع من حليب ماعز السلالة المحلية المحضّر بإضافة 5% حليب فرز مجفف أعطى أكبر قيمة لمتوسط نسبة المواد الصلبة الكلية فقد بلغت 19.9%، والزبادي المحضّر بدون إضافة أعطى أقل قيمة بلغت 16%، أما الزبادي المصنّع من حليب ماعز السلالة المستوردة المحضّر بإضافة 5% حليب فرز مجفف أعطى أعلى قيمة لمتوسط نسبة المواد الصلبة الكلية حيث بلغت 18.5% والزبادي المحضّر بدون إضافة أعطى أقل قيمة بلغت 13.6%. تتقارب بعض هذه النسب من المواد الصلبة الكلية مع ما ذكره Kavas وآخرون (2003) أن محتويات المواد الصلبة الكلية للزبادي المنتج من حليب الماعز وخلطات من حليب الأبقار والماعز بطرق تدعيم مختلفة (الترشيح الفائق وإضافة حليب الفرز المجفف) كانت ما بين (15.63-16.97 %). وبالنظر إلى نتائج التحليل الإحصائي تبين وجود فروق معنوية في نسبة المواد الصلبة الكلية عند مستوى احتمالية1% بين الزبادي المصنّع من حليب ماعز السلالتين المحلية والمستوردة، كذلك وجود فروق معنوية بين الزبادي المحضّر بإضافة 3، 4 و5 % حليب فرز مجفف للسلالتين.

4.3.3- نسبة الحموضة:

يوضح الشكل (6) أن متوسط نسبة الحموضة لزبادي حليب الماعز المحضّر بإضافة 5% حليب فرز مجفف أعطى أعلى قيمة، والزبادي المحضّر بدون إضافة أعطى أقل قيمة لكلا السلالتين، حيث بلغت أعلى نسبة حموضة 1.02 % للسلالة المحلية و 1.04 % للسلالة المستوردة، بينما بلغت أقل نسبة حموضة 0.68 % للسلالة المحلية و0.71 % للسلالة المستوردة. تم ملاحظة ارتفاع نسب الحموضة بزيادة نسبة المواد الصلبة، وتتفق هذه النتائج مع ما أشارت إليه الدراسة التي قام بها Kavas وآخرون (2003) أن نسبة الحموضة للزبادي المصنّع من حليب الماعز وخلطات من حليب الأبقار وحليب الماعز بطرق تدعيم مختلفة كانت مابين 0.69-1.08%. كذلك ذكر Tamime وRobinson، (1999) أن نسبة الحموضة في الزبادي تتراوح من 0.90 إلى 1 %. أوضحت نتائج التحليل الإحصائي وجود فروق معنوية في نسبة الحموضة عند مستوى احتمالية 1% بين الزبادي المحضّر بدون إضافة والزبادي المحضّر بإضافة 3، 4 و5 % حليب فرز مجفف للسلالتين، وعدم وجود فروق معنوية في نسبة الحموضة عند مستوى احتمالية 1% بين الزبادي المحضر بإضافة 4 و5% حليب فرز مجفف للسلالتين.

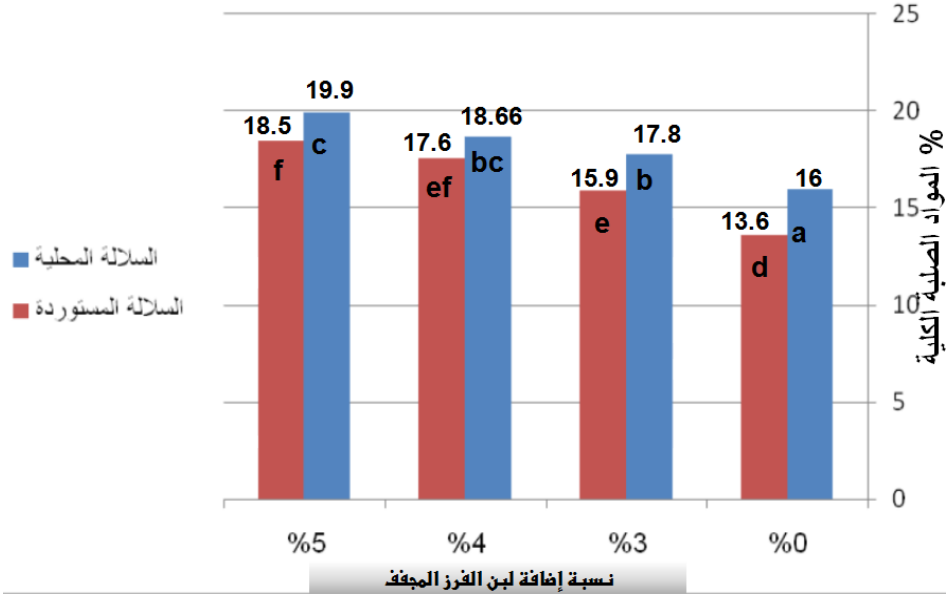

- الأعمدة التي تحمل حروفاً متشابهة لا يوجد بينها فروق معنوية عند مستوى احتمال 1%

شكل 5. متوسط نسبة المواد الصلبة الكلية في الزبادي المصّنع من حليب الماعز.

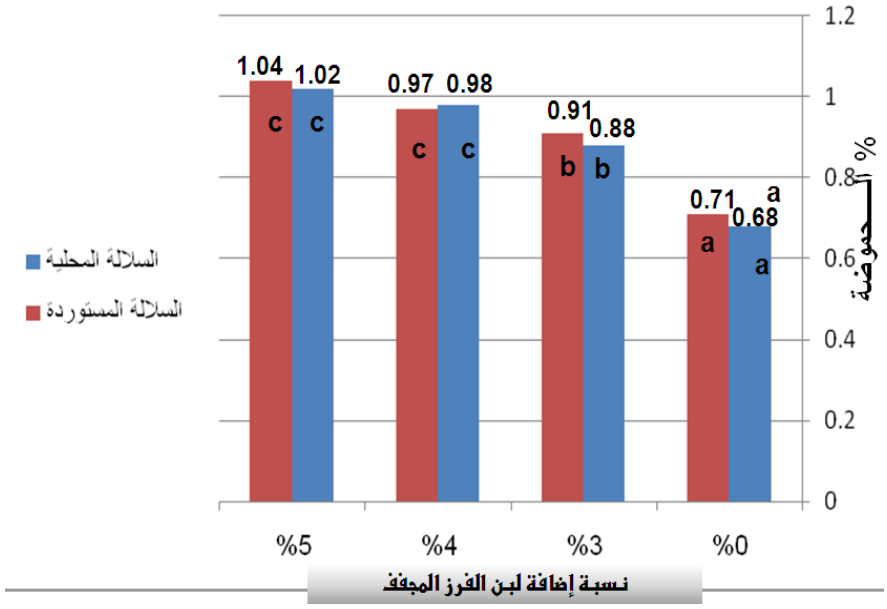

- الأعمدة التي تحمل حروفاً متشابهة لا يوجد بينها فروق معنوية عند مستوى احتمال 1%

شكل 6. متوسط نسبة الحموضة في الزبادي المصّنع من حليب الماعز.

5.3.3- قيمة الأس الهيدروجيني:

يتضح من الشكل (7) أن متوسط قيمة الأس الهيدروجيني لزبادي حليب الماعز المحضّر بدون إضافة أعطى أعلى قيمة، والزبادي المحضّر بإضافة 5% حليب فرز مجفف أعطى أقل قيمة لكلا السلالتين، حيث بلغ أعلى متوسط لقيمة الأس الهيدروجيني 4.51 للسلالة المحلية و 4.57 للسلالة المستوردة، بينما بلغ أقل قيمة 4.40 للسلالة المحلية و4.43 للسلالة المستوردة. هذه النتائج تتفق مع ما بينه Kavas وآخرون (2003) أن الأس الهيدروجيني في 25 عينة زبادي منتج من حليب الماعز تراوح مابين 3.9- 4.9. لوحظ تقارب قيم الأس الهيدروجيني في الزبادي المصنّع من حليب الماعز لجميع التركيزات المضافة من حليب الفرز المجفف لكلا السلالتين، وهذا ما أكدته نتائج التحليل الإحصائي التي أوضحت عدم وجود فروق معنوية لمتوسط قيم الأس الهيدروجيني عند مستوى احتمالية 1% بين الزبادي المصنّع من حليب ماعز السلالتين المحلية والمستوردة، وكذلك عدم وجود فروق معنوية بين الزبادي المحضّر بإضافة 3، 4 و5% حليب فرز مجفف للسلالتين.

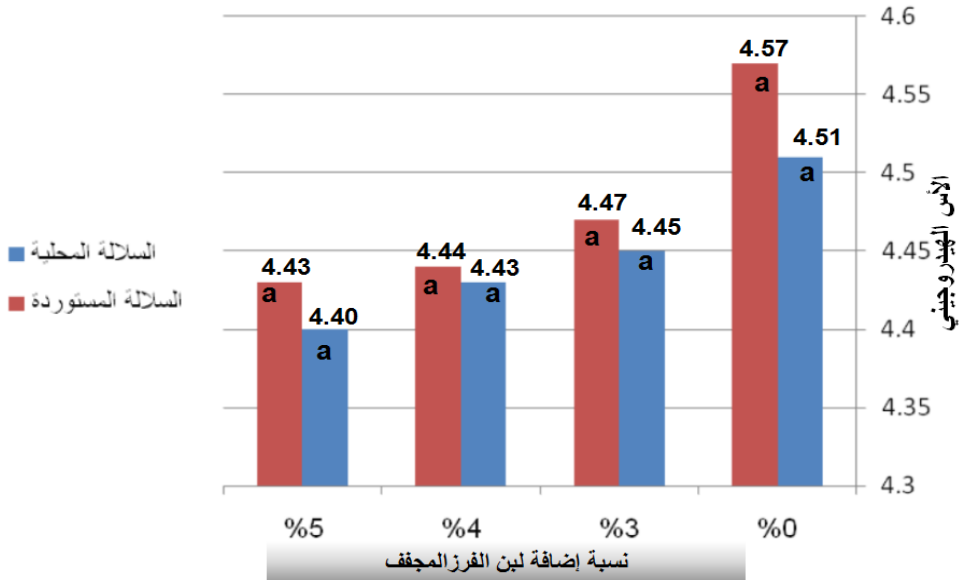

- الأعمدة التي تحمل حروفاً متشابهة لا يوجد بينها فروق معنوية عند مستوى احتمال 1%

شكل 7. متوسط قيم الأس الهيدروجيني في الزبادي المصّنع من حليب الماعز.

4.3- التقييم الحسي لزبادي حليب الماعز:

1.4.3- التقييم الحسي باستخدام اختبار سلم الترقيم:

أظهرت النتائج الموضحة في الشكل (8) أن أعلى درجات تقييم لزبادي حليب الماعز تحصل عليها الزبادي المحضّر بإضافة 5% حليب فرز مجفف من السلالة المحلية والزبادي المحضّر بإضافة 4% حليب فرز مجفف من السلالة المستوردة، فقد بلغت 15.17 و 14.57 على التوالي، وأقل درجات تقييم أعطيت للزبادي المحضّر بدون إضافة للسلالتين المحلية والمستوردة فقد بلغت 8.63 و 10.26 على التوالي.

نلاحظ من خلال النتائج أن إضافة حليب الفرز المجفف حسنت من الخواص الحسية للزبادي المصنّع من حليب الماعز لكلا السلالتين من حيث الطعم والنكهة والمظهر والقوام ، كما أوضحت نتائج التحليل الإحصائي وجود فروق معنوية عند مستوى احتمالية 5% بين الزبادي المحضّر بدون إضافة والزبادي المحضّر بإضافة 3، 4 و5 % حليب فرز مجفف للسلالتين، وعدم وجود فروق معنوية عند مستوى احتمالية 5% بين الزبادي المحضّر بإضافة 3، 4 و5 % حليب فرز مجفف للسلالتين. لذلك يمكن تصنيع الزبادي من حليب ماعز السلالة المحلية أو السلالة المستوردة (الألبين) بإضافة 3% حليب فرز مجفف.

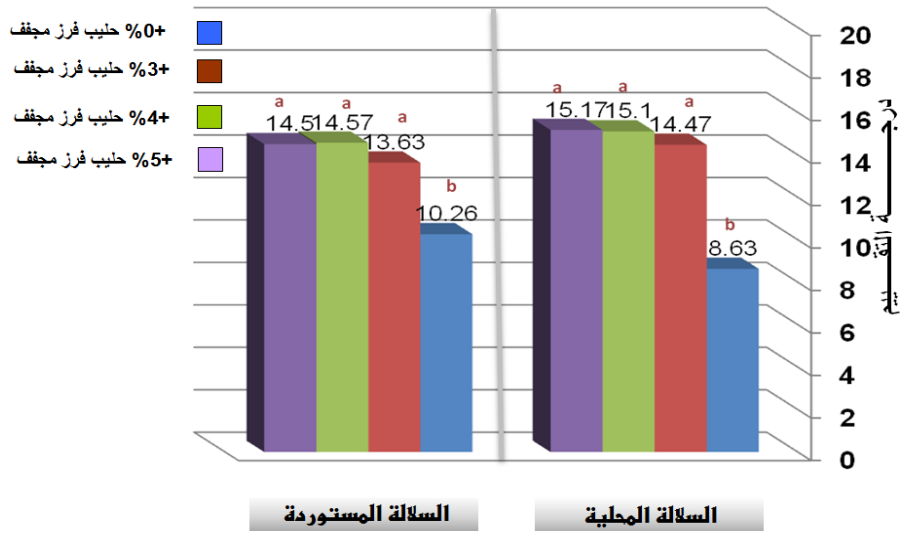

• الأعمدة التي تحمل حروفاً متشابهة لكل سلالة لا يوجد بينها فروق معنوية عند مستوى احتمال 5%

شكل 8 . التقييم الحسي لعينات الزبادي المصنّع من حليب الماعز باستخدام اختبار سلم الترقيم.

2.4.3- التقييم الحسي باستخدام اختبار سلم التفضيل:

بينت نتائج التقييم الحسي الموضحة في شكل (9) لعدد 70 شخص غير متدرب أن زبادي حليب ماعز السلالة المحلية المحضّر بإضافة 5% حليب فرز مجفف و زبادي حليب ماعز السلالة المستوردة المحضّر بإضافة 4% حليب فرز مجفف تحصلا على أعلى درجة تقييم بلغت 6.89، وأقل درجات التقييم أعطيت للزبادي المحضّر بدون إضافة للسلالتين المحلية والمستوردة فقد بلغت 2.96 و 4.99 على التوالي. وبالنظر لنتائج التحليل الإحصائي تبين وجود فروق معنوية عند مستوى احتمالية 5% بين الزبادي المحضّر بدون إضافة والزبادي المحضّر بإضافة 3، 4 و5 % حليب فرز مجفف للسلالتين، وعدم وجود فروق معنوية عند مستوى احتمالية 5% بين الزبادي المحضّر بإضافة 3، 4 و5 % حليب فرز مجفف للسلالة المحلية، وكذلك بين الزبادي المحضّر بإضافة 4 و5 % حليب فرز مجفف للسلالة المستوردة.

اتضح من نتائج التقييم الحسي الأول والثاني أن زبادي حليب ماعز السلالة المحلية المحضّر بإضافة 5% حليب فرز مجفف وزبادي حليب ماعز السلالة المستوردة المحضّر بإضافة 4% حليب

فرز مجفف تحصلا على أعلى درجات التقييم، وعلى هذا الأساس تم إجراء تقييم حسي بينهما باستخدام اختبار سلم التفضيل وذلك لمعرفة مدى قبول المستهلك الليبي لزبادي حليب الماعز. أجري التقييم من قبل شرائح مختلفة من المجتمع ذكوراً وإناثاً، وبلغت أعدادهم 118 شخصاً كانت أعمارهم مابين 15 إلى 65 سنة.

بينت النتائج الموضحة في شكل (10) أن الزبادي المصنّع من حليب الماعز للسلالتين كان مقبولاً من قبل المستهلكين، حيث بلغ متوسط القبول العام 6.83 لزبادي حليب ماعز السلالة المحلية، و6.71 لزبادي حليب ماعز السلالة المستوردة، وهذا يشير أن المقيمين كانوا يفضلونه كثيراً، كذلك أشارت نتائج التحليل الإحصائي إلى عدم وجود فروق معنوية عند مستوى احتمالية 5% بين الزبادي المصنّع باستخدام حليب ماعز السلالة المحلية والسلالة المستوردة (الألبين).

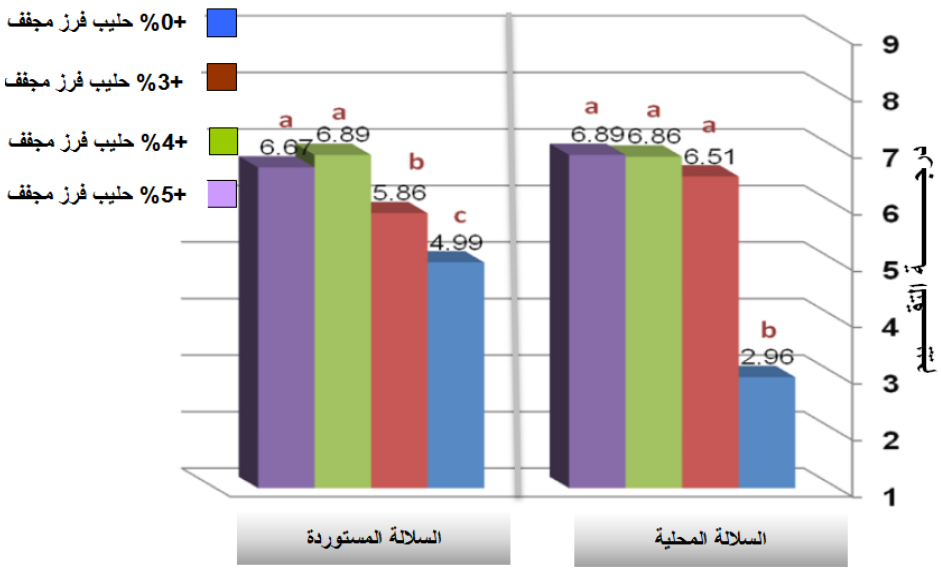

- الأعمدة التي تحمل حروفاً متشابهة لكل سلالة لا يوجد بينها فروق معنوية عند مستوى احتمال 5%

شكل .9. التقييم الحسي لعينات الزبادي المصنّع من حليب الماعز باستخدام اختبار سلم التفضيل.

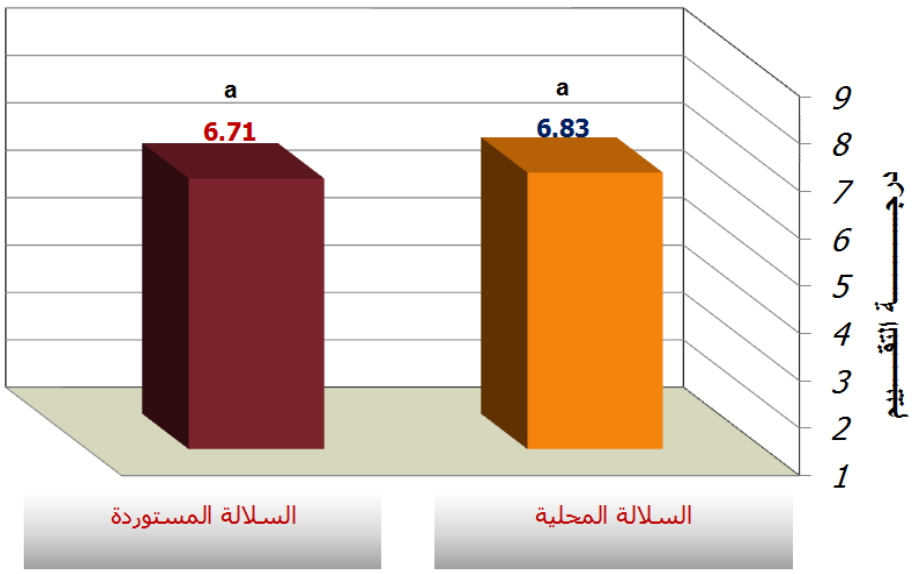

- الأعمدة التي تحمل حروفاً متشابهة لا يوجد بينها فروق معنوية عند مستوى احتمال 5%

شكل 10. التقييم الحسي لعينات الزبادي المصنّع من حليب الماعز والمحضر بإضافة 5% حليب فرز مجفف (السلالة المحلية) وإضافة 4% حليب فرز مجفف (السلالة المستوردة).

4. الخلاصة :

أشارت هذه الدراسة إلى الأتي :

1. أن حليب الماعز الطازج المنتج من السلالتين المحلية والمستوردة (الألبين) كان مناسباً لإنتاج زبادي ذو جودة مقبولة عند دعمه بحليب الأبقار الفرز المجفف.

2. إضافة حليب الفرز المجفف لحليب ماعز السلالتين كان لها تأثير واضح على التغير في الأس الهيدروجيني ونسبة الحموضة ومكونات الزبادي المنتج.

3. لتصنيع الزبادي من حليب ماعز السلالة المحلية أو السلالة المستوردة يفضل أن تكون نسبة إضافة حليب الفرز المجفف من 3–4 %، وزمن التخمر من 5 إلى 6 ساعات، ونسبة الحموضة ما بين 0.85 إلى 1%.

4. حليب الفرز المجفف المضاف لحليب الماعز المستخدم في تصنيع الزبادي من السلالتين أدى إلى الحصول على نكهة مقبولة للمنتج النهائي، تقليل زمن التخمر، زيادة محتوى البروتين والمواد الصلبة الكلية التي أدت إلى تحسين قوام ولزوجة الخثرة، وقللت من انفصال الشرش، وبالتالي تحصل المنتج النهائي على درجة تفضيل مرتفعة نسبياً.

5-المراجع :

1- إسماعيل، م.م والهايشة، م.س.(2005). إنتاج وتصنيع الألبان في الوطن العربي. ص: 578، 635-630 و750-761.الطبعة الأولى. مكتبة الدار العلمية.القاهرة. مصر.

2- الجديلى، ع. ع وحميدة، هـ.م .(2002). تقييم الأطعمة: الأسس والقياسات العلمية. ص: 41-73. الطبعة الأولى. مجموعة النيل العربية. القاهرة. مصر.

3- بلقاسم، ع؛ عبود، ش؛ النفاتى، خ؛ عبود، ع؛ الشريف، أ والكاتب، ع.(2007). بعض نتائج تهجين الماعز المحلى الليبي مع سلالتي الألبين والسانن الفرنسية. المؤتمر العربى العشرون لإتحاد الأطباء البيطرين العرب. الخرطوم. السودان.

4- A.O.A.C .(1995). Official Methods of Ananlysis.16th ed, Association of Official Analytical Chemists, AOAC, International Publishers, virgina, USA.

5-Anifantakis, E.M.(1993). Bacteriological quality of raw goat's milk in Greece. Liat, 73: 465-472.

6- Bradley, R.L.; Arnold, E.; Barbano, D.M.; Semerad, R.G.; Smith, D.E. and Vines, B.K.(1992). Chemical and physical methods. In: Standard methods for the examination of dairy products. (Marshall, R. ed) pp: 433-431. 16th ed. American Public Health Association ,USA.

7-Christen ,G.L .;Davidson , P.M.; Mc Allisster, J.S. and Roth, L.A.(1992). Coliform and other indicator bacteria. In: Standard methods for the examination of dairy products. (Marshall, R. ed). pp: 247-269. 16th ed. American Public Health Association, USA.

8-Domagała, J.(2008). Sensory evaluation and rheological properties of yoghurts prepared from goat, cow and sheep milk, Electronic Journal of Polish Agricultural Universities,11(3):1-9

9- Ellis , B.A.(1961). Guidebook for sensory testing. pp: 16-35. Chicago Technical Center, USA.

10- Gnan, S., Erabti, H. and Rana. M.(1985). The composition of Libyan goat milk. Australian. J.of Dairy Technology. 40: 163-165.

11- Haenlein, G.F.W.(2004). Goat milk in human nutrition. Small Ruminant Research, 51:155-163.

12-Houghtby, G. A .;Maturin,L.J. and Koenig, E.K.(1992). Microbiological count methods. In: Standard methods for the examination of dairy products. (Marshall, R. ed). pp: 213-246. 16th ed. American Public Health Association. USA.

13-Kavas, G.; Uysal, H.; Kilic, S.; Akbulut, N. and Kesenkas, H.(2003). Some properties of yoghurts produced from goat milk and cow-Goat milk mixtures by different fortification methods. Pakistan .J. Biological Science, 6(23): 1936-1939.

14- Martin-Diana.,A.B., Janer,C., Pel!aez,C. and Requena, T. (2003). Development of a fermented goat,s milk containing probiotic bacteria. International Dairy Journal, 13: 827-833.

15-Robinson, R.K., Lucey, J.A. and Tamime, A.Y.(2006).Manufacture of yogurt. In: Fermented milks. (Tamime, A.Y ed) pp: 53- 70. 1st ed. Blackwell Science Ltd, UK.

16- Salvador, A., Fiszman, S.M.(2004). Textural and sensory characteristics of whole and skimmed flavored set-type yogurt during long storage. J.Dairy Sci, 87: 4033-4041.

17- Snedecor, G.W., Cochran, W.C.(1980). Statistical Methods.7th .ed. P: 233- 236. Iowa State Univ. Ames. USA.

18-Tamime,A.Y. and Robinson, R.k.(1999). Yoghurt science and Technology. P: 310-311. 2nd ed. Woodhead publishing, Ltd, UK.

19- Vargas, M.; Chafer, M.; Albors, A.; Chiralt, A. and Gonzalez-Martinez, C. (2008). Physicochemical and sensory characteristics of yoghurt

produced from mixtures of cows and goats milk. International Dairy Journal, 18: 1146-1152.

20-Zygoyiannis, D. (1987). The milk yield and milk composition of the Greek indigenous goat (Capra prisca) as influence by duration of suckling period. Anim. Prod, 44: 107- 116.